ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 19ديسمبر كانون الاول 2021

مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخينً

محتويات العدد 19

ت	اسم المؤلف	عنوان البحث	الصفحة
1	تعليمات وشروط النشر	تعليمات وشروط النشر	1
2	أ.د محمد سالم غثيان الطراونة جامعة السلطان قابوس د. هادي عبد الفتاح المحاسنة جامعة العقبة للتكنولوجيا	وقف الحاج محمود الهباب اليافي في مدينة يافا 1285هـ/ 1868م .. دراسة وتحقيق	9
3	أ.د ناهده حسين علي الاسدي	زكي صالح منهجه وطريقة تفكيره من خلال مقدمة كتاب بريطانيا والعراق حتى عام 1914 .. دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري	35
4	د. إبراهيم بن يحيى البوسعيدي جامعة السلطان قابوس	وقفية الحرمة الحاجة تقلا الحجّارة الرومية الكاثوليكية في مدينة يافا 1285هـ/ 1868م ... دراسة وتحقيق	51
5	فاطمة بنت ناصر بن خلف الحاتمية أ.د محمد سالم غثيان الطراونة جامعة السلطان قابوس	من وثائق الأرشيف العُماني موقف بريطانيا من رفع الأعلام على السفن العُمانية في زنجبار عام 1257هـ/1841م... دراسة وتحقيق	71
6	مريم بنت سعيد البرطمانية طالبة دكتوراه في قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية	رحلات الرحالة الصيني تشنغ خه السبع 1405-1433م ....ظفار نموذجا	99
7	دة. سنية حمدي/ كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس	المخطوط مصدرا لكتابة التاريخ العسكري لإيالة تونس في القرن 19	123
8	الباحثة فاتن دويرية/ المغرب	أثر التاريخ على صناعة التشريعات الدولية بين " النظرية والتطبيق	139
9	الباحث عبد العزيز بودرة /المغرب	الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية "أعراف القبائل المغربية نموذجا"	153

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير

الدكتور عثمان برهومي تاريخ تونس

سكرتيرة التحرير

الدكتورة وفاء سمير نعيم اجتماع مصر

الهيئة العلمية

- **الاستاذ الدكتورناهدة حسين علي الاسدي تاريخ العراق**
- **الاستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل همونديي تاريخ العراق**
- الاستاذ الدكتور علاء الرهيمي تاريخ جامعة الكوفة
- الاستاذ الدكتور حسين جبار شكر تاريخ جامعة كربلاء
- الاستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة تاريخ جامعة السلطان قابوس
- الاستاذ الدكتور حاجي دوران اجتماع تركيا
- الاستاذ الدكتور علي علام تاريخ جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب
- **الدكتورلحسن أوري تاريخ جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب**

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية الى استيعاب روافد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة توافق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للابحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقا مع عنوانه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع .

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صور شخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.

خاتمة البحث

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

يجب ادراج الهوامش بطريقة الكترونية في اسفل كل صفحة في شكل ارقام متسلسله لكل صفحة، ووفقا لدليل شيكاغو.

حجم ونوع الحروف

تعتمد المجلة الدولية للدراسات التاريخية حرف Simplified Arabic حجم 20 غامض للعنوان الرئيسي وحجم 18غامض للعنوان الفرعي وحجم 16 غامض للمتن وحجم 14 عادي للهوامش.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.
- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.
- يعرض الكتاب ملخصا وافيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور وابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن 8 صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.
- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادواته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.
- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشور نسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.

- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها ويعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي او كل شهرين، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للابحاث المقدمة والملفات العلمية.
- المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

رسوم النشر: 100 دولار

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

وقف الحاج محمود الهباب اليافي في مدينة يافا 1285هـ/ 1868م
دراسة وتحقيق

أ.د محمد سالم غثيان الطراونة /جامعة السلطان قابوس – عُمان
د. هادي عبد الفتاح المحاسنة / جامعة العقبة للتكنولوجيا – الأردن

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحقيق وقفية الحاج محمود الهباب اليافي، التي سجلت ووثقت في محكمة يافا الشرعية سنة 1285هـ/ 1868م، وتكشف لنا هذه الوقفية عن جوانب مهمة من مجتمع مدينة يافا التي تتعلق بنشاط وعمل بعض الشرائح الاجتماعية.

وتناول هذا البحث التعريف بالوقف لغة واصطلاحًا، ومشروعية الوقف، وأنواع الوقف في يافا، ومحتوى الحجة الوقفية موضوع الدراسة، والمنهج الذي تم اتباعه في التحقيق الذي يستهدي بالأصول المتبعة في هذا المجال.

وتعد الوثائق الوقفية من أهم مصادر المعرفة التاريخية، وهي الأصول النزيهة التي يجد العلماء والباحثون بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة، ويستكمل منها الحلقات المفقودة. وهذه الوثائق كتبت من قبل جهة رسمية، وهي صحيحة ودقيقة ولا يمكن الطعن بها.

Abstract:

This research aims to study and investigate the endowment of Hajj Mahmoud Al-Habbab Al-Yafi, which was registered and documented in the Jaffa Sharia Court in the year 1285 AH / 1868 AD.

This endowment reveals to us important aspects of the society of the city of Jaffa that relate to the work activity of some social groups.

This research dealt with the definition of the endowment linguistically and idiomatically, the legitimacy of this endowment, the types of endowments in Jaffa, the content of the endowment argument under study, and the approach that was followed in the investigation, which is guided by the principles followed in this field.

Endowment documents are among the most important sources of historical knowledge, and they are the honest assets, among which scholars and researchers find facts that fill the missing gaps and complete the missing links. These documents were written by an official body, and they are true and accurate, and cannot be challenged.

الموقع الجغرافي والأهمية المكانية لمدينة يافا:

تقع مدينة يافا في الجنوب الغربي من بلاد الشام، وعلى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، وإلى الجنوب من مصب نهر العوجا بنحو (7) كيلومترات، وإلى الشمال الغربي من مدينة القدس الشريف بنحو (60) كيلومترًا، وتقع على خط الطول (34° 45ˉ 30ˉˉ)، شرقًا، وعلى دائرة العرض (32° 2ˉ 58ˉˉ) شمالًا. تمتاز المدينة بموقعها الجغرافي المتوسط؛ إذ تضم مرفأً بحريًّا، وتُعَدُّ معبرًا للقوافل البرية بين مصر وبلاد الشام؛ ما أسهم في ازدهارها، وأكسبها

أهمية تجارية كبيرة، وجعلها منطقة استقطاب سكاني لكثير من الهجرات الوافدة من مصر، وبلاد الشام، ومناطق المغرب العربي، وسواها من المناطق[1].

كانت يافا مركز قضاء يتبع للواء القدس التابع لولاية سورية، وكانت الرملة واللد ناحيتين تتبعان لهذا اللواء[2]، وقد صدرت الإرادة السلطانية عام 1290هـ/ 1873م بسلخ لواء القدس والأقضية التابعة له عن ولاية سورية، فأصبحت متصرفية القدس تتبع مباشرة لرئاسة الوزراء في استانبول؛ نظرًا لأهمية هذه المدينة ومكانتها الدينية مُمثَّلةً في المسجد الأقصى، ثم أصبح قضاء يافا يتبع لمتصرفية القدس المستقلة، واستمر هذا الوضع حتى عام 1336هـ/ 1917م[3].

تعريف الوقف:

الوقف لغةً:

الحبس والإمساك. والوقف والتحبيس والتسبيل كلها مرادفات بمعنى واحد. يقال: حبسْتُ الأرض ووقفْتُها، ولفظة (حبسْتُ) هي أكثرها استعمالًا. ويقال: وقفْتُ الأرض والدار أقفُها وقفًا،

---

[1] انظر على سبيل المثال: محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 6 ربيع الثاني 1286هـ، ص160؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (27)، تاريخ 23 ربيع الثاني 1288هـ، ص165؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (28)، تاريخ 29 محرم 1288هـ، ص99؛ وانظر:

Boldens perper, philip, G. “The Immovable East”, Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, (PEFQS), Vol, 38, 1906, pp 1-14.

(2) سالنامه سنه 1282هـ/ 1865م، دفعة 20، دار المطبعة العامرة، درسعادت، 1282هـ/ 1865م، ص174-175؛ سالنامه سنه 1283هـ/ 1866م، دفعه 21، دار المطبعة العامرة، درسعادت، 1283هـ/ 1866م، ص172؛ سالنامه سنه 1284هـ/ 1867م، دفعة 22، دار المطبعة العامرة، درسعادت، 1284هـ/ 1867م، ص 173.

(3) انظر: سالنامة دولت علية عثمانية سنه 1328 مالية/ 1912م، سنه (66)، سلانيك مطبعه سي، درسعادت 1328 مالية/ 1912م، ص884؛ سالنامة دولت علية عثمانية سنه 1333-1334 مالية/ 1917-1918م، سنه (67)، هلال مطبعه سي – باب عالي قارشوسنده، درسعادت 1333 مالية/ 1918م، ص775-777.

وهذه هي اللغة الفصيحة المشهورة. ولا تُستعمَل لفظة (أوقفْتُ) إلّا في لغة رديئة. أمّا شيء موقوف ووقف أيضًا، فتسمية بالمصدر، والجمع: أوقاف، مثل ثوب وأثواب[1].

وقد سُمِّي الوقف وقفًا؛ لأن العين موقوفة، وسُمِّي حبسًا؛ لأن العين محبوسة[2].

الوقف اصطلاحًا:

اختلف الفقهاء في تعريف الوقف بناءً على اختلافهم في وجوب تأبُّده من عدمه. وكذلك اختلفت المذاهب الفقهية في تعريف الوقف من حيث التفاصيل؛ فالحنفية يُعرِّفون الوقف بأنه "حبس العين على حكم ملك الواقف، والتصدُّق بالمنافع على الفقراء مع بقاء العين"[3]. وقد عرَّفه السرخسي بقوله: "حبس المملوك عن التمليك من الغير"[4]. أمّا المالكية فعرَّفوه بأنه

([1]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/ 1311م)، لسان العرب، 15م، دار صادر، بيروت، 1955-1959م، م9، ص360، وسيشار إليه لاحقًا: ابن منظور/ لسان العرب؛ الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور، (ت370هـ/ 981م)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ج4، ص342، مادة (حبس)، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت393هـ/ 1003م)، تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج4، ص1140، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (ت770هـ/ 1368م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص، 669، مادة (وقف).

([2]) البعلي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلي، (ت 709هـ/ 1309م)، المطلع على أبواب المقنع، تحقيق محمد بشير ادلبي، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1981م، ص231.

([3]) انظر: القونوي، قاسم، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق أحمد بن عبدالرزاق الكبيسي، دار الوفاء، جدة، 1986م، ص22-26؛ الحجيلي، عبدالله بن محمد بن سعد، "الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام: دراسة فقهية – تاريخية – وثائقية"، مجلة العقيق، المدينة المنورة، العدد (27-28)، 2000م، ص7.

([4]) السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد، (ت 490هـ/ 1097م)، المبسوط، 30ج، دار المعرفة، بيروت، 1986م، ج12، ص27.

"إعطاء منفعة شيء مدَّة وجوده، لازمًا بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرًا"[1]، في حين عرَّفه الشافعية بأنه "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرُّف في رقبته، وتصرُّف منافعه إلى البر؛ تقرُّبًا إلى الله تعالى"[2]. وعرَّفه الحنابلة بأنه: "تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة"[3].

يَتبيَّن من مُجمل هذه التعريفات المقصد العام للوقف، وهو: "إيجاد مورد دائم مستمر لتحقيق غرض مباح من أجل مصلحة معينة"[4].

مشروعية الوقف:

لم يرد في القرآن الكريم نص صريح في مشروعية الوقف أو جوازه، بل عرض له ضمن الحض على التصدق وعمل الخير والإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﱡ لخ لم لى لي مج مح

([1]) الخرشي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله المالكي المصري (ت1101هـ/ 1689م)، شرح الخرشي على مختصر خليل، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج7، ص178؛ عليش، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت1299هـ/1881م)، شرح منح الجليل على مختصر خليل، المطبعة الكبرى، مصر، 1877م، ج3، ص34.

([2]) انظر: الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد (ت977هـ/ 1569م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م، ج2، ص376؛ الرملي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت1004هـ/ 1565م)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، المطبعة العامرة الكبرى، مصر، 1875م، ج4، ص259.

([3]) ابن قدامة، موفق الدين المقدسي، (ت670هـ/ 1271م)، المغني، دار الفكر، بيروت، 1994م، ج5، ص597؛ ابن قدامة المقدسي، شمس الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر بن محمد بن أحمد، (682هـ/ 1283م)، الشرح الكبير على متن المقنع، 30ج، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، 1995م، ج6، ص206.

([4]) الشعبي، أحمد عبدالجبار، "الوقف: مفهومه ومقاصده"، مجلة العقيق، المدينة المنورة، العددان (27-28)، 2000م، ص 17-23.

مخمم ّ [1]، وقوله تعالى: ٱّ لى لي ما مم نر ّ [2]، وقال تعالى: ٱّ ٱ نن نى ني ىٰ ير ّ [3]، وقال تعالى: ٱّ فج فح فخ فم قح قم كج ّ [4].

ويستشهد الفقهاء على مشروعية الوقف بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[5]. والواقع أن الصدقة الجارية هي الوقف بعينه لأن منفعتها مستمرة، ويستدل على ذلك من قول

([1]) سورة آل عمران، الآية (92).

([2]) سورة البقرة، الآية (267).

([3]) سورة الحج، الآية (77).

([4]) سورة البقرة، الآية (280).

([5]) حديث صحيح أخرجه: النووي، يحيى بن شرف (ت676هـ/ 1277م)، صحيح مسلم بشرح النووي، ط2، دار الفكر، بيروت، 1972م، ج11، ص58؛ النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي، (303هـ/ 915م)، سنن النسائي، 4ج، اعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 2008م، كتاب الوصايا، باب (فضل الصدقة عن الميت)، حديث رقم (3653)، ج2، ص582؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي (ت275هـ/ 888م)، سنن أبي داود، إشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، كتاب الوصايا، حديث رقم (2880)، ص418؛ الدرامي، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل، (ت255هـ/ 868م)، مسند الدرامي المعروف بسنن الدرامي، 4ج، تحقيق حسين سليم أسد الدراراني، دار المغني، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، 2000م، رقم الحديث (578)، ج1، ص462؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (ت297هـ/ 910م)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، 5ج، إعداد هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995م، كتاب الأحكام، رقم الحديث (1376)، ج3، ص660؛ الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت975هـ/ 1567م) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، 16ج، تحقيق بكري حياني، وصفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج15، ص952م.

أبي حامد الغزالي (ت505هـ/ 1111م): "وليست الصدقة الجارية إلا الوقف"[1]، وقال النووي (ت676هـ/ 1277م): "وفيه دليل لصحة أصل الوف وعظيم ثوابه"[2].

ومن أدلة مشروعية الوقف حديث عمر – رضي الله عنه – أنه أصاب أرضًا من أرض خيبر، فقال يا رسول الله: أصبت أرضًا بخيبر لم أُصب مالًا قط أنفس عندي منه، فما تأمرني؟ فقال: " إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها" فتصدق بها عمر على ألّا تباع ولا توهب ولا تُورَّث في الفقراء، وذي القربى، والرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضعيف، لا جناح على من وليها، أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم صديقًا غور متمول مالًا"[3]، وقال ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/ 1448م): " إن حديث عمر هو أصل في مشروعية الوقف"[4].

أنواع الوقف في يافا:

تشير وثائق محكمة يافا الشرعية أن الوقف في يافا ينقسم إلى ثلاثة أنواع، بحسب الأغراض، هي[5]:

---

(1) انظر: بنعبدالله، محمد بن العزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، 2ج، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996م، ج2، ص205.

(2) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج11، ص85-86.

(3) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت852هـ/ 1449م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 14ج، مصر، 1313هـ، ج5، ص354؛ النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج11، ص85-87؛ الطرابلسي، إبراهيم بن موسى بن علي (ت922هـ/ 1516م)، الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1986م، ص6؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1255هـ/ 1839م)، نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1347هـ، ج6، ص20-22.

(4) العسقلاني، فتح الباري، ج14، ص366.

(5) محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 10 شعبان 1285هـ/ 26 تشرين الثاني – نوفمبر 1868م، ص 77-78؛

1- الوقف الخيري: هو وقف لغايات دينية صرفه، مثل: أوقاف الجوامع والمساجد والكنائس، والزوايا، والمقامات، والمدارس، وأخرى لغايات إنسانية صرفه، كتخصيص مبلغ من ريع الوقف على توزيع الخبز على الفقراء والمساكين، ومبلغ آخر يصرف للأيتام والأرامل وفقراء المسلمين.

2- الوقف الذرّي: نسبة إلى ذرّية الإنسان، وهي العقارات التي حبست على مصالح الواقف طيلة حياته، ثم على ذريته من بعده أو على من يحدده في نص وقفيته، وإن كان من غير ذريته أو أقاربه.

3- الوقف المشترك: هو ما يوقفه صاحبه على ذريته في البداية، وإذا انقرضت ذريته يعود ريع وقفه إلى جهة خيرية، يحددها، وإذا تعثر ذلك فعلى فقراء المسلمين.

التعريف بالحجة أو الوثيقة الوقفية:

الحجة الوقفية موضوع الدراسة محفوظة في سجل محكمة شرعية يافا رقم (25) الأوراق (71-72)، وتوجد نسخة مصورة عنها في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية على المايكروفيلم، وتاريخها في 23 رجب سنة 1285هـ/ 9 تشرين الثاني – نوفمبر 1868م، وهي خاصة بوقف الحاج محمود الهباب اليافي.

والحجة الوقفية كتبها وحررها كاتب محكمة يافا الشرعية محمود العقاد، وحالتها جيدة، وهي مكتوبة بخط الكتابة الاعتيادي، وهو أقرب ما يكون لخط الرقعة العربي، ومقروءة بسهولة ويسر، وكتبت بقلم قصبي بالمداد الأزرق الاستانبولي، وحجم الورق وأبعادها (51 × 34 سم)، ونوع الورق صكوكي قويّ.

محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 5 شوال 1285هـ/ 19 كانون الثاني- يناير 1869م، ص89-90؛

محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 23 ذي الحجة 1286هـ/ 26 آذار – مارس 1870م، ص297-298.

وجرى كاتب الحجة الوقفية على ما كان سائدًا في تلك الحقبة من كتابة نص الحجة، بحيث لا نجد نقاطًا أو فواصلًا بين كل عبارة وأخرى، أو بين كل موضوع والذي يليه، كذلك أهمل الكاتب الهمزات والمدات، وأبدل الهمزة اللينة في وسط الكلمة ياء. وقد أهمل الكاتب النقط في بعض الكلمات، مما جعل بعض الكلمات تبدو غامضة غير مقروءة، ولم يميز الكاتب بين التاء المربوطة والهاء.

والحجة الوقفية موضوع الدراسة تقع في ورقتين، وكتبت في ثمانية وأربعين سطرًا؛ والورقة الأولى تحتوي على ثلاثة وعشرين سطرًا، والورقة الثانية تحتوي على خمسة وعشرون سطرًا، وكل سطر فيها يحتوي ما بين (18-25) كلمة.

مضمون الوقفية:

الواقف: الحاج محمود الهباب اليافي

الصيغة الدالة على الوقف: فالصيغة تشمل اللفظ الدال على إرادة الواقف، سواء أكان ذلك صراحة أم كتابة. كما ينعقد الوقف بالفعل، فقد أوردت الحجة الوقفية الصيغة الآتية: "تصرف ووقف وحبس وتصدق في جميع ما هو له".

الموقوف: جميع الحصة الشائعة، وقدرها النصف اثنا عشر قيراطًا في جميع الدكان الكائنة في مدينة يافا في سوق العطارين ضمن محلة الشيخ إبراهيم العجمي، إحدى محلات مدينة يافا.

الموقوف عليه: الحاج محمود اليافي على نفسه طيلة حياته، ثم من بعده على جهات البر، وعلى زاوية الشيخ رسلان البكري في يافا، ويصرف ذلك على الوجه الآتي شرحه:

يصرف من ريع الوقف في كل سنة في شهر رمضان مائة غرش ثمن خبز يوزع على الأرامل والفقراء والمحتاجين، ويصرف في كل سنة مائة غرش في شهر رمضان لقراءة سورة الإخلاص مائة ألف مرة، ويهدى ثواب القراءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلى آله وأصحابه الكرام، وإلى الواقف وعائلته، وإلى أموات المسلمين كافة، ويصرف لمحرر الوقفية وكاتبها في محكمة يافا الشرعية محمود العقاد خمسين غرشًا، ما دام على قيد الحياة، في كل سنة على أن يقرأ "لا إله إلا الله" اثنتين وسبعين ألف مرّة في أشهر: رجب، وشعبان، ورمضان،

ويصرف عشرة غروش لمن يقرأ في كل سنة في ليلة المولد النبوي الشريف ختم القرآن العظيم ختمة كاملة. ويصرف عشرة غروش لمن يقرأ في ليلة المعراج الشريف ختم القرآن العظيم ختمة كاملة. ويصرف من ريع الوقف في كل سنة خمسين غرشًا لمن يقرأ سورة ياسين في كل يوم. ويصرف في كل شهر غرشين ونصف الغرش لزاوية الشيخ رسلان البكري ثمن ماء لأجل الوضوء وغير ذلك، وإذا زاد من الريع يعطى إلى متولي الوقف أحمد الكورة، أو لمن يكون متوليًا على الوقف.

شروط الواقف: المعروف فقهًا "أن شرط الواقف كنص الشارع في لزومه ووجوب العمل به"[1]، ولا يجوز مخالفته بأي حال من الأحوال[2].

ملكية الوقف: يتشرط في العقار الموقوف أن يكون ملكًا للواقف، وورد ذلك في نص الوقفية على النحو الآتي: في جميع ما هو له، وجارٍ بملكه، وتحت طلق تصرُّفه وحيازته الشرعية، وآيل إليه بطريق الشراء الشرعي بموجب حجج الشراء الشرعية المُخلَّدة بيده السابقة التاريخ على تاريخه أدناه، ويده واضعة على ذلك ثابتة مستمرة مستقرة دون المعارض له في ذلك لحين صدور هذا الوقف".

التولية على الوقف: كانت التولية على الوقف تتم بناءً لشروط الواقف، الذي غالبًا ما احتفظ بها لنفسه طيلة حياته، أو حصرها لأحد أولاده من بعده أو لأحد الأشخاص. ففي هذه الوقفية نص الواقف على: "أن جعل التولية والنظر له فيه مدَّة حياته، ثم من بعده تعود التولية للسيد أحمد الكورة ابن المرحوم علي الكورة اليافي، ثم من بعده على الأرشد فالأرشد من ذريته الذكور دون الإناث، وتعود النظارة لزوجته الحاجة خديجة بنت المرحوم إبراهيم البواب الدمياطي، ثم من

---

(1) معظم كتب الفكر تتضمن النص على القاعدة المذكورة، انظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن عابدين، محمد أمين، (ت 1252هـ/ 1836م)، رد المحتار على الدر المختار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م، ج3، ص360.

(2) شلبي، محمد مصطفى، أحكام الوصايا والأوقاف بين الفقه والقانون، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1967م، ص404.

بعدها على المتولي السيد أحمد الكورة المرقوم إن كان حيًّا، أو على من يكون متوليًّا من بعده من الأرشد فالأرشد من ذريته الذكور دون الإناث أبدًا ما داموا، ودائمًا ما تناسلوا، فإن انقرضوا بأجمعهم تعود التولية والنظارة إلى متولي وناظر مقام زاوية مولانا الشيخ رسلان البكري".

محاولة الواقف الرجوع عن الوقف:

وكانت أحكام الشريعة الإسلامية تسري على جميع المعاملات في محكمة شرعية يافا بما في ذلك الوقف. ومع دخول بلاد الشام تحت الحكم العثماني، أصبح المذهب الحنفي هو السائد في أغلب مناطقها، وكان المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وتشكل نظام الوقف في إطار اجتهادات هذا المذهب في المنطقة. وترتب على ذلك وجود اختلاف في الأحكام، ولكنه لم يؤثر على إنشاء الوقف أو استمرار وظيفته، حيث وجدت أوقاف على النفس، وأواقف يتولى الواقف نظارتها، ونظرًا إلى أن المذهب الحنفي لا يقول بلزوم الوقف إلا إذا حكم به القاضي الشرعي أو من ينوبه، فقد نصت المادة (1739) من مجلة الأحكام العدلية على الآتي: " لا يعمل بالوقفية فقط، ولكن إذا كانت مقيدة في سجل المحكمة الموثوق به والمعتمدة عليه تكون معمولًا بها على ذلك الحال"[1]. لذلك جرت العادة برفع دعوى أمام القاضي الشرعي في المحكمة بعد تحرير حجة الوقف والإشهاد عليها في شكل منازعة صورية، لكي يحكم القاضي بصحة الوقف فيكون لازمًا وفقًا للمذهب الحنفي. وقد ورد في حجة الوقفية أن الواقف رفع دعوى ضد المتولي للرجوع عن الوقف، وحكم القاضي برد الدعوى وبصحة الوقف ولزومه.

تاريخ الحجة الوقفية: حررت الوقفية في 23 رجب سنة 1285هـ/ الموافق 29 تشرين الثاني – نوفمبر 1868م.

شهود الحال: عرف الإمام الحنفي السرخسي الشهادة بقوله: "هي أخبار بحق الغير على آخر سواء حق الله أو حق البشر، والأخبار عن علم ويقين"[2]. ويشترط فيهم العدالة والأمة وكانوا

([1]) مجلة الأحكام العدلية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1302هـ/1884م، ص252، مادة (1739).

([2]) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت490هـ/ 1097م، المبسوط، 30ج، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1986م، ج16، ص116.

من المدربين والقادرين على معرفة دلالات الألفاظ الشرعية الواردة في الحجج التي يشهدون عليها، وكانت تدرج أسماؤهم في أسفل الحجة، ويختارون من العناصر المحلية، وكان عددهم في هذه الحجة خمسة شهود.

نص وقفية الحاج محمود الهباب اليافي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواقف على كل حال، الكبير المتعال[1]، والصلاة والسلام على سيدنا[2] محمد تاج الكمال، وأصحابه ذوي المجد والأفضال[3]، وبعد.

فلمّا علم جناب[1] عين الصلحاء[2] الموفقين الرجل الكامل الموصوف بالأوصاف المعتبرة[3] شرعًا، الحاج محمود الهباب اليافي، ما أعدَّه الله تعالى للواقفين من الخير العظيم؛

---

(1) **المتعال:** من مصطلحات الصوفية، وتعني المتتابع في العلو، ومن لا يقف بكل كمال وعلو حصل له، بل يطلب بهمة العالية الترقي إلى أعلى منه، الكاشاني، عبد الرزاق، (ت730هـ/ 1329م)، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعريب د. عبد العال شاهين، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص142، سيشار إليه لاحقًا: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية.

(2) **سيدنا:** السيد في اللغة هو الشريف والفاضل والكريم والحليم والرئيس والمقدم، وقد أطلق كلقب عام على الأجلاء من الرجال، وكان لقب سيد يحرف عند العامة بـ "سيدي"، الباشا، الألقاب الإسلامية، ص345، 348.

(3) جاءت في الأصل: الافضال.

عملًا بقول رسول الله الكريم: "إذا[4] مات ابن آدم[5] انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة[6] جارية[7]، أو علم يُنتفَع به، أو ولد صالح يدعو له"[8]. أو كما قال صلّى الله عليه وسلَّم، فقد

([1]) **جناب:** في اللغة الفناء، أو ما يقرب من محلة القول، وهو من الألقاب التي بدأ استعمالها في المكاتبات، والجناب: تستعمل لتضخيم، فيقال: جنابك بمعنى شرفك أو زيادتك، بركات، الألقاء والوظائف العثمانية، ص235-237.

([2]) جاءت في الأصل: الصلحا.

([3]) جاءت في الأصل: المعتبره.

([4]) جاءت في الأصل: اذا.

([5]) جاءت في الأصل: ادم.

([6]) جاءت في الأصل: صدقه.

([7]) جاءت في الأصل: جاريه.

([8]) حديث أخرجه: مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ/ 874م)، صحيح مسلم، 5ج، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د. ت)، كتاب الوصية، باب وصول ثواب الصدقات، حديث رقم (1631)، ج3، ص1255؛ النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي، (303هـ/ 915م)، سنن النسائي، 4ج، اعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 2008م، كتاب الوصايا، باب (فضل الصدقة عن الميت)، حديث رقم (3653)، ج2، ص582؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي (ت275هـ/ 888م)، سنن أبي داود، إشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، كتاب الوصايا، حديث رقم (2880)، ص418؛ الدرامي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل (ت 255هـ/ 868م)، مسند الدرامي، المعروف بسنن الدرامي، 4ج، تحقيق حسين سليم أسعد الدراراني، دار المغني، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، 2000م، رقم الحديث (578)، ج1، ص462؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت 297هـ/ 910م)، الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، 5م، إعداد هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995م، كتاب الأحكام، رقم الحديث (1376)، ج3، ص660؛ الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت975هـ/ 1567م)، كنز العمال في سنن الأقوال

رغب في الوقف الآتي ذكره، وحضر يوم تاريخه أدناه لمجلس الشرع[1] الشريف[2] الأنور، ومحفل[3] الحكم المنيف[4] الأطهر بمحمية[5] يافا، أجله تعالى لدى سيدنا[6] ومولانا[7] الحاكم

والأفعال، 16ج، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكري حياني، صححه ووضع فهارسه الشيخ صفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج15، ص952؛ بنعبدالله، محمد بن العزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، 2ج، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996م، ج2، ص207-215.

(1) **الشرع:** البيان والإظهار. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، (ت816هـ/ 1413م)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2004م، ص108. سيشار إليه لاحقًا: الجرجاني، معجم التعريفات.

(2) **مجلس الشرع الشريف:** يقصد بذلك المحكمة الشرعية في يافا.

(3) **المحفل:** المجلس، وقيل مكان الاجتماع، أو مقر المحكمة الشرعية، ابن منظور، لسان العرب، م11، ص156-157، مادة (حفل).

(4) **المنيف:** أي عالٍ مشرف، وقيل المكان المرتفع والمشرف، ابن منظور، لسان العرب، م9، ص342، مادة (نَوَفَ).

(5) **محمية:** حمى الشيء حَمّيًا، وحِمىً وحِماية. ومَحْمية: منعه ودفع عنه، ابن منظور، لسان العرب، م14، ص198، مادة (حما).

(6) **سيدنا:** السيد في اللغة هو الشريف والفاضل والكريم والحليم والرئيس والمقدم، وقد أطلق كقب عام على الأجلاء من الرجال، وكان لقب سيد يحرف عند العامة بـ "سيدي"، الباشا، الألقاب الإسلامية، ص345، 348.

(7) **مولانا:** استعمل هذا اللقب للخلفاء العباسيين، كما استعمل في العصر الفاطمي للوزراء، وفي العهد العثماني استخدم اللقب لكبار الموظفين المدنيين ورجال الدين، انظر: الباشا، الألقاب الإسلامية، ص519-521؛ بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية 1517-1924م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص61، وسيشار إليه لاحقًا: بركات، الألقاب والوظائف العثمانية.

الشرعي الحنفي[1] المولى[2] الموقع خطه وختمه الكريم فيه أعلاه، دام مجده وفضله، وزاد علاه، ولطف به مولاه في الدارين، وحماه بحرمة خير أنبيائه، وهو بحال يعتبر شرعًا في صحة[3]، وسلامة[4]، ووقور عقل[5]، ونفاذ تصرُّف ووقف وحبس[1] وتصدُّق[2] في جميع ما

([1]) **الحنفي:** المذهب الحنفي، هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وينسب هذا المذهب إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل الملة، ولد في الكوفة سنة (80هـ/ 699م)، ونشأ فيها، وكان يبيع الخزه يطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والافتاء، وكان قوي الحجة، وكريمًا جوادًا، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، له عدة مؤلفات، منها: مسند في الحديث، والمعارج في الفقه، وكانت وفاته في بغداد سنة (150هـ/ 767م)، لمزيد من المعلومات، انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي (ت463هـ/ 1070م)، تاريخ بغداد، 14ج، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت). ج13، ص323-342؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، 8م، دار صادر، بيروت، 1970-1971م، ج2، ص163؛ الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، ج6، أشرف على تحقيق وخرجه أحاديثه شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م، ج6، ص 390-403.

([2]) **المولى:** تعني السيد، وقد أطلقت خلال العهد العثماني على كبار القضاة وكبار العلماء. والمولى: من تولى الحق بعد العلماء، وحفظه من العصيان،

Gibb, H., Bowen, H., Islamic society and the West, 2 Vols, Oxford University Press, London, 1962, Vol.2, pp86-87;

رافق، عبدالكريم، العرب والعثمانيون، مطبعة ألف باء، دمشق، 1974م، ص53، الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص79.

([3]) جاءت في الأصل: صحه.

([4]) جاءت في الأصل: سلامه.

([5]) **ووقور عقل:** راجحة العقل، وقيل الوقار: أي الحلم والرَّزانة، وقيل الوقار: السكينة والوداعة، والتوقير: التعظيم، ابن منظور، لسان العرب، م5، ص289-292، مادة (وقر).

ما هو له، وجارٍ بملكه، وتحت طلق تصرُّفه وحيازته الشرعية[3]، وآيل[4] إليه بطريق الشراء[5] الشرعي بموجب حجج الشراء[6] الشرعية[7] المُخلَّدة[8] بيده السابقة[9] التاريخ على تاريخه أدناه، ويده واضعة[10] على ذلك ثابتة[11] مستمرة[12] مستقرة[13] دون المعارض له في ذلك لحين صدور هذا الوقف، وذلك جميع الحصة[14] الشائعة[15]، وقدرها النصف اثنا عشر قيراطًا[16]

([1]) **حبس:** وقف، والحبس: كل شيء وقفه صاحبه، ابن منظور، لسان العرب، م6، ص44-46، مادة (حبس)؛ الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني، (1205هـ/1791م)، تاج العروس من جواهر القاموس، 40ج في 20م، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، م8، ج15، ص276-277.

([2]) **تصدق:**

([3]) جاءت في الأصل: الشرعيه.

([4]) جاءت في الأصل: ايل.

([5]) جاءت في الأصل: الشرا.

([6]) جاءت في الأصل: الشرا.

([7]) جاءت في الأصل: الشرعيه.

([8]) جاءت في الأصل: المخلده. **خلد:** دائم البقاء، وخلد أقام، ابن منظور، لسان العرب، م3، ص 164، مادة (خلد).

([9]) جاءت في الأصل: السابقه.

([10]) جاءت في الأصل: واضعه.

([11]) جاءت في الأصل: ثابته.

([12]) جاءت في الأصل: مستمره.

([13]) جاءت في الأصل: مستقره.

([14]) جاءت في الأصل: الحصه.

([15]) جاءت في الأصل: الشايعه.

([16]) **القيراط:** يستخدم لتقسيم الكل إلى (24) جزءًا، وجزء القيراط إلى أجزاء صغيرة، وكان يستخدم في احتساب الملكية بالعقارات. انظر: هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م، ص98؛ وانظر:

في جميع الدكان الكائنة[1] في يافا الواقعة[2] في سوق العطارين في الصف القبلي الملاصقة[3] لحمام ملاضا الجديد ضمن محلَّة[4] الشيخ[5] إبراهيم، نمرة[6] أبواب عدد عمومي الشهيرة[7] بدكان الحاج محمود الهباب المذكور المشتملة[8] على نصف عقد معقود بالمونة[9] والأحجار، وعلى أبواب وأخشاب ومنافع شرعية[10] شركة الواقف المذكور فيها بحق النصف الآتي[11] المحدودة[12] قبلة الحمام الجديد المذكور الجاري بملك السيد علي[1] ملاضا وأولاد عرفات،

Huteroth, Wolf–Dieter and Abdulfattah, K., Historical Geography of Palestine Transjordan and Southern Syria in the Late 16th century, Erlangen, 1977. P.66.

([1]) جاءت في الأصل: الكاينه.

([2]) جاءت في الأصل: الواقعه.

([3]) جاءت في الأصل: الملاصقه.

([4]) **محلة:** هي الحي من القصبة، انظر:

Kramers, J.H. “Mahalla”, E.12. vol. 1V. P.110.

وانظر: سامي، شمس الدين، قاموس تركي، ص 1304.

([5]) **الشيخ:** في اللغة هو الطاعن في السن، ولقب به أهل العلم والصلاح توقيرًا لهم، هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكميل فيها، الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص172؛ بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص216؛ التهانوني، كشاف اصطلاحات، ص1049.

([6]) جاءت في الأصل: نمره. نمرة: وهي تحريف للكلمة العثمانية (نومرو)، وتعني رقم، وهي كلمة عثمانية، ص.

([7]) جاءت في الأصل: الشهيره.

([8]) جاءت في الأصل: المشتمله.

([9]) جاءت في الأصل: بالماونه.

([10]) جاءت في الأصل: شرعيه.

([11]) جاءت في الأصل: الاتي.

([12]) جاءت في الأصل: المحدوده.

ووقف أبي[2] رضوان ومن يشركهم، وشرقًا دكان جارية[3] ووقف بيبي ومحرم، وشمالًا الطريق السلطاني وفيه الباب، وغربًا دكان وقف بيبي قسيمتها سابقًا بجميع حقوقها وطرقها وأخشابها، وما عرف بها، ونسب إليها، واتصل من حديث وقديم وبكل حق هو لذلك شرعًا وقفًا صحيحًا شرعيًّا، وحبسًا صريحًا مؤبدًا[4] مرعيًّا، أنشأ الواقف المذكور وقفه هذا على نفسه مدَّة حياته، أحياه الله تعالى الحياة الطيبة[5]، ثم من بعده على البر، وعلى مصالح زاوية[6] مولانا القطب[7]

([1]) جاءت في الأصل: على.

([2]) جاءت في الأصل: ابو.

([3]) جاءت في الأصل: جاريه.

([4]) جاءت في الأصل: موبدا.

([5]) جاءت في الأصل: الطيبه.

([6]) **زاوية:** زوى الشيء يزويه: أي جمعه وقبضه، وزوايا الصوفية: وحدة معمارية صغيرة تنشأ غالبًا برسم شخص معين ينقطع فيها للعبادة، وهي مأخوذة من زوى الرجل: أي تنحى، أمين، محمد محمد، إبراهيم، ليلى علي، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية 648-923هـ/1250-1517م، دار النشر في الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1990م، ص59. وسيشار إليه لاحقًا: أمين، المصطلحات المعمارية.

([7]) **القطب:** من ألقاب الصوفية وأهل اصلاح، والقطب في اللغة كوكب بن الجدي والفرقدين وبدور عليه الفلك فيما قاله الجوهري والحق أنه نقطة متوهمة بالقرب من هذا الكوكب، قد قيل لسيد القوم الذي عليه مدار أمرهم قطب بني فلان، ومن هنا عبروا عن مدار الأولياء بالقطب. وتجمع قطب على أقطاب وقطرب. والقطب عند الصوفية معناه رأس العارفين. أو هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام. الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، ص431؛ الكاشاني، عبد الرزاق، اصطلاحات الصوفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1981م، ص145؛ بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص219؛ الجرجاني، معجم التعريفات، ص149.

الرباني[1] والهيكل[1] الصمداني[2] الشيخ رسلان البكري[3] قدَّس الله سرَّه[4]، وقفًا صحيحًا شرعيًّا أبد[5] الأبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله أهج هم هىّ[6]، وهو ٌأحج حمّ[7]. وقد شرط

---

(1) **الرباني:** الرب: بالضم واحد الربوب وهي عند الأطباء أن يؤخذ ماء الشيء من النباتات والثمرات بأن يغلى بالماء أو بأن يدق ويعصر، ثم يصفى ويغلظ بالطبخ أو بالشمس، كذا في بحر الجواهر. والرب: بالفتح اسم من أسماء الله تعالى. والربوبية عند الصوفية اسم لمرتبة المقتضية للأسماء التي تطلب الموجودات، فدخل تحتها العليم والسميع والبصير والقيوم والمريد والملك ونحو ذلك. فإن العليم يقتضي المعلوم، والمريد يطلب المراد والقادر المقدور. أعلم أن الأسماء التي تحت اسمه ارب هي الأسماء المشتركة بينه وبين خلقه كالعليم، تقول يعلم نفسه وخلقه، وكذا الأسماء المختصة بالخلق كالقادر، تقول خلق الموجودات ولا تقول خلق نفسه. وهذه الأسماء أي المختصة بالخلق تسمى أسماء فعلية. والفرق بين اسمه الملك والرب أن الملك اسم لمرتبة تحتها الأسماء الفعلية، والرب اسم لمرتبة تحتها الأسماء المختصة والمشتركة. والفرق بينه وبين الرحمن أن الرحمن اسم لمرتبة اختصت بجميع الأوصاف العلية الإلهية، سواء انفردت الذات به كالعظيم والفرد، أو حصل الاشتراك كالعليم، أو اختصت بالمخلوقات كالخالق والرزاق. والفرق بينه وبين الله أن الله اسم لمرتبة ذاتية جامعة لحقائق الموجودات علويها وسفليها فدخل الرحمن تحت حيطة اسم الله والرب تحت الرحمن والملك تحت الرب. فكانت الربوبية عرشًا أي مظهرًا ظهر فيها وبها الرحمن إلى الموجودات. ثم للربوبية تجليان: **معنوي وصُوري. فالمعنوي** ظهوره في أسمائه وصفاته على ما اقتضاه القانون التنزيهي من أنواع الكمالات، **والصوري** ظهور في مخلوقاته على ما اقتضاه القانون الخلقي التشبيهي وما حواه المخلوق من أنواع النقص، فإذا ظهر سبحانه في خلق من مخلوقاته على ما استحقه ذلك المظهر من التشبيه فإنه على ما هو ه من التنزيه، كذا في الإنسان الكامل. وفي **الاصطلاحات الصوفية** الرب اسم للحق عز اسمه باعتبار نسبة الذات إلى الموجودات العينية أرواحًا كانت أو أجسادًا، فإن نسبة الذات إلى الأعيان الثابتة هي منِا الأسماء الإلهية كالقادر والمريد، ونسبتها إلى الأكوان الخارجية هي منشأ الأسماء الربوبية كالرزاق والحفيظ. فالرب اسم خاص يقتضي وجوب المربوب وتحققهن والإله يقتضي ثبوت المألوه وتعيينه، وكل ما ظهر من الأكوان فهو صورة اسم رباني يرى به الحق وبه يأخذ وبه يفعل ما يفعل وإليه يرجع فيما يحتاج إليه وهو المعطي إياه ما يطلبه منه. رب الأرباب هو الحق باعتبار الاسم الأعظم والتعين الأول الذي هو منشأ جميع الأسماء وغاية

شرط الواقف المذكور شروطًا نصَّ عليها، فوجب العمل بها، والمصير إليها، منها أن أول ما

الغايات، إليه تتوجه الرغبات كلها، وهو الحاوي لجميع المطالب النسبية، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾. لأنه عليه الصلاة والسلام مظهر التعين الأول. فالربوبية المختصة به في هذه الربوبية العظمى انتهى. والرب مطلقًا لا يطلق إلا عليه تعالى وعلى غيره بالإضافة نحو: رب الدار مثلًا كذا في البيضاوي. التهانوي، محمد بن علي الفاروق، (1158هـ/ 1845م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناتي. ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م، ص840-841.

([1]) **الهيكل:** الضخم من كل شيء، والهيكل: العظيم، والهيكل: البناء المرتفع، الهيكل: البناء المشرف، ابن منظور، لسان العرب، م11، ص 700-701، مادة (هكل).

([2]) **الصمداني:** من الصمد، وهو الباقي الذي لا يزول، وقيل: الدائم. الشرقاوي، حسن، معجم ألفاظ الصوفية، ط2، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص192.

([3]) **رسلان البكري:** تقع زاوية الشيخ رسلان البكري في مدينة يافا القديمة، وتضم الزاوية رفاة الشيخ رسلان البكري، ومبنى الزاوية يتكون من غرفتين ومسجد صغير ومطهرة للاغتسال والوضوء وبئر ماء، ويقع بجوارها مقبرة عرفت باسمه دفن فيها شيخ الزاوية وبعض أتباعه، ويقتصر التعليم بها على القرآن الكريم وتفسيره، انظر: اليعقوب، محمد أحمد سليم، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، 2ج، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، 1999م، ج2، ص356.

([4]) **قدس الله سره:** من اصطلاحات الصوفية، وهي رتبة صوفية تعني الروح، والسر: هو الطالب للحق والمحب له والعارف به، وتعني تنوير العقل بنور القدس، وتخليصه من شوائب الوهم لقبول الفراسة والإلهام، الكاشاني، معج اصطلاحات الصوفية، ص120، 333.

([5]) **أبد:** دام، وخلد، والأبد: الأزل، وهو ثابت على حاله، ابن منظور، لسان العرب، م3، ص68، مادة (أَبد)؛ الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص 57.

([6]) من الآية: ﴿**ٱ نم نى ني هج هم هى هي يج**﴾، سورة مريم، الآية (40).

([7]) من الآية: ﴿**ٱ بهتج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم**﴾، سورة الأنبياء، الآية (89).

يبدأ[1] من ريع هذا الوقف بعمارته وما فيه بقاء عينه، ومنها أن جعل التولية والنظر له فيه مدَّة حياته، ثم من بعده تعود التولية[2] للسيد أحمد الكورة ابن المرحوم علي الكورة اليافي، ثم من بعده على الأرشد فالأرشد من ذريته الذكور دون الإناث، وتعود النظارة[3] لزوجته الحاجة[4] خديجة[5] بنت المرحوم إبراهيم البواب الدمياطي، ثم من بعدها على المتولي السيد أحمد الكورة المرقوم[6] إن كان حيًّا، أو على[7] من يكون متوليًّا من بعده من الأرشد فالأرشد من ذريته الذكور دون الإناث أبدًا ما داموا، ودائمًا[8] ما تناسلوا، فإن انقرضوا بأجمعهم تعود التولية[9] والنظارة[10] إلى متولي وناظر مقام زاوية مولانا الشيخ رسلان البكري المشار إليه أعلاه، كائنًا[11] من كان، ومنها أن المتولي والناظر يصرفان من ريع هذا الوقف في كل سنة بشهر رمضان الشريف بمائة غرش[12] خبز، يُوزِّعانه بظرف[1] الشهر المرقوم[2] على الأرامل

---

(1) جاءت في الأصل: يبدء.

(2) جاءت في الأصل: التوليه.

(3) جاءت في الأصل: النظاره.

(4) جاءت في الأصل: الحاجه.

(5) جاءت في الأصل: خديجه.

(6) المرقوم: المذكور.

(7) جاءت في الأصل: علي.

(8) جاءت في الأصل: دايما.

(9) جاءت في الأصل: التوليه.

(10) جاءت في الأصل: النظاره.

(11) جاءت في الأصل: كاين.

(12) **الغرش أو الغرس:** هو وحدة نقد عثمانية مشهورة، وهي أكثر وحدات النقد العثمانية انتشارًا وتعاملًا في المنطقة، وقد استخدم نوعين من الغروش في بلاد الشام، وهما: **القرش الصاغ، أو القرش الرائج جرك، فالقرش صاغ؛** هو القيمة الرسمية للغرش أو القرش، ويساوي أربعين بارةً. أما القرش الرائج، فهو الذي يستخدم في المعاملات التجارية، والشؤون العامة، وكانت قيمته أقل من قيمة القرش

المنقطعين في بيوتهن المحتاجين بحسب معرفتهما، ومنها أن يعطي لأحد الحفظة[3] المشهورين بالصلاح ماية غرش بكل سنة بشهر رمضان لأجل أن يقرأ[4] العاتقة الكبرى الصمدية[5] في ماية ألف مرَّة، ويهدي[6] ثوابها لحضرة[7] صاحب الرسالة[8] الأعظم صلّى الله تعالى عليه وسلَّم، وإلى آله وأصحابه الكرام، وإلى الواقف وعائلته[9]، وإلى[10] أموات المسلمين، ومنها أنه يعطى إلى مُحرِّره الفقير[11] صالح العقاد خمسين غرشًا[12] في كل سنة ليقرأ[13] في سطر الأشهر العظام رجب وشعبان ورمضان من كل سنة[14] اثنين وسبعين ألف مرَّة[15] لا إله إلّا

الصاغ، الطراونة، محمد سالم، قضاء يافا في العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2000م، ص423؛ رافق، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص86.

(1) **ظرف**: أثناء.

(2) المرقوم: المذكور.

(3) جاءت في الأصل: النظاره.

(4) جاءت في الأصل: يقرى.

(5) العاتقة الكبرى الصمدية: سورة الإخلاص.

(6) جاءت في الأصل: يهدى.

(7) **حضرة**: من الألقاب الفخرية التي شاع استخدامها في الدولة العثمانية، وهي من الألقاب التي أطلقت على رجال الدين، بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص85.

(8) جاءت في الأصل: الرساله.

(9) جاءت في الأصل: عايلته.

(10) جاءت في الأصل: الي.

(11) **الفقير**: من ألقاب التواضع والتذلل لله تعالى، وقد شاع هذا اللقب في العصر العثماني، بركات، الألقاب والوظائف، ص83.

(12) جاءت في الأصل: غرش.

(13) جاءت في الأصل: ليقرى.

(14) جاءت في الأصل: سنه.

(15) جاءت في الأصل: مره.

الله، وذلك ما دام على قيد الحياة، ثم من بعده يعطى ذلك لمن يتفرَّس[1] فيه الخير والصلاح بمعرفة المتولي والناظر إذ ذاك[2]، ومنها أنه يقرأ[3] في ليلة المولد الشريف من كل سنة[4] ختم ختم قرآن كامل، وفي ليلة المعراج الشريف من كل سنة[5] ختم قرآن كامل، ويهدي قولهما لحضرة صاحب الرسالة المعظم، وإلى آله وأصحابه الكرام، وإلى[6] الواقف وعائلته[7]، وإلى أموات المسلمين، ويعطي لمن يقرأ[8] ذلك عن كل ختمة[9] عشرة غروش، ومنها أن يُرتِّب شيخًا شيخًا من الحُفّاظ لكي يقرأ[10] دائمًا[11] مستمرًّا في كل يوم سورة ياسين بتمامها، ويهدي ثوابها على الوجه المتقدم ذكره، ويعطي لمن يقرأ[12] ذلك خمسين غرشًا[13] بكل سنة[14]، ومنها أنه يصرف في كل شهر من كل سنة غرشين ونصفًا ثمن ماء إلى زاوية مقام مولانا الشيخ رسلان

([1]) **تفرَّس:** توسَّمه، ويَتَفرَّس: يتثبت وينظر، والفِراسة، يكسر الفاء: في النَّظر والتَثبُّت والتأمل للشيء والبقر به. الفِراسةُ: بالكسر: التَّوسُّم، يقال تَفرَّس فيه الشيء، إذا توسَّمه، الزبيدي، تاج، ج15، م8، ص19، مادة (فرس)، ج15، ص8،؛ ابن منظور، لسان العرب، م6، ص160، مادة (فرس).

([2]) المقصود إذ ذاك: آنذاك.

([3]) جاءت في الأصل: يقرى.

([4]) جاءت في الأصل: سنه.

([5]) جاءت في الأصل: سنه.

([6]) جاءت في الأصل: الي.

([7]) جاءت في الأصل: عايلته.

([8]) جاءت في الأصل: يقرى.

([9]) جاءت في الأصل: ختمه.

([10]) جاءت في الأصل: يقرى.

([11]) جاءت في الأصل: دايما.

([12]) جاءت في الأصل: يقرى.

([13]) جاءت في الأصل: غرش.

([14]) جاءت في الأصل: سنه.

البكري المشار إليه أعلاه لأجل الوضوء، وغير ذلك ممّا يتعلّق بمنافع المسلمين، ومنها أنه مهما زاد عن ذلك من الريع يعطى إلى المتولي السيد أحمد الكورة المذكور، أو لمن يكون متوليًا من الأرشد فالأرشد من ذريته الذكور، أو لمن تولّى التولية إليه من بعدهم. ولمّا تمَّ الوقف والشروط على هذا الوجه المبسوط عن الواقف المرقوم[1] الرجوع عن وقفه هذا. فادَّعى[2] على على السيد أحمد الكورة المنصوب الآن[3] ناظرًا على الوقف المرقوم[4] لأجل تسجيله وتسليمه الحاضر معه بالمجلس الشرعي قائلًا[5] بدعواه[6] عليه، بأن هذا الوقف مشاع وعلى النفس، فلا فلا يصح عند بعض العلماء[7] الأعلام، سيَّما ولم يحكم بصحته حاكم شرعي، وطلب استرداده لملكه، فعارضه الناظر المرقوم[8] قائلًا[9] بأن الوقف المرقوم صحيح ولازم عند الإمام[10]الأعظم[11] والصاحب[1] المُقدَّم الإمام أبي يوسف[2] حماه الله تعالى من التأسُّف[3]،

([1]) المرقوم: المذكور.

([2]) جاءت في الأصل: فادعي.

([3]) جاءت في الأصل: الان.

([4]) المرقوم: المذكور.

([5]) جاءت في الأصل: قايلا.

([6]) **الدعوة:** مشتقة من الدُّعاء وهو الطلب، وفي الشرع يطلب به الإنسان إثبات حقّ على الغير، الجرجاني، معجم التعريفات، ص91.

([7]) جاءت في الأصل: العلما.

([8]) المرقوم: المذكور.

([9]) جاءت في الأصل: قايلا.

([10]) **الإمام:** ومعناه القدوة، ولقد شاع استخدام هذا اللقب بالدولة العثمانية لأهل الصلاح والزهد والعلم والشريعة، الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية بالتاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978م، ص345.

([11]) **الأعظم:** من الألقاب الفخرية التي شاعت استخدامها في العهد العثماني، وكانت تطلق على العلماء، بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص80.

التأسُّف[3]، وطال النزاع بين الطرفين، واشتد العداء بين الخصمين، وطلبا من مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه أعلاه الحكم بما يراه، فتأمَّل[4] مولانا المشار إليه أعلاه في دعوى الاثنين، وأمعن النظر[5] في كلام الفريقين، فترجَّح عنده وجه البر والتقوى، وحكم بصحة هذا الوقف ولزومه، وإن كان مشاعًا، وعلى النفس على ما عليه الفتوى، عالمًا بالخلاف الجاري بين

([1]) **الصاحب:** هو من الألقاب التشريفية والفخرية التي شاعت في العهد العثماني، بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص86.

([2]) **الإمام أبو يوسف:** يعقوب بن إبراهيم بن حنيش بن سعد الأنصاري الكوفي، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان فقيهًا عالمًا من حفاظ الحديث والرواية، ولد في الكوفة سنة (113هـ/ 731م)، وولي القضاء ببغداد في عهد المهدي والهادي والرشيد، له عدة مؤلفات، منها: الخراج، والآثار، وهو مسند أبي حنيفة، وأدب القاضي، والأمالي في الفقه، والرد على مالك بن أنس، والفرائض، كانت وفاته في سنة (182هـ/ 798م)، لمزيد من المعلومات، انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي (ت463هـ/ 1071م)، تاريخ بغداد، ج14، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)، ص242-262؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص378-390؛ الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/ 1347م)، تذكرة الحفاظ، 4ج، ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الهند، 1333هـ، وأعاد تصويره دار إحياء التراث العربي، ج1، ص292؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 748هـ/ 1347م)، سير أعلام النبلاء، ج8، أشرف على تحقيق وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ج8، ص470-473؛ الزركلي، خير الدين، أعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 8ج، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ج8، ص193، سيشار إليه لاحقًا: الزركلي، الأعلام.

([3]) جاءت في الأصل: التاسف.

([4]) جاءت في الأصل: متامل.

([5]) **أمعن:** دقق بتمعن، وأمعن النظر: دقق بقوة النظر، ابن منظور، لسان العرب، م13، ص409-412، مادة (معن).

الأئمة[1] الأسلاف، ومنع الحاج محمود المرقوم من الرجوع حكمًا ومنًّا صحيحين شرعيين، فامتثل لأمره امتثال مرضيًا، وأنه بموجب ذلك والحكم بصحة ما هنالك، صار جميع نصف الدكان المحدودة[2] والموصوفة[3] أعلاه وقفًا صحيحًا شرعيًّا، لا يباع، ولا يوهَب، ولا يُرهَن، ولا يُبدَّل، ولا يُستبدَل[4]. ألف فد فخ فم قد قم كج كد كخ كلكم لج لد لخ لم لهَّ[5]. وقد وقع أجر الواقف على الله الكريم الحليم، وقد طلب الواقف من مولانا الحاكم الشرعي تحرير وتسجيل ما وقع لديه، فأمر بتحريره وتسجيله، فحرَّر، وسجَّل كما هو الواقع في الثالث والعشرين خلا من شهر رجب الفرد الحرام، الذي هو من شهور عام سنة[6] خمسة وثمانين ومائتين وألف 23 ب [رجب] سنة 85[12هـ]/ 29 تشرين الثاني – نوفمبر 1868م[7].

شهود الحال: السيد لطفي النجار، السيد محمد أفندي[8] رباع الدجاني، السيد أحمد الكورة، مُحرِّره الفقير صالح العقاد[1].

---

(1) جاءت في الأصل: الايمه.

(2) جاءت في الأصل: المحدوده.

(3) جاءت في الأصل: والموصوفه.

(4) **الاستبدال**: أن تبدل العين الموقوفة بعقار آخر أو بمبلغ من المال لشراء عين به تكون موقوفة مكان العين التي بيعت. ويعد الاستبدال أحد وجوه الاستثمار، الخصّاف، أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني، (ت261هـ/ 874م)، أحكام الأوقاف، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، القاهرة، 1904م، ص23؛ ابن عابدين، محمد أمين (1252هـ/ 1836م)، رد المحتار على الدر المختار، 5ج، دار الفكر، بيروت، 1992م، ج4، ص40.

(5) سورة البقرة، الآية (181).

(6) جاءت في الأصل: سنه.

(7) حرف الباء: اختصار لشهر رجب.

(8) **أفندي**: لقب أطلق على أخي السلطان سليمان بادشاه سلطان قمطمونية، وقد استعمل في العهد العثماني للهيئات العلمية القضائية، ابن بطوطة، تحفة النظار، ج1، ص347؛ اليعقوبي، محمد أحمد

سليم، ناحية القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، 1999م، ص 209.

([1]) محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 23 رجب 1285هـ/ 29 تشرين الثاني- نوفمبر 1868م، ص71-72.

زكي صالح منهجه وطريقة تفكيره
من خلال مقدمة كتاب
بريطانيا والعراق حتى عام 1914
دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري(•)

الاستاذ الدكتورة
ناهده حسين علي الاسدي

ملخص البحث

البحث هو قراءة في مقدمة كتاب المؤرخ العراقي زكي صالح الذي حمل عنوان (بريطانيا والعراق حتى عام 1914.. دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري) ومن خلاله نستكشف القراءات والافكار ونعرف المنهجية واليات التفكير والبحث، فالكتاب يتألف من 308 صفحة صدر في بغداد عام 1968، وهو مقسم الى بابين تضم كل باب اربعة فصول، والكتاب دراسة تاريخية تتبع فيها تطور النفوذ البريطاني في العراق منذ ظهر الانكليز على مسرح الشرق الاوسط والتغلغل في الخليج العربي، وقدم متابعة للمصالح البريطانية في اطار التنافس الدولي حول الشرق الاوسط.

ولعل ابرز ما في الكتاب مدار البحث الذي وضع فيه خارطة العراق تحمل عنوان العراق قلب الشرق الاوسط، هو مقدمته الممتدة من الصفحات 17-32 التي تضمنت افكار واليات ومنهج بحث المؤلف المؤرخ زكي صالح، فقد اشار الدكتور زكي صالح في مقدمته اشارات عابرة لبعض المصطلحات المألوفة وكيف تكتب واعطى وصفا للمصطلحات وطريقة كتابتها، وايضا

• زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام 1914 .. دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، ط/ مطبعة العاني 1968.

عند ذكر التواريخ وضع توضيح وتفسير لطريقة كتابتها باللغتين العربية والانكليزية، ونوه بشان المفاضلة بين استخدام مراجع او مصادر او منابع، وكان يميل كما يقول في مقدمته الى اختيار مفردة مصادر بانها تفي بالحاجة، ولا يوجد في المصادر العربية ما يرجع واحدة على حساب الاخرى. وتضمنت المقدمة قراءة ومتابعة لمراحل تطور تأليف الكتاب وتضمنت سيرة المؤلف وانجازاته العلمية، فضلا عن استعراضه لاهم الآراء لمؤرخين عالميين ابدو رايهم في كتابه، فالمقدمة لوحدها تكفي للتأمل واستخراج الافكار والاليات في البحث العلمي، وتكفي لتقديم قراءات وتحليل وطريقة تفكير للمؤرخ زكي صالح.

Britain and Iraq until 1914 .. A study in international history and colonial expansion

Research Summary

The research is reading in the introduction to the book of the Iraqi historian Zaki Saleh, which was titled (Britain and Iraq until 1914 ... A Study in International History and Colonial Expansion) through which we explore readings and ideas and know the methodology and mechanisms of thinking and research, as the book consists of 308 pages, issued in Baghdad in 1968. It is divided into two chapters, each containing four chapters, and the book is a historical study in which the development of British influence in Iraq since the appearance of the British on the stage of the Middle East and penetration in the Arabian Gulf, and it provides a follow-up to British interests in the context of international competition over the Middle East.

Perhaps the most prominent feature of the book, in the course of research in which the map of Iraq was set, bearing the title of Iraq, the

Heart of the Middle East, is its introduction extending from pages 17-32, which included the ideas, mechanisms, and methodology of the author, historian Zaki Salih's research. And how to write and give a description of terms and the way they are written, and also when mentioning dates, an explanation and explanation of the way they are written in both Arabic and English was made, and he noted the trade-off between the use of references or sources or sources, and he tended, as he says in his introduction, to choose a single

source that meets the need, and is not found in the sources Arabic does not return one at the expense of the other. The introduction included reading and follow-up of the development stages of the book's writing and included the author's biography and scientific achievements, as well as his review of the most important opinions of international historians who expressed their opinion in his book. The introduction alone is sufficient for contemplation and the extraction of ideas and mechanisms in scientific research, and it is sufficient to .provide readings, analysis, and way of thinking for historian Zaki Saleh

تقديم:

ولد الدكتور زكي صالح ببغداد عام 1908 وتوفي سنة 1986 ببغداد ، فقضى 78 سنة من عمره بالبحث العلمي والتأليف والتدريس والنشاطات العلمية المميزة، ويؤكد احالة نفسه على التقاعد عام 1968 بانه يميل ويهتم بالبحث العلمي اكثر من اهتمامه بالإدارة والوظيفة.

سنحت امام المؤرخ زكي صالح فرص نتيجة ما تميز به من تفوق في انه حصل على بعثات خارج العراق لإكمال دراسته في المراحل الجامعية البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، واختلطت خبراته مع خبرات مؤرخين عالميين، اذ ان دراسته على ايديهم منحته خبرات وقدرات مضافة. فضلا عن ذلك فان خبراته متأتية ليس من خلال الدراسة والبحث في جامعات ومؤسسات علمية رصينة، بل انه عزز ذلك بان عمل استاذ زائر في جامعات اخرى مشهود لها بالعلمية والرصانة، ومثل العراق بمؤتمرات دولية مهمة. وبالتالي فان تفوقه وقدرته العلمية تعززت من خلال التجربة العالمية والخبرات العالمية التي اكتسبها في الجامعات والمحافل الدولية الرصينة.

واتسمت كتابات المؤرخ الرائد زكي صالح بالأمانة العلمية والابتعاد عن الميول والاتجاهات الخاصة او الضيقة، وعندما يكتب فانه حريص على جمع الحقائق بالموضوع، فضلا عن الاهتمام بالفرعيات والاجزاء، وبالتالي يحافظ على وحدة الموضوع ويلم به من كل جوانبه. زيادة على انه تميز بقدرته على عرض المادة العلمية بأسلوب شيق علمي مترابط متماسك، ويقدم مادة علمية متكاملة ومفيدة دون اسهاب او تكرار.

لذلك فان من مؤشرات منهج البحث العلمي لدى المؤرخ العراقي زكي صالح انه توصل الى حقائق اكدت على ان السياسة البريطانية سارت منحى خطير في تأييد سلطة الشيوخ والاهتمام او الاحتفاظ بالكيان العشائري، وبالتالي فهو ادرك ان احد اهم اسباب التعثر في تعزيز وتقوية وتوحيد القضاء وترسيخ الولاء للوطن هو الاهتمام بالقبيلة على حساب الوطن والرابط الوطني، وهذه المسالة حالت دون تعميق وممارسة النظام الديمقراطي.

ومن خلال قراءة واستعراض لابرز مؤلفاته نلاحظ انهما اخذا اهتماما بمسالتين هما العراق وفلسطين، ولعل فلسطين كانت من اصداراته المبكرة عندما تناولها في موقف فلسطين من التقرير الانكليزي الامريكي لعام 1946 والذي صدر عام 1947، ولكن الاثر البار في ذاكرته التاريخية المؤلفات والكتابات عن تاريخ العراق، ودراسة الاستعمار والمصالح الاستعمارية الانكليزية في العراق.

البحث

اول انتباهه وقراءة لعنوان الكتاب يظهر انه دراسة في التاريخ الدولي، ومفردة التاريخ الدولي لم تكن ولا تزال محدودة الانتشار، وقدم زكي صالح توضيحا دقيقا وتعريفا لهذه المفردة العلمية وهذا النوع من الدراسات العلمية.

ثم انفرد المؤرخ زكي صالح بمقدمة الكتاب التي تعد قراءة منهجية وفكرية وفيها دلالات عديدة، اذ تضمنت ثلاث فقرات مهمة هي سيرة الكتاب ومغزى الكتاب ومنزلة الكتاب، وقد تضمنت هذه المقدمة معاني وقراءات مفيدة شكلت مادة البحث الاساسية.

في الباب الاول وهو يحاول ان يتلمس السبل الى العراق، فانه بالتأكيد من خلال مقدمات تعالج ظهور الانكليز على مسرح الاحداث في الشرق الاوسط مع متطلبات التنافس والصراع في هذه المنطقة، والذي يصطدم اولا مع الدولة التي كانت تهيمن على المساحة الاكبر في الشرق الاوسط وهي الدولة العثمانية، ثم بقية القوى المنافسة، لذلك فان طلائع بحثه في الفصل الاول الذي حمل عنوان ظهور الانكليز على مسرح الشرق الاوسط، وارتأى ان يبدا بمنشأ الامتيازات البريطانية في الدولة العثمانية، وصولا الى هيمنة بريطانيا على الخليج العربي.

واعتمد المؤرخ زكي صالح في تقسيمه للكتاب الى تبويب كتابه الى بابين، الاول حمل عنوان (السبل المؤدية الى العراق)، وهو عنوان مختصر جدا ووافي جدا، اذ ان في مضمونه على الرغم من اختصار كلماته يضم فصول عديدة واسعة في البحث، كانت اربعة فصول. وفي الباب الثاني حمل عنوان (الشؤون الخاصة بالعراق)،و يبدو ان هذه السمة التي اتسمت بها اختياراته للعناوين هي ميزة تدل على قدراته العلمية.

فالعنوان الفرعي يستمد معلوماته الاساسية من العنوان الرئيسي، وبالتالي يتجنب التكرار والملل في ذكر العناوين، وتمت تغطية هذا الباب بأربعة فصول ايضا متنوعة في مباحثها وتغطي متطلبات البحث بما يختص بعنوان الباب.

في الفصلين الثالث والرابع تناول فيهما التنافس البريطاني الفرنسي في الشرق الاوسط خلال فترتين ، الاولى انتهت عام 1801، والثانية غطت التنافس خلال السنوات 1802-1809،مع مراعاة التسلسل التاريخي للأحداث ، وجعل من الفصل الاخير الرابع من هذا الباب من كتابه

الذي حمل عنوان على ابواب العراق، واخذ يدخل في صلب الموضوع، وعالج هذا الفصل بمبحثين اولهما تعزيز النفوذ البريطاني واتساعه، والثاني تناول النفوذ البريطاني في العراق في اواخر عهد المماليك.

وانا اقوم بمهمة القراءة والتحليل، فقد لاحظت التوازن في حجم الفصول، ولم يحدث بينهما خللا، فالصل الاول 22 صفحة، والفصل الثاني 24 صفحة والفصل الثالث 32 صفحة والفصل الرابع 25 صفحة، وبالتالي فان دقة وتركيز العناوين الرئيسية والفرعية والتسلسل التاريخي للأحداث، ثم التوازن بين فصول المادة العلمية، كانت ابرز معاني الباب الاول.

وفي الباب الثاني الذي حمل عنوان (الشؤون الخاصة بالعراق) حافظ على وحدة الموضوع وتماسكه في تتبع الصراع والمصالح الدولية، وتناول في الفصل الاول من هذا الباب التنافس البريطاني الروسي واستقرار النفوذ البريطاني ، ثم واصل البحث في الفصول اللاحقة في تنوع المصالح البريطانية، ومنح التنافس البريطاني الالماني فصلين غطى فيهما التنافس بينهما بموضوعات مفيدة واساسية في متطلبات البحث. وحافظ على التوازن بين الفصول مثلما حافظ على التسلسل التاريخي، وبالتالي فأننا امام دراسة للتاريخ والتنافس الدولي بشكل عام وفي العراق بشكل خاص.

مقدمة الكتاب:

في المحور الاول من المقدمة الذي حمل عنوان (سيرة الكتاب) في حقيقته هو عملية مزاوجة بين سيرة الكتاب ومراحل انجازه وسيرة المؤلف، اذ ان المقدمة بشكل عام تشكل اضافة نوعية في مجال البحث في الفكر التاريخي، وقدم للباحثين مادة علمية دسمة لمعرفة اتجاهاته وسيرته ونقاط القوة لدية، فالفصول الخمسة الاولى من كتابة هي اطروحة دكتوراه من جامعة كولومبيا حصل عليها زكي صالح عام 1941، بأشراف الدكتور كارلتون هيز(•).

• كارلتون جوزيف هنتلي هايز، ولد في ١٦ مايو ١٨٨٢ ، أفتون ، نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية، كان مؤرخًا أمريكيًا ومعلمًا ودبلوماسيًا وكاثوليكيًا متدينًا وباحثًا. كان طالب التاريخ الأوروبي خبيرًا رائدًا ورائدًا

وكأنما جاء ليخبرنا باسم الجامعة التي تخرج منها واسم المؤرخ المعروف الذي عمل تحت اشرافه، واشار الى الوصف الذي اعطاه كارلتون هيز للمؤرخ العراقي زكي صالح بعد ان اطلع على نتاجه المتمثل بالكتاب موضوع البحث، بانه ازداد يقينا ان ذلك صفة علمية دقيقة ووصف عمله بانه من الطراز الاول في تاريخ العراق.

وفي حديثه عن نفسه والمجالات التي بحث بها والمؤسسات التي عمل فيها، اشار في هذا المحور من مقدمته، فيقول انه اشتغل معظم العقدين (1941-1961) استاذا للتاريخ الحديث ورئيسا لقسم العلوم الاجتماعية في دار المعلمين العالية(•) في بغداد، ثم رئيسا لقسم التاريخ بعد انفصاله عن باقي العلوم الاجتماعية. وعندما انشئت دار المعلمين العالية كجزء من كليات جامعة بغداد اصبح الدكتور زكي صالح رئيسا للقسم الموحد قسم التاريخ تحت عنوان دائرة

في القومية. توفي في 2 سبتمبر 1964 م ، مركز سيدني ، نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية.(ويكيبيديا (بالإنجليزية)

• دار المعلمين العالية

دار المعلمين العالية (1923-1958) هي مؤسسة تربوية قديمة أسست في بغداد عام 1923. وفي سنة 1927 أصبحت (دار المعلمين العالية) معهدا قائما بذاته بمنهج نهاري كامل (علمي وأدبي) ولمدة سنتين دراسيتين مع (قسم داخلي) ملحق بها. وتعرف الآن كلية التربية ابن رشد، حيث كان على من يريد الالتحاق بها دفع رسوم دراسية. الغيت دار المعلمين العالية في العام 1930. وفتحت الدار أبوابها مرة أخرى في العام 1935 وفي العام الدراسي 1937 - 1938 استقبلت الدار أول وجبة من الفتيات العراقيات، وفي العام 1939 أصبحت مدة الدراسة 4 سنوات بعد إن كانت ثلاثاً يمنح الطالب بعد إنهائها شهادة البكالوريوس في العلوم أو الآداب أو التربية. وفي العام الدراسي 1941_1942 الحق بها فرع لتدريس اللغات الأجنبية. وفي العام الدراسي 1942_1943 مددت الدراسة فيها إلى خمس سنوات، إذ اضيفت سنه تحضريه لها بهدف اعداد الطلبة الجدد للمراحل اللاحقة، وقسمت الدراسة فيها إلى فرعين :الأول : فرع الاداب : ويشمل مواد اللغة العربية والإنكليزية والجغرافية والتاريخ. والثاني :فرع العلوم : وتشمل الدراسة فيها مواد : البيولوجيا (علم الاحياء) والفيزياء والرياضيات.(من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

التاريخ، وقدم استقالة من رئاسة قسم التاريخ في كلية التربية عام 1960 واستقال من رئاسة القسم الموحد في عام 1961. وتخلل هذه الفترة انه قضى سنة 1954-1955 زميلا بحاثه في جامعة كولمبيا بولاية نيويورك، حيث انه تفرغ للبحث سنة كاملة لجمع مادة علمية لكتابة مدار البحث من المكتبات ودور السجلات الانكليزية اولا والامريكية ثانيا.

وتحدث عن نتاجاته العلمية خلال الحقبة من الزمن التي حددها، فاسهم في تأليف كتابه التاريخ للمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وكتب رسالة عن فلسطين والتقرير الانكليزي الامريكي لعام 1946، ويفسر سبب ذلك التأليف هو لغرض التعريف بالقضية الفلسطينية اجمالا، واصدر كتاب اخر عن رحلته الى الهند في منتصف القرن العشرين، واصدر بحثا وجيزا تحت عنوان (اليونسكو وتدريس التاريخ)، واصدر زكي صالح كتابه (مقدمة في دراسة العراق المعاصر 1914-1953)، ونشر رسالة في اللغة الانكليزية دافع فيها عن المؤرخ العلامة ارنولد توينبي(•)، بعد ان تعرض لحمله شنها عليه تريفور روبر(•) استاذ التاريخ الحديث في

• أرنولد جوزيف توينبي ولد عام 1889م في لندن وتوفي سنة 1975م، يُعدُّ واحدًا من أشهر المؤرّخين في التاريخ، ومن أشهر مؤرّخي القرن العشرين على وجه التحديد، اهتمّ بدراسة الحضارات والحضارة الهيلينية على وجه الخصوص، ودرس الأدب اللاتيني والأدب اليوناني في جامعة أوكسفورد الشهيرة، استطاع أن يتقن اللغات اللاتينية واليونانية القديمة والحديثة والفرنسية والإيطالية والألمانية، وكذلك ألمَّ باللغة العربية واللغة التركية، ألّف كتبًا كثيرة من أشهرها موسوعته الأشهر دراسة التاريخ التي جاءت في اثني عشر مجلّدًا تزخر بآرائه ونظريّاته تجاه التاريخ وكيفيّة دراسته على نحو صحيح من وجهة نظره، فكان اهتمامه منصبًّا على المجتمعات لا الأمم، وكانت مصادره الفكريّة مستمدّة من القراءات والترحال وما تعلّمه في أثناء دراسته، وسيقف المقال فيما يأتي مع نبذة وإضاءات على حياة أرنولد توينبي وأبرز ما يحمله من أفكار ونظريّات حول التاريخ والدين والطبيعة البشريّة وغيرها.(موقع سطور الالكتروني)

• **هيو ريدوالد تريفور-روبر** ، ولد في 15 يناير 1914 وتوفي في 26 يناير 2003) ، مؤرخًا بريطانيًا لبريطانيا الحديثة المبكرة وألمانيا النازية. كان أستاذاً للتاريخ الحديث في جامعة أكسفورد. حصل تريفور روبر على جائزة الأقران في عام 1979 بناءً على توصية من رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر ، واختار

جامعة اكفورد. [1] وعلى العموم فان الكتاب مدار البحث صدر بعد خمسة عشر عام من بدايته الاولى وكما اشرنا حصل على تفرغ علمي لمدة عام لهذا الغرض لجمع المعلومات، وصدر الطبعة الاولى منه عام 1957 وصدرت الطبعة الثانية بعد ذلك بتسع سنوات.[2]

وفي استعراضه العلمي لمراحل البحث في هذا الكتاب، فقد اكد ان فصوله بدأت من التوسع الاوربي في ارجاء العالم بعد الاستكشافات الجغرافية وقيام الثورة التجارية، فضلا عن انه اكد ان المراكز التجارية والمستعمرات كانت محمية من الحكومات، ومنذ عام 1580 حصلت الملكة اليزابيث على تعهد لحماية التجار البريطانيين، ثم تناول تغلب البريطانيين على البرتغاليين في حوض الخليج العربي ومن ثم على الهولنديين، وعلى الرغم من ان هذه فترة طويلة سابقة لوجود البريطانيين في العراق ، الا انه يرى ان وصول البريطانيين الى الخليج العربي بوصفه المنفذ الوحيد نحو العراق، زيادة على انه حجر الزاوية لنفوذ بريطانيا في الشرق الاوسط، ويضع زكي صالح عام 1798 الحملة الفرنسية على مصر منعطف مهم في مصالح بريطانيا في شؤون الدولة العثمانية، وكان لها الاثر في علاقات بريطانيا بالبلاد الواقعة بين

لقب ***البارون داكري من غلانتون*** . كان تريفور روبير عالم جدلي وكاتب مقالات حول مجموعة واسعة من الموضوعات التاريخية ، وخاصة إنجلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر وألمانيا النازية. أثبتت مقالاته سمعته كعالم يمكنه أن يحدد بإيجاز الخلافات التاريخية. كان كتاب تريفور روبر الأكثر قراءة على نطاق واسع والمجزية ماليا بعنوان" *آخر أيام هتلر* .(1947) "ظهر من مهمته كضابط مخابرات بريطاني في عام 1945 لاكتشاف ما حدث في الأيام الأخيرة من مخبأ هتلر. من خلال المقابلات التي أجراها مع مجموعة من الشهود ودراسة الوثائق المتبقية ، أظهر أن هتلر قد مات ولم يهرب من برلين. "سمعة تريفور روبر" تضررت بشدة "في عام 1983 عندما قام بتوثيق مذكرات هتلر قبل فترة وجيزة من أنها كانت مزورة. (Minir موسوعة باللغة العربية)

[1] زكي صالح، المصدر نفسه،18. ويوضح زكي صالح بان جريدة الصنداي تايمس اللندنية رفضت نشر الرد، وانه بعث نسخه من مقالته الى المؤرخ ارنولد توينبي الذي عبر عن سعادته بها بكلمات بليغة الى الدكتور زكي صالح.

[2] زكي صالح ، المصدر السابق، 19.

القسطنطينية وكلكتا.[1] فقدم زكي صالح وصفا لخطة البحث بطريقة سلسة تتضمن قراءات ومعلومات ووصف للعلاقات الدولية، وليس بالطريقة التقليدية لوصف المحتويات وخطة البحث ، انما حصيلة من القراءات والتحليلات التي تضع مسارات وخطوات البحث.

مغزى الكتاب

المغزى الاستعماري

وفي الوقت الذي جعل فيه زكي صالح الاستعمار البريطاني نموذجا للاستعمار الغربي، فانه جعل العراق نموذجا واسعا لطبيعة العلاقة بين الدولة القوية والشعوب المستضعفة، ثم عرج باسلوب مختصر ووافي الى بيان اساليب هذا الاستعمار من شركات ومغامرين(بناة) ورعاية حكومية ومعاهدات وخلص الى اسلوب التنافس الدولي.[2]

ويعتقد زكي صالح كما يشير الى ذلك في مغزى الكتاب، انه بالنسبة للعراق خاصة وللشرق الاوسط عامة فان المصالح البريطانية وسياسة بريطانيا واهدافها هي ذاتها ولم تتغير، وهي نموذج لكل مصالح الدول الاستعمارية الغربية، وذلك مرده الى الاهمية الاستراتيجية للشرق الاوسط بوصفه جسر يربط اسيا بارقيا، وطريق يربط بين البحر المتوسط والمحيط الهندي، وجاء النفط ليضيف اهمية جديدة يصفها بانها ذات خطر، ويعطي الارجحية للموقع الجغرافي، وهذه الانتقالات العلمية في وصف السياسة الاستعمارية ومصالح الدول الاستعمارية واساليبها كلها تتم من خلال ربط علمي مع فصول هذا الكتاب، فالمقدمة لوحدها خلاصة وفكر وعلم.[3]

وعلى صعيد المغزى الدولي، فقد اشار زكي صالح الى مسالة اثارها كتابه عندما جعل من معاهدة 1801 بين بريطانيا وبلاد فارس بانها تحول في الدبلوماسية الحديثة الى فن معقد بالاستناد الى قواعد فيها الحصول على اكثر ما يمكن والتنازل عن اقل ما يمكن تحت ستار

---

[1] المصدر نفســـــه، ص/20.

[2] المصدر نفســـــــه، ص/22.

[3] المصدر نفســـــــــه، ص/23.

الصداقة ووصفها بانها قواعد انسانية مطلقة في العلاقات الدولية. وهذه القواعد ترعرعت واشتدت واوصلت العالم الحديث الى اعتماد الحيل والاسباب ووسائل الفتك والدمار، واستخدم زكي صالح في مقدمته وفي كتابه بمفردات وصياغات رصينة كالقول(تحت ستار كثيف) و (فيض من الدراسات)، ويتوقف عند مسالة مهمة بان وصف التناقض في الخطاب والسياسات الذي اعتمد من قبل الدول المعنية بالاستعمار، فهي في الوقت الذي اطلقت صفة الخير على مشروعاتها فأنها اعتمدت اساليب منافية للإنسانية.[1] وبالتالي نقول ان المؤرخ زكي صالح على الرغم من انه درس وعاش في ظل الدولة الامبريالية بريطانيا، الا انه لم يجامل او يتخلى عن علميته ومهنيته في الوصف، وعلى الرغم من تجنبه الاساءة الى الشعب البريطاني، الا انه انتقد سياسة الدولة الاستعمارية.

ورفض زكي صالح استخدام عبارة او وصف بريطانيا الغادرة، فاستعان بمقولة للامير فون بيلو(•) بان من المناسب ان يكون الوصف(انانية صحيحة ومعقولة)، اذ اعتبرت بريطانيا نفسها المثال الذي يحتذى به في قيادة المجتمع نحو التمدن. فالقوة الضاربة اصبحت هي المقياس للمكانة الدولية، وعليها وحدها يعتمد مفهوم الدول العظمى ، وهذا ما عملت به اليابان، بعد ان رات ان ميدان الثقافة والفن لا يجدي نفعا لوحده، وبعد ان انتصرت في معركة 1905 مع روسيا دخلت ميدان السياسة الدولية كدولة عظمى، فالأنانية والركون الى القوة في التعامل بين الشعوب والامم، على الرغم من انه قديم، الا انه ارتفع شانه كمظهر بدائي الى اقصى ما يمكن

---

[1] المصدر نفســــــــــــه، ص/24.

• الأمير برنارد هاينريش كارل مارتن فون بولو(Prince Bernhard von Ballow)،ولد في المانيا 3 مايو 1849 ، وهو مستشار الإمبراطورية الألمانية ورئيس الوزراء البروسي من 1900–1909. قبل الحرب العالمية الأولى ، الإمبراطور الثاني. اتبع سياسة توسيع ألمانيا مع فيلهلم. كان والده وزير الدولة المسؤول عن الشؤون الخارجية في حكومة بسمارك. توفي في ايطاليا 28 أكتوبر 1929. ويكيبيديا

على يد الغرب.[1] ومنذ وقت مبكر من التاريخ الحديث وفي بواكير الانطلاقة العلمية الحديثة للمؤرخ العراقي، فقد اثبت زكي صالح جدارته كمؤرخ مرموق في تفكيره وفكره.

منزلة الكتاب

والكتاب كما يصفه مؤلفه يقع ضمن ما يعرف بالتاريخ الدولي او التاريخ الدبلوماسي، وهنا يؤكد على كلمة التاريخ، فقد جرى التفريق في الدراسات الاختصاصية بين موضوع العلاقات الدولية من جهة وبين تاريخها من جهة ثانية، فالتاريخين يعالجان قضايا تعد من الماضي، ولكن التاريخ الدبلوماسي يتناول قضايا لا تزال معلقة المصير، وان الصلة بينهما كما هي الصلة بين المقدمات والنتائج او بين الاصول والفروع.[2]

ولقد اهتمت بعض الامم اهتماما كبيرا بما يدعى بالتاريخ الدولي او الاممي، وذكر امثلة على ذلك الاهتمام، فقد تأسس في لندن المعهد الملكي للأبحاث الدولية، وفي جامعة لندن هناك قسم خاص بالتاريخ الدولي، وعلى هذا المنوال في بقية الدول كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والهند. اذ تعد الهند في مقدمة الدول الشرقية التي اولت اهتماما بموضوع التاريخ الدولي، حيث افتتح فيها معهد الدراسات الدولية سنة 1955، وفي الوطن العربي بادرت مصر سنة 1965 بأنشاء معهد للدراسات الدبلوماسية.[3] وهنا وضع انتقاله علمية في التنبيه الى مسالة علمية ووصف لمصطلح الدولي.

وان تاريخ توسع الدول الكبرى(الاستعمار والامبريالية) يقع ضمن موقع الاساس في التاريخ الدولي، ويعطي وصفا جميلا ذلك بالقول كانت الامبريالية هي الجوهر والدبلوماسية هي العرض.

---

[1] زكي صالح ، المصدر السابق، ص/25.

[2] المصدر نفســــــــه، ص/26.

[3] المصدر نفســــــــه، ص/27.

ويضع زكي صالح كتابه في مجال التوسع الاستعماري في مجال التاريخ الدولي، على صعيد الدراسات في البلاد العربية والاسلامية، بعد الكتاب الذي صدر عن المعهد الملكي للأبحاث الدولية تحت عنوان البلاد الاسلامية منذ تسوية السلم وكان بقلم ارنولد توينبي.[1]

ويعرف زكي صالح التاريخ الدولي بالقول انه العناية بماضي العلاقات بين الدول او بين الدول والشعوب التي تعوزها مقومات الدولة سواء اكانت تلك العلاقات ثنائية ام متعددة الاطراف. وقد نبه الى ثلاث قضايا قد تكون متباينة علميا، الا انها مهمة عمليا وهي الدعاية والدبلوماسية والتاريخ بمعناه الصحيح، فالعلم الصحيح يعني غير الدعاية ويعني غير الدبلوماسية التي تفيد منه او تستند اليه، ولكل من هذه الاطراف الثلاث قدره واسلوبه وضروراته، غير ان التاريخ يجب ان يرتفع الى منزلة وصفها بالقول (قل الحق ولو على نفسك) حتى يصبح حريا للاهتداء بهدية ولأحرازه مكانة عالمية، فهو يسعى الى ان يرتقي أي نتاج فكري حديث الى مستوى راق ويأخذ مكانة مرموقة.[2] فالمؤرخ الحقيقي هو من يعرف قدر علمه واختصاصه ويرفعه، وبالتالي فانه يركز على رفع مكانة التاريخ كعلم وعلى شروط وضرورات الارتقاء به.

ولغرض تأكيد الاهمية المعنوية لكتابة موضوع البحث، فقد استعان زكي صالح براي استاذه كارلتون هيز الذي وصف كتابه بانه اضافة حقيقية ومهمة للعلم، فضلا عن تأكيد الاستاذ البرت حوراني(•) على منزلة البحث الفذة في تاريخ العراق الحديث، فضلا عن راي المؤرخ

---

[1] المصدر نفســــــــــه، ص/28.

[2] المصدر نفســــــــــه، ص/29.

• مؤرخ إنكليزي من اصل لبناني متخصص في تاريخ العرب والشرق الأوسط.ولد في مدينة مانشستر الإنكليزية وهو ابن فضلو عيسى الحوراني وسمية الراسي. هاجر أبويه من مرجعيون والتي تقع اليوم في جنوب لبنان، اعتنقت عائلته المذهب البريسيتانتي بعد أن كانوا اتباع للمذهب الأرثوذكسي اليوناني ولكن البرت نفسه اتبع المذهب الكاثوليكي عند بلوغه.حاول ابوه ادراجه في مدرسة عامة ولكنها لم تسمح بذلك لانها "لا تقبل الاجانب" ففتح فضلو مدرسة صغيرة لتدريس البرت واطفال أخر من عوائل مهاجرة ودرس فيها ألبرت إلى سن الرابعة عشر، ثم انتقل إلى اكسفورد ودرس في جامعتها في كلية مريم المجدلية. درس في الجامعة الفلسفة والسياسة والاقتصاد والتاريخ. تخرج عام 1936 وكان الأول على دفعته. ثم التحق بالجامعة

العلامة ارنولد توينبي حيث اكد ان الانطباع الذي تركه كتاب زكي صالح في نفسه هو ان العراق لم يكن خلال تلك القرون الثلاث في وضع مريح او وضع طبيعي، وراي اخر للدكتور فرينز شتيات(•) الذي نشره كتعقيب في الحولية العالمية لدراسة التاريخ التي صدرت خلال العام 1959-1960 اكد فيه ان ما اتصف به الكتاب من حياد علمي ودقة في البحث جعلته بعيد الاثر فيما ذهب اليه، ثم يضيف راي اخر ل (كنجزلي مارتن) المحرر الاقدم لمجلة نيوستيتسمان البريطانية فقد وصف الكتاب بانه معالجة كاملة لموضوع معقد جدا ووصفه بانه مرجعا لمعرفة تاريخ الامبريالية البريطانية في الشرق الاوسط، ومن اهم الرسائل التي وصلت بشان الكتاب، هي رسالة الاستاذ و.ن. مدليكوت استاذ التاريخ الحديث في جامعة لندن ويعد خليفة ارنولد توينبي، فقد اشار في رسالته الى ان هذا الكتاب بحث علمي في موضوع كبير.[1] واكد و.ن. مدليكوت اراءه في كتابة مقدمة لكتاب زكي صالح في طبعته الثانية التي صدرت عام 1966، اذ اكد ان البحث اسهام مرموق في التاريخ الدبلوماسي وانه لا يقتصر على تاريخ لبلاد ما بين النهرين بل يتعداه الى انه دراسة في سياسة بريطانيا الخارجية، فضلا عن ما تحلى

الأمريكية ببيروت فدّرس العلوم السياسية والتاريخ بين 1937 – 1939 وعاد إلى بريطانيا مع اندلاع الحرب العالمية الثانية فعمل في وزارة الخارجية، ثم في المكتب العربي، كما عمل أستاذاً في مادة تاريخ الشرق الأوسط الحديث في جامعة أكسفورد حتى تقاعده عام 1979. درس أيضا في جامعة شيكاغو وجامعة بنسلفانيا وجامعة هارفرد. (المكتبة الشاملة، البرت حبيب الحوراني)

• المستشرق الكبير فريتس شتيبات24) Fritz Steppat (يونيو 1923 ـ 7 أغسطس 2006)هو أول مدير مهم لمعهد جوتهبالقاهرة (1955 ـ 1959)، ومدير لمعهد الشرق في بيروت (1963 ـ 1968)، وأستاذ للدراسات الإسلامية في جامعة برلين الحرة (1969 ـ 1988.(شخصيات في الخاطر (الراحلون): البروفيسور فريتس شتيبات (24 يونيو 1923 ـ 7 أغسطس 2006) .. بقلم: د. حامد فضل الله، برلين، http://www.sudanile.com

[1] زكي صالح ، المصدر السابق، ص/29.

به من قوة المحاكمة التي جعلت الكتاب رائدا ممتازا في موضوع مهم، ينضاف الى ذلك المادة الغزيرة التي قدمها الكتاب للمناقشة والمناظرة العلمية.[1]

تعد مقدمة كتاب بريطانيا والعراق حتى عام 1914.. دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري للمؤرخ زكي صالح دراسة وقراءة فكرية تاريخية تنفع بان يقدم خلاصة في أي دعوة لعقد او تأسيس مدرسة فكرية تاريخية، فدراسة هذه النماذج المميزة الفريدة من الفكر والقراءة هي قراءات ودروس. فالمؤرخ يحتاج صياغات ومفردات وخطاب ناضج ومفاهيم وقدرة على التحليل، فضلا عن قدرة تنظيمية في الحفاظ على تسلسل الاحداث والتوازن بين الفصول واحكام صياغة العناوين، ليس هذا لوحده يكفي، انما فهم الاحداث وتحليلها والربط والخلاصات تعد مهمة، زيادة على ان يحافظ المؤرخ على مهنية وصدق اراءه بعيدا عن الانحياز والميول التي تبعد المؤرخ عن الحقيقة، فالمقدمة التي قدمها زكي صالح لوحدها اغنت عن كتاب من خلال فهم المؤرخ او المؤلف نفسه، وفهم انطباعاته وقدراته العلمية.

[1] المصدر نفســـــه، ص/31.

وقفية الحرمة الحاجة تقلا الحجّارة الرومية الكاثوليكية في مدينة يافا 1285هـ/ 1868م ... دراسة وتحقيق

الدكتور إبراهيم بن يحيى البوسعيدي
جامعة السلطان قابوس

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الأوقاف في النهوض بالحياة من جوانبها الاجتماعية والاقتصادية في مدينة يافا. وتمكين المؤسسات القائمة عليها من النهوض في دورها بصورة دائمة، هذا الدور الذي يحقق صورة مثلى من التكافل والتضامن الذي يقدم الخدمة والرعاية لمستحقيها في إطار مؤسسي يستمد شرعية من أحكام الشريعة الإسلامية.

وقد تم تسجيل هذه الوقفية لدى محكمة يافا الشرعية، لتكون مرجعية للعمل وصونًا من التعديل والإلغاء والاستحواذ بما يكفل لهذا الاستمرار مهما تبدلت الظروف والأحوال. ولعل في هذه الدراسة ما يشير إلى دور النساء في مدينة يافا في مجمل الحياة العامة.

وتعد الوثائق أو الحجج الوقفية من أهم المصادر التي تعطي صورة حقيقية عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بكل دقة وموضوعية في مدينة يافا في تلك الحقبة.

Abstract:

This study aims at highlighting the role of endowments (Awqaf) in the advancement of life in social and economic aspects in the city of Jaffa as well as enabling the institutions relying on these endowments to permanently fulfill their role. Such a role would achieve the solidarity and cohesion that provide the service and care within the institutional framework that derives legitimacy from the provisions of Islamic Sharia.

This endowment was registered at the Jaffa Sharia Court, to be a reference for work and to get protection against any modification, cancellation and acquisition in a way that ensures this continuity regardless of the changing circumstances and conditions.

Perhaps this study indicates the role of women in Jaffa in the overall public life.

Endowment documents and scripts are among the most important sources that give a true accurate picture about the economic and social situations in the city of Jaffa in that era.

تعريف الوقف

الوقف لغةً: الوقف والتحبيس والتسبيل كلمات لها معانٍ متقاربة، بل ربما معنى واحد في اللغة، وهو لغة الحبس والمنع[1]. يقال وقف الدابة – إذا حبسها على مكانها، ومنه الموقف؛ لأن الناس

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955-1959م، م9، ص360، مادة (وقف)؛ وسيشار إليه لاحقًا: ابن منظور، لسان العرب؛ الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني، (ت1205هـ/ 1791م)، تاج العروس من جواهر القاموس، 40ج في 20م، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، م8، ج15، ص276-277، مادة (وقف)؛ الجوهري، أبو نصر إسماعيل ابن حماد الفارابي (ت393هـ/ 1003م)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، 4ج، تحقيق الدكتور إميل يعقوب بديع، والدكتور محمد نبيل الطريفي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج4، ص167-168، مادة (وقف)؛ النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، (ت 676هـ/ 1277م)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، الطباعة المنيرية، بيروت، (د.ت)، ج4، ص194، مادة (وقف).

يوقفون أي يحبسون للحساب[1]. ووقفت الدار حبسَها، ولا يقال أوقفت؛ لأنها لغة رديئةً، وهي بمعنى سكت وأمسك وأقلع[2]. والفصيح هو وقف بغير ألف[3].

والحبس: بضم الحاء وسكون الباء بمعنى الوقف، وهو كل شيء وقفه صاحبه من أصول أو غيرها، يحبس أصله وتسبيل غلته[4]. وجمع الحُبُس بضم الباء كما قالها الأزهري. وأحبس بالألف أكثر استعمالًا من حبس، عكس وقف. فالأولى فصيحة، والثانية رديئة[5]. واحتبست فرسًا في سبيل الله؛ أي وقفت. والحبس بالضم ما وقف[6].

والحُبُس – بضم الحاء والباء – هو كل ما وُقِفَ، ويصبح الموقوف محرمًا على الواقف؛ لا يُورث ولا يُوهب، ولا يُباع، فيُحبس الأصل وقفًا مؤبدًا، وتسبل ثمرته ونتاجه وريعه ومنفعته تقربًا لوجه الله تعالى[7]. واشتهر إطلاق كلمة الوقف على اسم المفعول، وهو الموقوف. ويُعَّبر عن الوقف بالحبس، وساد استعمال كلمة التحبيس في بلدان المغرب العربي[8].

والتسبيل: سبّلت الشيء إذا ابحتهُ، وسبل ضيعته: جعلها في سبيل الله، والسبيل في الأصل الطريق، كل عمل خالص سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى[9].

---

(1) الطرابلسي، إبراهيم بن موسى بن علي (ت922هـ/ 1516م)، الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة 1986م ص3.

(2) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت817هـ/ 1415م)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1978م، ج2، ص205، مادة (وقف).

(3) الرازي، محمد أبو بكر بن عبد القادر، (ت 666هـ/ 1267م)، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، ص733.

(4) الفيروز آباي، القاموس المحيط، ج2، ص250، مادة (حبس)؛ الحطاب، أبو زكريا يحيى بن محمد الطرابلسي، (ت 955هـ/ 1548م)، كتاب شرح ألفاظ الواقفين والقسمة على المستحقين، تحقيق د. جمعة الزريقي، لجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، ليبيا، 1995م، ص11.

(5) الزحيلي، وهبة، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1987م، ص153.

(6) الجوهري، الصحاح، ج3، ص815.

(7) الزمخشري، محمود بن عمر، (ت538هـ/ 1143م)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1965م، ص110.

(8) الزحيلي، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، ص153.

(9) ابن منظور، لسان العرب، م11، ص320، مادة (سبل).

الوقف اصطلاحًا: اختلفت المذاهب الفقهية في تعريف الوقف، بل وردت تعريفات مختلفة عن المذهب الواحد، تعبيرًا عن اختلاف فقهائه حول بعض مسائل الوقف، وفي رأي المرغيناني الحنفي، الوقف: "حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة بنزلة العارية"[1]، وعرفه السرخسي الحنفي بقوله: "حبس المملوك عن التمليك من الغير"[2].

في حين ذهب الإمام ابن عرفه المالكي إلى تعريفه بقوله: "إعطاء منفعة شيء مدّة وجوده لازمًا بقائه في ملك معطيه ولو تقديرًا"[3]. وعرفه الشيخ محمد عليش المالكي بقوله: "أن الوقف تمليك الانتفاع لا المنفعة"[4].

وعرفه الإمام الشربيني الشافعي بقوله: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود"[5].

أما الفقيه الحنبلي ابن قدامة المقدسي فحدده بعبارة: " تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"[6].

وقد لخص الشيخ محمد أبو زهرة مختلف هذه المعاني بهذا التعريف الذي يرجع لابن حجر العسقلاني في فتح الباري، بقوله: "الوقف هو منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً"[7].

---

(1) المرغيناني، برهان الدين علي بن أبي بكر، (ت 593هـ/ 1196م)، الهداية في شرح بادية المبتدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1426هـ/ 1908م)، ج3، ص10.

(2) السرخسي، أبو بكر محمد بن أبي سهيل الحنفي، (ت490هـ/ 1097م)، المبسوط، 30ج، دار المعرفة، بيروت، 1986م، ج12، ص29.

(3) انظر: الخرشي، أبو عبدالله محمد المالكي (1101هـ/ 1689م)، شرح الخرشي على مختصر خليل، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج7، ص78.

(4) عليش، أبو عبدالله محمد أحمد المالكي المصري، (1299هـ/ 1881م)، شرح من منح الجليل على مختصر خليل، المطبعة الكبرى، القاهرة، 1494هـ/ 1877م، ج3، ص34.

(5) الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، (977هـ/ م1569م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م، ج2، ص376.

(6) ابن قدامة، أبو محمد عبدالله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، (670هـ/ 1271م)، المغني، دار الفكر، بيروت، 1994م، ج5، ص597.

(7) أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص5.

أهمية الوقفية:

تحتفظ محكمة يافا الشرعية السنيّة على عدد من السجلات التي تعود إلى الحقبة ابتداءً من عام 1214هـ/ 1799م، وانتهاءً بعام 1336هـ/ 1917م. وقد بلغ عدد السجلات التي تغطي هذه الحقبة بنحو (187) سجلًا، تحتوي على دعاوى مختلفة[1]: الوكالات، وضبط التركات وتوزيعها على مستحقيها من الورثة الشرعيين، والوصايا، والنفقات، وقيام الأوقاف والإيجارات الخاصة بها واستبدالها، والاستدانة وكيفية سدادها، وعقود الزواج، والطلاق، وإعطاء الحرية للعبيد، والرهن والإيجار، وبيع العقارات وشرائها. كل هذه القضايا كانت تنظر فيها محكمة يافا الشرعية وتسجل في سجلاتها، لكي تكتسب الشرعية القانونية من قبل السلطات الحاكمة آنذاك.

وقد عثرنا على الحجة الوقفية موضوع الدراسة في سجلات محكمة يافا الشرعية سجل رقم (25)، ويضم هذا السجل القضايا التي عرضت على المحكمة بين 5 ذي الحجة 1284هـ و 12 جمادى الأول 1286هـ/ 29 آذار – مارس 1868م و 20 آب – أغسطس 1869م، ويتألف السجل من (331) صفحة، تضم ما مجموعة (790) قضية. وأهمية سجل يافا تكمن في نوعية القضايا التي يعالجها، والتي شملت جوانب الحياة كافة من اجتماعية واقتصادية وإدارية وعمرانية وثقافية.

والسجل الشرعي هو مجموعة من القضايا المدونة في شكل دفتري مجلد مخطوط، وقد دوّنت هذه القضايا تباعًا يومًا بيوم، وشهر بعد شهر، وسنة بعد سنة، ويمثل هذا السجل نشاط محكمة يافا الشرعية في فترة زمنية معينة، وعادة ما يشتمل السجل على نسخ للوثائق الأصلية قيدّت كاملة دون زيادة أو نقصان، وتوجد في دائرة الأوقاف الفلسطينية مجموعة ضخمة من هذه السجلات.

وتعد سجلات محكمة يافا الشرعية من أهم المصادر وأثراها في الحقبة العثمانية، وذلك لأسبقيتها ودقتها وتفردها، عن غيرها من المعلومات الواردة في المصادر الأخرى. فمن خلال

---

(1) البخيت، محمد عدنان، وآخرون، كشاف إحصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية في بلاد الشام، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، 1984م، ص275-293.

المعلومات التي يوفرها هذا السجل يستطيع الباحث أن يجد الجانب العملي التطبيقي بالتشريعات العثمانية، وخاصة المطبق منها في يافا.

وهذا السجل بحالة جيدة رغم ما اعترى بعض الصفحات من مسح وركاكة الخط أحيانًا. وقد دوّنت القضايا باللغة العربية، سوى بعض الفرامانات (الأوامر)، التي جاءت مكتوبة باللغة العثمانية. وقد جاءت هذه السجلات متسلسلة وفق المرحلة الزمنية.

وتحمل هذه الحجة الوقفية في طياتها كثيرًا من المعلومات المهمة عن مجتمع مدينة يافا في تلك الحقبة، كما تكشف سطورها عن بعض جوانب حياة أهل الذمة في ذلك المجتمع؛ فضلًا عن أن الحجة الوقفية توضح جانب مهمًا من جوانب الحياة الفلسطينية آنذاك، وهو الجانب القانوني، وتبين كيف كان المسيحيون يلجأوا في أحوال كثيرة إلى القضاة الشرعيين المسلمين لتوثيق تصرفاتهم القانونية من وقف وبيع وشراء وغير ذلك من المعاملات اليومية.

والجدير بالذكر أنه كان يتعين على المسيحيين في هذه الأحوال أن يلتزموا بأحكام الشريعة الإسلامية.

إن موضوع المرأة في العهد العثماني لم ينل حظه من الدراسة والبحث. وكل ما نعرفه عنها أنها عاشت في مجتمع مغلق حال دون بروزها، وأنه دورها اقتصر على مجتمعها الصغير، وهو البيت العائلي، كإنجاب الأطفال وتربيتهم، وهي بطبيعة الحال مهمة ليس بالسهلة، وقد عثرنا على مئات الوثائق الخاصة بأوراق النساء، فسجلات محكمة يافا الشرعية تفيض بأسماء النساء اللواتي أوقفن أملاكهن لأغراض عديدة. هذا وقد استقطب اهتمامنا إسهام المرأة في هذه الأوقاف. ومن المسائل التي تستدعي الاهتمام حرص النساء على تحديد الغرض من الأوقاف والأطراف المستفيدة منه، وشروط الاستفادة منه. وهو أمر يعكس بطبيعة الحال مدى حرية المرأة بالتصرف في ممتلكاتها كما نصف هذه الوقفية.

أما لغة الوثيقة تنم عن روح العصر وما تعرفه عن تدهور اللغة العربية، وبحيث صار استخدام الكلمات العامية والمصطلحات التركية سمة بارزة من سمات الكتابة في تلك الحقبة، وقد أهمل كاتب الحجة الوقفية تثبيت الهمزة في سياق عباراته، وأبدل الهمزة اللينة في وسط الكلمة ياءً، كما أهمل النقط في بعض الكلمات مما جعلها تبدو غامضة غير مقروءة، وأهمل الكاتب أيضًا علامات الترقيم من نقاط وفاصلة وفاصلة منقوطة ونقطتين وعلامة تعجب أو التأثر.

وعلى ذلك، فإن المنهج الذي اتبعته في تحقيق هذه الوقفية يستهدي بالأصول العلمية المتبعة في هذا المجال؛ وذلك من حيث ضبط النص، وتنقيحه، وتصحيحه، وتخريج الآيات القرآنية الكريمة، وكذلك توضيح معاني بعض الكلمات المبهمة، والتعريف بالمواقع، والترجمة للأعلام الواردة في النص.

أنواع الوقف:

واعتاد جمهور الفقهاء إلى تقسيم الوقف إلى الأنواع الآتية[1]:

الوقف الخيري: هو ما يخصص من عقارات وأموال للوجوه البر المتنوعة من رعاية، وخدمات تعليمية، وثقافية، واجتماعية، وصحية، ودينية، كالمساجد والجوامع والكنائس، وعلى طلبة العلم، والفقراء والمحتاجين والمساكين.

الوقف الذرّي: نسبة إلى ذرّية الإنسان، وأطلق عليه أحيانًا الوقف الأهلي، الوقف العائلي، الوقف الخاص. وهو ما يوقفه الواقف على نفسه طيلة حياته، وعلى ذريته أو أحد أقاربه بعد وفاته.

الوقف المشترك: الذي يجمع بين الوقف الذرّي والخيري، فالوقف الذري يؤول في نهايته إلى جهة من جهات الخير.

وهذه الوقفية موضوع الدراسة تقع في خانة الوقت الذري والخيري.

محتوى الوقفية:

الواقف: تقلا بن اتفوش الحجّارة الرومية من رعايا الدولة العثمانية.

الصيغة الدالة على الوقف:

فقد أوردت الحجة الوقفية الصيغة الآتية: "أوقفت وحبست وتصدق في جميع ما هو لها وجار في ملكها وتحت طلق تصرفها".

الموقوف: من شروط الموقوف أن يكون معلومًا، ومملوكًا للواقف، وأن يكون في عين يجوز بيعها، ويمكن الانتفاع بها دومًا مع بقاء عينها، وقد تصنت الوقفية أن الموقوف: "جميع الدار القائمة

([1]) محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 10 شعبان 1285هـ/ 26 تشرين الثاني – نوفمبر 1868م، ص 77-78؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 5 شوال 1285هـ/ 19 كانون الثاني- يناير 1869م، ص89-90؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، تاريخ 23 ذي الحجة 1286هـ/ 26 آذار – مارس 1870م، ص297-298.

البناء بداخل يافا بحارة الفلاحين داخل محلة النصارى ضمن محلة القلعة المعروفة والمشهورة بدار تقلا الحجارة المشتملة على بيت وإيوان معقودين بالمونة والأحجار وبالإيوان المرقوم تخت من الخشب ومرتفق وحضيران وساحة سماوية، ويصعد من الساحة المذكورة بسلم من حجر إلى حضير ملفوف ومنافع وحقوق شرعية".

الموقوف عليها: أوقفت الواقفة هذا الوقف على نفسها طيلة حياتها، ثم من بعدها على لبيبة بنت إبراهيم حشمة الرومي بنت بنت أختها صونيا، وعلى زوجها حنا ولد يعقوب القاطن بيافا ثم على أولاد لبيبة ذكورًا وإناثًا وعلى ذريتهم، وإذا انقرضوا جميعًا يعود ذلك وقفًا على فقراء ملة الروم في يافا.

شروط الوقفة: المعروف فقهًا "أن شرط الواقف كنص الشارع في لزومه ووجوب العمل به"، ولا يجوز مخالفته بأي حال من الأحوال، وقد شرطت الواقفة المذكورة شروطًا نصت عليها فوجب العمل بها والمصير إليها منها: أن النظر والتولية لنفسها مدة حياتها، ومن بعدها للموقوف عليهما، ومن بعدهما على الأرشد فالأرشد من ذريتهما، ومنها أنها جعلت لنفسها التبديل والاستبدال في وقفها هذا مدة حياتها، برأي الموقوف عليهما ورضاهما بذلك وموافقتهما على ما هنالك، ثم من بعدها على لبيبة وزوجها حنا، برأي بعضهما بعضًا واتفاقهما معًا، وليس لمن بعدهما فعل شيء من ذلك، ومنها أن لبيبة وزوجها حنا يسكنان معها في الدار المذكورة مدة حياتها مجانًا من غير أجرة لحين يؤول الوقف إليهما، أنشأت الواقفة وقفها هذا على نفسها مدة حياتها ثم من بعدها على لبيبة وزوجها حنا ثم على أولادها منه وهلم جرا".

ملكية الوقف: من شروط الموقوف أن يكون معلومًا، ومملوكًا للواقف، وقد نصت الوقفية على أن الوقف مملوك للواقفة "وجارٍ في ملكها وتحت طلق تصرفها، وحيازتها الشرعية وآيل إليها بطريق الشراء الشرعي بموجب حجة شرعية مؤرخة في نصف شهر جمادى الثاني سنة 1258هـ/ [24 يوليو- تموز 1842م] ويدها واضعة على ذلك ثابتة مستمرة مستقرة دون المعارض والمنازع".

التولية على الوقف:

بموجب الحجة الوقفية جعلت الواقفة التولية لنفسها مدة حياتها، ثم من بعدها على لبيبة وزوجها حنا ثم على أولادهما، وإذا انقرضت ذريتهم وعقبهم، يكون ذلك وقفًا على الفقراء المقيمين بيافا من ملة الروم.

محاولة الواقف الرجوع عن الوقف:

كان الإمام أبو حنيفة يقول أن الوقف جائز، ولكنه غير لازم، أي يجوز للواقف الرجوع عنه في حياته ويورث عنه في هذه الحالة. ومع هذا فقد كان الإمام يسلم بلزوم الوقف في حالة التسجيل، أي حين يحكم قاضي المحكمة الشرعية بلزوم الوقف. ولذلك فقد جرى العرف أن يتظاهر الواقف بالرجوع عن الوقف، ويقوم المتولي برفع دعوى ضده، كما يبدو في هذه الوقفية، ويتم الأمر بأن ينظر القاضي شكليًا في هذه الدعوة، ويقر أخيرًا بصحة الوقف ولزومه في هذه الحالة.

الهدف من الوقف:

إن الهدف من الوقف حماية العقار المملوك من التعدي والمصادرة والاغتصاب، وتأمين ما يكفي للعيش في الشيخوخة وغدر الزمان. لذلك لجأت الواقفة إلى وقفها على نفسها طيلة حياته ثم من بعدها على ابنة ابنة أختها وزوجها، لأن الروابط العائلية ظلت قوية ومتماسكة، ومنع انتقال العقار بعد وفاة الواقفة إلى جهات أخرى.

تاريخ الوقفية: حررت الوقفية في شهر صفر الخير سنة 1280هجري/ الموافق 20 حزيران – يونيو 1868 ميلادي.

شهود الحال:

وهي مشتقة من المشاهدة والمعاينة، لأن الشاهد يخبر عما شاهده وعاينه، ومعناها: الإخبار بلفظ الشهادة[1]. والشهادة هي إخبار بحق على آخر سواء أكان حق الله أو حق البشر، والإخبار عن علم ويقين[2]. وهؤلاء الشهود الذين يعرفون باسم شهود الحال أو شهود العدول وكان يجري اختيارهم من كبار القوم من العناصر المحلية.

([1]) مجلة الأحكام العدلية، دار الثقافة، عمان، 1999م، مادة (1684)؛ سابق، سيد، فقه السنة، ط4، دار الفكر، بيروت، 1983م، ج3، ص332.

([2]) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت490هـ/ 1097م)، المبسوط، 30ج، ط2، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج16، ص113؛ محمد، محمد أمين، "الشاهد العدل في الشرع الإسلامي"، مجلة الدارة، الرياض، السنة 8، 1982م، ص127.

ويشترط فيهم العدالة والثقة ومعرفة دلالات الألفاظ الواردة في الحجج الشرعية التي يشهدون عليها، وتدرج أسماء هؤلاء الشهود أسفل قرارات المحكمة في دفتر السجلات الشرعية، وقد كان عددهم في هذه الوقفية (14) شاهدًا[1].

الألقاب والعبارات الدينية:

تقدم لنا هذه الوقفية معلومات قيمة ونادرة عن الألقاب في يافا في فترة الدراسة، وقد شملت الألقاب والعبارات التي تدل على التذلل والتواضع والتضرع والخضوع إلى الله عز وجل، مثل: الفقير، والألقاب والعبارات التي تدل على طلب الرحمة والمغفرة من الله، مثل: غفر الله له، وحماة الله تعالى، رضوان الله عليه، والألقاب الدينية، مثل: الإمام، الصاحب المقدام، الحاج، الشيخ، المولى، ناظر الوقف، الهُمام، الكبير المتعال، تاج الهدى، معدن الفضل والجمال، جناب، وأخرى ألقاب الفخرية تدل على الوجاهة والاحترام والتبجيل ومدى قدر أصحابها، مثل: الخواجا، أفندي، أغا، والحاكم، وأمين الفتوى، السيد، حضرة.

نص وقفية الحرمة تقلا الحجّارة الرومية الكاثوليكية

بسم الله والصلاة[2] والسلام على نبيه ومصطفاه الحمد لله الواقف على كل حال الكبير المتعال[3] والصلاة[4] والسلام على رسوله تاج الهدى وعلى أصحابه وتعال معدن الفضل والجمال.

---

(1) محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، حجة (2)، 25 ربيع الأول 1285م، 16 تموز- يوليو 1868م، ص15-16؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، حجة (3)، 22 رجب 1286هـ/ 28 تشرين الأول- أكتوبر 1869م، ص236؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، حجة (3)، 9 ربيع الثاني 1285هـ/ 30 تموز- يوليو 1868م، ص28.

(2) جاءت في الأصل: الصلاه.

(3) **المتعال:** من مصطلحات الصوفية، وتعني المتتابع في العلو، ومن لا يقف بكل كمال وعلو حصل له، بل يطلب بهمة العالية الترقي إلى أعلى منه، الكاشاني، عبد الرزاق، (ت730هـ/ 1329م)، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعريب د. عبد العال شاهين، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص142، سيشار إليه لاحقًا: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية.

(4) جاءت في الأصل: الصلاه.

أما بعد فإنه قد حضرت الحرمة[1] تقلا بنت اتفوش الحجّارة[2] الروميّة[3] أحد رعايا الدولة العلية[4]، بمجلس الشرع[5] الشريف[6] الأنور ومحفل[7] الحكم المنيف[8] الأطهر بمحمية[9] يافا يافا أجله تعالى، وهي بحال يعتبر شرعًا في حكم ووقور عقل[10] ونفاذ تصرف وأوقفت وحسبت وتصدقت بجميع ما هو لها وجارٍ في ملكها وتحت طلق تصرفها، وحيازتها الشرعية وآيل إليها بطريق الشراء[11] الشرعي بموجب حجة[1] شرعية[2][3] مؤرخة[4] في نصف شهر جمادى[5] الثاني

([1]) جاءت في الأصل: الحرمه. **والحرمة:** تجمع على حريم، وهي ما لا انتهاكه، وتعني كذلك الذمة والمهابة، والمحرم ما لا يحل استحلاله، وحرم الرجل عياله ونساؤه وما يحمي، ويطلق على المرأة في المجتمع العربي "حرمة" للدلالة على مكانتها في المجتمع، فهي صاحبة المهابة والحرمة التي لا يحل انتهاكه ولا يحل استحلالها إلا بطرق شرعية معلومة، ثم أصبح "الحريم" اصطلاح عرفي لاسم المكان الذي تأوي إليه النساء، ومعناه أنه محرم على الغرباء، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/ 1311م)، لسان العرب، 15م، دار صادر، بيروت، 1955-1959م، م12، ص122-123، مادة (حرم).

([2]) جاءت في الأصل: الحجاره.

([3]) جاءت في الأصل: الروميه.

([4]) جاءت في الأصل: العليه.

([5]) **الشرع:** البيان والإظهار. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، (ت816هـ/ 1413م)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2004م، ص108. سيشار إليه لاحقًا: الجرجاني، معجم التعريفات.

([6]) **مجلس الشرع الشريف:** يقصد بذلك المحكمة الشرعية في يافا.

([7]) **المحفل:** المجلس، وقيل مكان الاجتماع، أو مقر المحكمة الشرعية، ابن منظور، لسان العرب، م11، ص156-157، مادة (حفل).

([8]) **المنيف:** أي عالٍ مشرف، وقيل المكان المرتفع والمشرف، ابن منظور، لسان العرب، م9، ص342، مادة (نَوَفَ).

([9]) **محمية:** حمى الشيء حَمّيًا، وحِميً وحِماية. ومَحْمية: منعه ودفع عنه، ابن منظور، لسان العرب، م14، ص198، مادة (حما).

([10]) **وقور عقل:** راجحة العقل، وقيل الوقار: أي الحلم والرَّزانة، وقيل الوقار: السكينة والوداعة، والتوقير: التعظيم، ابن منظور، لسان العرب، م5، ص289-292، مادة (وقر).

([11]) جاءت في الأصل: الشرا.

الثاني سنة 1258هـ/ [24 يوليو- تموز 1842م] ويدها واضعة على ذلك ثابتة مستمرة مستقرة دون المعارض والمنازع لها إلى حين صدور هذا الوقف الشرعي الآتي ذكره، وذلك جميع الدار القائمة[6] البناء[7] بداخل يافا بحارة الفلاحين داخل محلة[8] النصارى ضمن محلة[9] القلعة[10] المعروفة[11] والمشهورة[12] بدار تقلا الحجارة[1] المشتملة[2] على بيت وإيوان[3] معقودين بالمونة[4]

([1]) جاءت في الأصل: حجه. **حجة:** الدليل والبرهان، اسم أطلق على الوثيقة التي يتم تنظيمها في حضور أحد القضاة سواء كانت تحتوي حكمًا من الأحكام أو كانت بقصد تحديد حادثة حقوقية كالعقد أو الإقرار أو تعيين الوصي. ويطلق عليها اسم (حجة شرعية). وقيل الحُجَّة: ما دُوفِعَ به الخصم. أقطاش، نجاتي، وبينارق، عصمت، الأرشيف العثماني: فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستانبول، ترجمة صالح سعداوي صالح، إشراف وتقديم، أكمل الدين إحسان أوغلي، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ومركز الوثائق للمخطوطات بالجامعة الأردنية، عمان، 1986م، ص471؛ ابن منظور، لسان العرب، م2، ص 227-228، مادة (حجج).

([2]) جاءت في الأصل: شرعيه.

([3]) **الحجة الشرعية:** حجة صادرة عن محكمة تتضمن منح إذن أو تثبيت إقرار أو تأييد إنشاء أو تصرف، انظر: كرم، عبد الواحد، معجم مصطلحات الشريعة والقانون: عربي، فرنسي، إنكليزي، ط1، مكتبة اللغات، القاهرة، 1995م، ص155؛ الجرجاني، معجم التعريفات، ص73.

([4]) جاءت في الأصل مورخه.

([5]) جاءت في الأصل: جماد

([6]) جاءت في الأصل: القايمه.

([7]) جاءت في الأصل: البنا.

([8]) جاءت في الأصل: محله. **والمحلة:** حي من أحياء المدينة أو القصبة، ويبلغ عدد منازلها ما بين (35-50) منزلًا، تربطهم رابطة اجتماعية فيها قرابة وتألف، انظر:

Kramers, J. H. “Mahalla”, Islam Ansiklopedisi: (IA), Istanbul 1979, Vol. 7, p144;

وانظر: سامي، شمس الدين، قاموس تركي، ص1304.

([9]) جاءت في الأصل: محله.

([10]) جاءت في الأصل: القلعه.

([11]) جاءت في الأصل: المعروفه.

([12]) جاءت في الأصل: المشهوره.

بالمونة[4] والأحجار[5] وبالإيوان المرقوم[6] تخت[7] من الخشب ومرتفق وحضيران[8] وساحة[9] سماوية[10]، ويصعد من الساحة[11] المذكورة[12] بسلم من حجر إلى حضير ملفوف ومنافع وحقوق شرعية[13] المحدود قبلة دار ورثة خضرا الرومية، وشرقًا دار إلياس الدافش، وشمالًا دار الخواجا[14] انطون أجدى وفيه الباب، وغربًا دار أجدى المذكورة[1] بجميع حقوقها وطرقها ومرافقها

([1]) جاءت في الأصل: الحجارة.

([2]) جاءت في الأصل: المشمله.

([3]) **إيوان:** كلمة فارسية الأصل، تعني غرفة الاستقبال، انظر: أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص13.

([4]) جاءت في الأصل: المونه، **والمونة:** الطين والقش الناعم، أو الكلس والقش الناعم، وتصبح بعد خلطهما شبيه بالإسمنت.

([5]) جاءت في الأصل: الاحجار.

([6]) المرقوم: المذكور.

([7]) **تخت:** سرير يوضع عليه الفراش، يصنع من الخشب، أو يصنع من الحجر والآجر، وارتفاعه نحو نصف متر، ويستخدم للنوم. فريحة، أنيس، معجم الألفاظ العامية، مطبعة لبنان، بيروت، 1995م، ص20.

([8]) **الحضير:** يستخدم الحضير عادة في تربية الحمام والدجاج في معظم دور يافا مما أضفى على المدينة صفة الريفية، رافق، عبد الكريم، غزة: دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية، ، ص 30.

([9]) جاءت في الأصل: ساحه. والساحة: الحوش.

([10]) جاءت في الأصل: سماويه.

([11]) جاءت في الأصل: الساحه.

([12]) جاءت في الأصل: المذكوره.

([13]) جاءت في الأصل: شرعيه.

([14]) **خواجا:** لفظة عثمانية من أصل فارسي، ومعناها المعلم أو المربي، كما تطلق على التاجر أو السيد، وأطلقت في العصر العثماني على كبار التجار. انظر: الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ/ 1651م)، لطف السمر وقطف الثمر، 2ج، حققه محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981م، ج1، ص154 (هامش). الأنسي، محمد علي، الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، مطبعة جريدة بيروت، 1318هـ/ 1900م، ص241؛ الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في

ومرافقها وحضيراتها وجدرانها ومنافعها وحدائقها وقديمها وجديدها وما عرف بها ونسب إليها وبكل حق هو لها شرعًا على نفسها مدة حياتها، ثم من بعدها على لبيبة بنت إبراهيم حشمه الرومي بنت بنت أختها صونية[2] الرومية[3]، وعلى زوجها حنا ولد يعقوب مربيع الرومي[4] اللداوي[5] القاطن بيافا ثم على أولاد لبيبة المذكورة من زوجها حنا المرقوم ثم على أولاد أولادها منه ذكورًا وإناثًا، ثم على أولاد أولاد أولادهم كذلك، ثم على نسلهما وعقبهما وذريتهما إلى ما شاء الله تعالى أبد[6] الأبدين ودهر الداهرين أبدا ما داموا ودائمًا ما تناسلوا إلى أن يرث الله أهج هم هىَّ[7] وهو ٌآحج حمَّ[8]، ثم من بعد انقراض ذريتهم وعقبهم، يكون ذلك وقفًا على الفقراء[9] المقيمين بيافا من ملة الروم، وقد شرطت الواقفة المذكورة وشروطًا نصت عليها فوجب العمل بها والمصير إليها منها أن النظر والتولية لنفسها مدة حياتها، ومن بعدها للموقوف عليهما، ومن بعدهما على الأرشد فالأرشد من ذريتهما، ومنها أنها جعلت لنفسها التبديل والاستبدال[10] في وقفها هذا مدة حياتها، برأي[1]

التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة، القاهرة، 1987م، ص279، وسيشار إليه لاحقاً: الباشا، الألقاب الإسلامية.

(1) جاءت في الأصل: المذكوره.

(2) جاءت في الأصل: صونيه.

(3) جاءت في الأصل: الرومية.

(4) جاءت في الأصل: الرومى.

(5) جاءت في الأصل: اللداوى.

(6) **أبد:** دام، وخلد، والأبد: الأزل، وهو ثابت على حاله، ابن منظور، لسان العرب، م3، ص68، مادة (أَبد)؛ الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص57.

(7) من الآية: **ٱ نم نى ني هج هم هى هي يج** ّ، سورة مريم، الآية (40).

(8) من الآية: **ٌآ به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم** ّ ، سورة الأنبياء، الآية (89).

(9) جاءت في الأصل: الفقرا.

(10) **الاستبدال:** أن تبدل العين الموقوفة بعقار آخر أو بمبلغ من المال لشراء عين به تكون موقوفة مكان العين التي بيعت. ويعد الاستبدال أحد وجوه الاستثمار، الخصّاف، أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني، (ت261هـ/ 874م)، أحكام الأوقاف، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، القاهرة، 1904م، ص23؛ ابن عابدين، محمد أمين (1252هـ/ 1836م)، رد المحتار على الدر المختار، 5ج، دار الفكر، بيروت، 1992م، ج4، ص40.

الموقوف عليهما ورضاهما بذلك وموافقتهما على ما هنالك، ثم من بعدها إلى لبيبة وزوجها حنا، برأي[2] بعضهما بعضًا واتفاقهما معًا وليس لمن بعدهما فعل شيء[3] من ذلك، ومنها أن لبيبة وزوجها حنا يسكنان معها في الدار المذكورة[4] مدة حياتها مجانًا من غير أجرة[5] لحين يؤول[6] الوقف إليهما، أنشأت[7] الواقفة وقفها هذا على نفسها مدة حياتها ثم من بعدها على لبيبة وزوجها حنا ثم على أولادها منه وهلم جرا[8]، كما موضح أعلاه وقفًا صحيحًا شرعيًا وحسبًا[9] صريحًا مرعيًا صادرًا منها بطريق الرضى والطواعية وحسن الاختيار من غير إكراه لا في ذلك ولا إجبار ولا تعهد ولا قرار عالمة بمعنى هذا الوقف الشرعي وما يترتب عليها شرعًا ووقفًا مؤبدًا[10]، وقد جعلت متوليًا على وقفها هذا حنا زوج لبيبة[11] المذكور لتسجيله وبعد أن سلمته لي وقَصُرتْ[12] يدها عنه وتسلمه المتولي المرقوم[13] لتسجيله تسلم مثله بمثله، ولما تم الوقف والشروط على

([1]) جاءت في الأصل: براى.

([2]) جاءت في الأصل: برى.

([3]) جاءت في الأصل: شى

([4]) جاءت في الأصل: المذكوره.

([5]) جاءت في الأصل: اجره.

([6]) جاءت في الأصل: أيلولة.

([7]) جاءت في الأصل: انشاءت.

([8]) جاءت في الأصل: هلمجرا. **هلم جرا:** أي إلى مالا نهاية، لعلها تقوم مقام الحذف في غير نصوص المقتبسة، انظر: الهاشمي، عبدالرحمن، تعلم النحو والإملاء والترقيم، ط2، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2008م، ص251.

([9]) **حبس:** وقف، والحبس: كل شيء وقفه صاحبه، ابن منظور، لسان العرب، م6، ص44-46، مادة (حبس)؛ الزبيدي، تاج العروس، م8، ج15، ص276-277.

([10]) جاءت في الأصل: مؤبد.

([11]) جاءت في الأصل: لبيبه.

([12]) **قصرت:** تركته وكفت عنه، وقيل قصرت: أُبعدت، ابن منظور، لسان العرب، م5، ص95-103، مادة (قصر).

([13]) المرقوم: المذكور.

الوجه المسطور[1] عنه للواقفة الرجوع عن وقفها هذا فأدعت[2] على المتولي حنا المذكور الحاضر الحاضر معها بالمجلس الشرعي قائلة[3] في دعواها[4] عليه، أن هذا الوقف غير صحيح عند بعض العلماء الأعلام، لأنه على النفس وطلبت استرداده لملكها فعارضها المتولي الناظر المذكور قائلًا[5] أن الوقف المذكور على الوجه المسطور صحيح شرعي ولازم عند الإمام أبو يوسف[6] رضوان الله تعالى عليه وطال النزاع بين الطرفين واشتد العداء[7] بين الخصمين وطلبا من مولانا[8]

([1]) جاءت في الأصل: المسبوط.

([2]) جاءت في الأصل: فادعت.

([3]) جاءت في الأصل: قابله.

([4]) **الدعوة:** مشتقة من الدُّعاء وهو الطلب، وفي الشرع يطلب به الإنسان إثبات حقّ على الغير، الجرجاني، معجم التعريفات، ص91.

([5]) جاءت في الأصل: قايلا.

([6]) **الإمام أبو يوسف:** يعقوب بن إبراهيم بن حنيش بن سعد الأنصاري الكوفي، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان فقيهًا علام من حفاظ الحديث والرواية، ولد في الكوفة سنة (113هـ/ 731م)، وولي القضاء ببغداد في عهد المهدي والهادي والرشيد، له عدة مؤلفات، منها: الخراج، والآثار، وهو مسند أبي حنيفة، وأدب القاضي، والأمالي في الفقه، والرد على مالك بن أنس، والفرائض، كانت وفاته في سنة (182هـ/ 798م)، لمزيد من المعلومات، انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي (ت463هـ/ 1071م)، تاريخ بغداد، ج14، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)، ص242-262؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص378-390؛ الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/ 1347م)، تذكرة الحفاظ، 4ج، ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الهند، 1333هـ، وأعاد تصويره دار إحياء التراث العربي، ج1، ص292؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 748هـ/ 1347م)، سير أعلام النبلاء، ج8، أشرف على تحقيق وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ج8، ص470-473؛ الزركلي، خير الدين، أعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 8ج، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ج8، ص193، سيشار إليه لاحقًا: الزركلي، الأعلام.

([7]) جاءت في الأصل: العدا.

مولانا[1] الحاكم[2] الشرعي المشار إليه أعاليه أن يعرفهما الحكم الشرعي فتأمل مولانا المومى إليه[3] في دعوى الخصمين وأمعن[4] النظر في تقرير الاثنين حكم بصحة هذ الوقف ولزومه في خصوصه وعمومه عملًا بقول الإمام الهُمام[5] والصاحب المقدام[6] الإمام أبا يوسف حماه الله تعالى من التأسف رعاية لجانب البر والتقوى وأزال من على النفس على ما عليه الفتوى، لأنه أرجح وأدنى واتباعه في أمور الوقف أصح وأحرى حكمًا صحيحًا شرعيًا أوقفه بطريقه الشرعي غب[7] اعتبار ما وجب اعتباره شرعًا رافعًا بالخلاف الحاصل بين الأئمة[8] الأسلاف ومنع الواقفة الواقفة دعواها هذا بسبب ما منه الدعوى وعرفها بأنها ممنوعة من طلبها الرجوع عن الوقف حكمًا

---

(1) **مولانا:** استعمل هذا اللقب للخلفاء العباسيين، كما استعمل في العصر الفاطمي للوزراء، وفي العهد العثماني استخدم اللقب لكبار الموظفين المدنيين ورجال الدين، انظر: الباشا، الألقاب الإسلامية، ص519-521؛ بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية 1517-1924م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص61، وسيشار إليه لاحقًا: بركات، الألقاب والوظائف العثمانية.

(2) **الحاكم:** الذي يَفصل بالحق، انظر: الإسكافيّ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب، (ت421هـ/ 1029م)، مبادئ اللغة، حققه وعلَّق حواشيه الدكتور يحيى عبابنة، والدكتور عبدالقادر الخليل، المطابع التعاونية، عمان، 1997م، ص38، وسيشار إليه لاحقًا: الإسكافي، مبادئ اللغة.

(3) المومى إليه: المشار إليه.

(4) **أمعن:** دقق بتمعن، وأمعن النظر: دقق بقوة النظر، ابن منظور، لسان العرب، م13، ص409-412، مادة (معن).

(5) **الهُمام:** الملك العظيم الهِمّة، والهُمام: السيد الشجاع السخي، والهُمام: الأسد، والهُمام: السّيدّ بعيد الهِمَّةِ. الهُمام: كثير العطاء، ابن منظور، لسان العرب، مادة (همم)، الثعالبي، أبو منصور إسماعيل (ت429هـ/1038م)، فقه اللغة وسر العربية، (د.ت)، ص146؛ الإسكافيّ، مبادئ اللغة، ص37.

(6) **المقدام:** الذي يُقدم الأشياء ويضعها في موضعها. والمقدام: الذي يتقدم قومه. والمقدام من يتقدم بالشرف أو الرياسة، والمقدام: من اصطلاحات الصوفية، وتعني الذي قدمه الله وجعله من أهل الصف الأول، ابن منظور، لسان العرب، م12، ص470، مادة (قدم). الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص140.

(7) **غِبَّ:** جاء بعده، ابن منظور، لسان العرب، م1، ص635، مادة (غبب).

(8) جاءت في الأصل: الايمه.

ومنعًا صحيحين شرعيين[1]، فامتثلت لأمره وما به حكم امتثالًا مرضيًا، وبموجب ذلك كله والحكم بصحة ما هنالك صارت جميع الدار المحدودة أعلاه وقفًا صحيحًا شرعيًا محكومًا بصحته ولزومه في خصوصه وعمومه لا تباع ولا ترهن ولا تبدل ولا تستبدل حسب الشرط الموضح أعلاه ﴿ فح فخ فم قح قم كج كح كخ كلكم لج لح لخ لم لهَّ [2]، وقد وقع أجر الوقفة على الله الكريم الحليم وغِبَّ الطلب حُرر وسطر وسجل بتاريخ الثامن والعشرين من شهر صفر الخير سنة خمسة وثمانين ومائتين وألف [هجري 20 حزيران- يونيو 1868 ميلادي].

شهود الحال: كاتبه الفقير[3] السيد[4] محمود داوود غفر له، خليل سيد أحمد البياري، الخواجا إلياس المزبك الرومي، السيد مصطفى أبو خلاص، حسين الشاويش، السيد محمد الحاج جمعه الحشاش، السيد محمد الحاج عمر اللحام، السيد الحاج محمد آغا[5] الخلوصي، الشيخ[1] محمد سعيد

---

(1) **المنع الشرعي: المنع الشرعي:** هو منع القاضي المدعي عن المنازعة في قوله: "ليس لك حق أو أنت ممنوع من المنازعة"، مجلة الأحكام العدلية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1302هـ/ 1884م، مادة (1786)، ص260.

(2) سورة البقرة، الآية (181).

(3) **الفقير:** من ألقاب التواضع والتذلل لله تعالى، وقد شاع هذا اللقب في العصر العثماني، بركات، الألقاب والوظائف، ص83.

(4) **سيدنا:** السيد في اللغة هو الشريف والفاضل والكريم والحليم والرئيس والمقدم، وقد أطلق كقب عام على الأجلاء من الرجال، وكان لقب سيد يحرف عند العامة بـ "سيدي"، والسيد: الذي يسود سواد الناس، أي جمعهم الكثير، الإسكافي، مبادئ اللغة، ص37؛ الباشا، الألقاب الإسلامية، ص345، 348.

(5) **آغا:** وهي كلمة تركية الأصل تعني "الأخ الأكبر"، وقد تعني الأب، والسيد، والرئيس، والأمر، وقد منحت الدولة العثمانية، هذا اللقب لكثيرين من الموظفين، وخاصة العسكريين، وأطلق بالدولة العثمانية على كبار الضباط، وكان يطلق في استانبول على القائد العام للإنكشارية. بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية 1517-1924م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص173؛ وانظر: شوكت، محمود، التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1988م، ص42؛

أفندي[2] الشرقاوي، الخواجا جرجس ميخائيل فرح، الخواجا ميخائيل القصير، إسماوي ابن إبراهيم قبطي، دجاني زاده[3] السيد الحاج حسين أفندي[4] سليم أمين الفتوى[5] [يقرأ الاسم الأخير هكذا]: [السيد الحاج حسين أفندي سليم الدجاني أمين الفتوى] [1].

Redhouse, ATurkish and English Lexicon, p14, Dozy, R. Supplement Aux Dictionaries ires Arabes, 2 vol, Beyrouth, 1968. P28; Bowen, H. "Agha", Encyclopedia of Islam (E. 12). Vol. I, pp. 245-246.

(1) **الشيخ:** الشيخ في اللغة هو الطاعن في السن، ولقب به أهل العلم والصلاح توقيرًا لهم، هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكميل فيها، الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص172؛ بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص216؛ التهانوي، كشاف اصطلاحات، ص1049.

(2) **أفندي:** لقب أطلق على أخي السلطان سليمان بادشاه سلطان قمطمونية، وقد استعمل في العهد العثماني للهيئات العلمية القضائية، ابن بطوطة، تحفة النظار، ج1، ص347؛ اليعقوبي، محمد أحمد سليم، ناحية القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، 1999م، ص209.

(3) **زاده:** لفظة تركية تعني الابن والنجل، أطقها الأتراك على كبار العائلات، انظر: الأنسى، الدراري اللامعة، ص278.

(4) **أمين الفتوى:** المقصود بذلك المفتي، وهو أعلى درجة وظيفية بعد النائب الشرعي في القضاء، وكان هنالك مفتي في الولايات، والألوية والأقضية، ووظيفته صياغة الأحكام الشرعية والقانونية في المحكمة، محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (27)، حجة رقم (2)، 21 ربيع الأول 1288هـ/ 10 حزيران – يونيو 1871م، ص 165؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (29)، حجة رقم (3)، 20 رمضان 1291هـ/ 1 تشرين الثاني- نوفمبر 1874م، ص307؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (60)، حجة رقم (2)، 29 ذي القعدة 1313هـ/ 12 أيار- مايو 1896م، ص60-63.

(5) **حسين سليم أفندي:** هو السيد الحاج حسين أفندي ابن سليم الدجاني، شغل وظيفة وكيل المفتي في قضاء يافا في الفترة الواقعة ما بين سنتي 1285-1323هـ/ 1868-1905م، محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، 25 جمادى الأولى 1285هـ/ 16 تموز- يوليو 1868م، ص52؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (29)، 25 ذي القعدة، 1288هـ/ 9 أيار- مايو 1896م، ص88؛ محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (97)، 25 جمادى الثاني 1323هـ/ 27 آب – أغسطس 1905م، ص21-22.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- اعتبار حجج الوقفية من أهم مصادر كتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في تاريخ العرب الحديث، نظرًا لمصداقيتها ودقتها وتفردها عن غيرها من المعلومات الواردة في المصادر الأخرى.

2- رسمت لنا المعلومات المستخلصة من الحجج الشرعية صورة واقعية لمجتمع مدينة يافا من حيث تنوع العناصر السكانية فيه، والعلاقة القائمة بين هذه العناصر.

3- أوضحت لنا الحجة الوقفية أن المرأة في يافا وريفها تمتعت بقدر كبير من الاستقلال والحرية في العمل. وكثيرًا ما ظهرت في المحكمة الشرعية بنفسها فيما يتعلق بشرائها للعقارات أو بيعها أو وقفها للأوقاف وغيرها. كما أنها ظهرت في محكمة يافا الشرعية كمدعية ومدعى عليها.

4- بينت الدراسة أن المسيحيين في يافا قد التزموا بأصول الشرعية الإسلامية، فلجأوا إلى محكمة يافا الشرعية لفض المنازعات بينهم وبين غيرهم، أو لإبراء ذمتهم تجاه مالية الدولة. كما أنهم وثقوا أوقافهم في محكمة يافا الشرعية بإشهارها ومنع التعدي عليها.

([1]) محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (25)، حجة (3)، 28 صفر 1285هـ/ 20 حزيران – يونيو 1868م، ص8-9.

من وثائق الأرشيف العُماني

موقف بريطانيا من رفع الأعلام على السفن العُمانية في زنجبار عام 1257هـ/1841م

دراسة وتحقيق

الباحثة
فاطمة بنت ناصر بن خلف الحاتمية
قسم التاريخ/ كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس

الأستاذ الدكتور
محمد سالم غثيان الطراونة
قسم التاريخ/ جامعة السلطان قابوس
قسم التاريخ/ جامعة مؤتة-الأردن

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقات السياسية والاقتصادية بين عُمان ودولة إنجلترا، وذلك من خلال وثيقة محفوظة في هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية بمسقط، وهي مُدوَّنة في السجل رقم OM.NRAA.A.2.1.3.7، ويعود تاريخها إلى 28 صفر 1257هـ/ 21 أبريل (نيسان) 1841م، وهي مصنفه في الهيئة ضمن وثائق النقل البحري، والعلاقات الخارجية مع بريطانيا في عهد السيد سعيد بن سلطان، سلطان عمان وزنجبار (1804-1856م) .

وقد أبرزت الدراسة طبيعة هذه العلاقات بين عُمان وإنجلترا، و المراسلات التي دارت بين السيد سعيد بن سلطان، و القبطان أتكنز همرتون؛ القنصل البريطاني في زنجبار. وتناولت هذه الوثيقة الأحداث التي ترتبت على رفع الاعلام على السفن العُمانية في زنجبار.

الكلمات الدالة: سلطنة عُمان، زنجبار، إنجلترا، السيد سعيد، القنصلية البريطانية، القبطان همرتون، الاعلام.

Abstract

This research aims to identify the political and economic relations between Oman and England. As for the date of this document, it dates back to Safar 28, 1257 AH/April 21, 1841 AD. It is recorded in Register No. OM.NRAA.A.2.1.3.7, kept at the National Records and Archives Authority in Muscat. The register consists of (55) sheets. The document is classified under maritime transport and foreign relations with Britain during the reign of Sultan Said bin Sultan (1841-1850 AD). In the register, the document occupies sheet No. (5).

The study highlighted the nature of the political and economic relations between Oman and England, by presenting the correspondence that took place between Captain Atkins Hamerton; the British Consul in Zanzibar, and Sultan Saeed bin Sultan. The document mentioned incidents related to violations of flag codes on ships in Zanzibar 1256 AH / 1841 AD.

Keywords: Sultanate of Oman, Captain Hamerton, Zanzibar.

أهمية الوثائق العُمانية:

تعد الوثائق العُمانية المحفوظة في هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية بمسقط من أهم المصادر التاريخية في دراسة تاريخ عُمان الحديث والمعاصر، لما حوته من معلومات قيمة وتفصيلية عن عُمان في تلك الحقبة لم ترد سواها وتعد هذه المعلومات قيمة ونفيسة، لما توفره من معلومات غزيرة تغطي مختلف جوانب الحياة لمجتمع عُمان في تلك الحقبة، وقد تميزت المعلومات الواردة في هذه الوثائق بمصداقيتها ودقتها فقد رسمت لنا صورة واقعية لمجتمع عُمان آنذاك من

حيث تنوع العناصر السكانية والعلاقة القائمة بين هذه العناصر وسمت هذه العلاقة القائمة على المنفعة المتبادلة.

ولا بد من الإشارة أن المعلومات الواردة في داخل الوثيقة متنوعة مما يساعد الباحث على توظيفها في أكثر من اتجاه لخدمة بحثه.

وتعد أهمية الوثائق العُمانية المحفوظة في الهيئة إلى كون المعلومات الواردة فيها موثقة وموثوقة فهي موثقة لإنها تحمل اسم كاتبها وتوقيعه، وتحمل هذه المعلومات صفة رسمية، والمعلومات الواردة في الوثائق موثوقة لإنها تخلوا من الميول والاتجاهات، ذلك أن كاتبها لم يقصد به كتابة التاريخ، وانما تسجيل الوضع القائم، لذلك تعد معلومات الوثائق العُمانية معتمدة وموثوقة ورسمية ويمكن الاحتجاج بها.

أسلوب كتابة الوثيقة:

نلحظ من خلال قراءة الوثائق العُمانية التي تعود لهذه الحقبة أنه لم تكن هنالك طريقة واحدة منظمة للكتابة، وبعضها كتب بلغة أقرب للعامية مع الملاحظة أن أسلوب الوثائق اختلف من وثيقة لأخرى؛ وهذا يعود لاختلاف لغة الكتاب وأساليبهم في الكتابة.

واستخدم في الوثيقة الكثير من الكلمات الأعجمية والعامية، ومنها على سبيل المثال: جولاي، وتعني شهر يوليو، واللفظة تحريف لكلمة JULY الانجليزية، نارزوردي: مصطلح هندي، ويعني وكيل المراكب، انكلند وهو تحريف للكلمة الانجليزية (England): ويقصد بها المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا، المواشي: جمع ماشوة، وتعني نوع من أنواع السفن العُمانية التقليدية، سكنل: محرفة من اللغة الإنجليزية، وأصلها Signal، وتعني الإشارة أو العلامة، بنديرة: ويقصد بها العلم الكبير، نأمر عليه، وتعني نطلب منه أن يفعل، ووردت في الوثيقة بعض الأخطاء الإملائية، منها: حاظره، يسئل، قبل هذا، ان.

التعريف بالمواقع الواردة في الوثيقة:

زنجبار:

يُمثِّل أرخبيل زنجبار، أو(بَرُّ الزنج) باللغة العربية؛ أيْ ساحل الزنج، مجموعة جُزُر في المحيط الهندي، قريبة من الساحل الشرقي للقارة الإفريقية قبالة دولة تنزانيا اليوم، ويفصلها عنها مضيق يبلغ عرضه (45) كم تقريبًا، ويتكوَّن من نحو(75) جزيرة، أكبرها (3) جُزُر، هي:

بمبا (Pemba) في الشمال التي سمّاها العرب الجزيرة الخضراء، وأونغوجا (Unguja) التي تُعرَف بزنجبار (Zanzibar) في الوسط، ومافيا (Mafia) في الجنوب.

تقع زنجبار على خط الطول (00"22'39°) شرقًا، ودائرة العرض (00"08'6°) جنوبًا[1]، ويُمثِّل أرخبيل زنجبار – جيولوجيًّا– مجموعة جُزُر قارية التكوين، تحيط بها شعاب مرجانية كثيفة، تُشكِّل بحيرات شاطئية على نحوٍ يجعل سواحلها كثيرة التعرُّج والتقطُّع، في صورة أشباه جُزُر وخلجان تساعد على إنشاء موانئ آمنة[2].

تبلغ مساحة زنجبار (1660) كم مربعًا، ويصل امتدادها من الشمال إلى الجنوب نحو (85) كم، وأقصى عرض لها من الشرق إلى الغرب (39) كم، وتبعد عن البَرِّ الإفريقي مسافة (25) ميلًا، و(118) ميلًا جنوب ممباسا، و(35) ميلًا جنوب جزيرة بيمبا، و(29) ميلًا شمالي مدينة دار السلام، ونحو (8000) ميل عن لندن (في بريطانيا)، و(2200) ميل عن مسقط (في سلطنة عُمان)، و(2500) ميل عن بمباي (في الهند)، و(750) ميلًا عن مدغشقر، و(500) ميل عن جُزُر القمر[3].

ونظرًا لوقوع زنجبار جنوب خط الاستواء، فإنَّ مناخها يمتاز بأنه حار ورطب، ودرجات الحرارة فيها تتراوح بين (24) درجة مئوية و(29) درجة مئوية، وتمتاز بغزارة الأمطار شتاءً وصيفًا، و لا سيَّما في شهري مارس وأبريل؛ إذ يتراوح معدَّل سقوط الأمطار في هذيين الشهريين ما بين (150) ملم و(2250) ملم[4].

---

(1) Ingrams, W.H, ZANZIBAR ITS HISTORY AND ITS PEOPLE, STACEY INTERNATIONAL, London, 2007, P20.

(2) الميزوري، العروسي وآخرون، سلسلة البحوث والدراسات في الوثائق الوطنية الدولية في العلاقات التاريخية بين سلطنة عُمان وشرق إفريقيا في العهد البوسعيدي (1882–1938م): نظام الوقف والوصايا بزنجبار أنموذجًا، 2ج، تقديم: حمد بن محمد الضوياني، منشورات هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، مسقط، 2014م، ج1، ص12.

(3) المغيري، سعيد بن علي (ت:1383هـ/ 1963م)، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط3، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1994م، ص 73.

(4) البحراني، عماد بن جاسم، زنجبار بملامح عُمانية، دار سؤال للنشر، بيروت، 2017م، ص17.

يُذكَر أنَّ زنجبار اسم فارسي يتألَّف من لفظتين، هما: (زنج)، وتعني الزنج، و(بار)، وتعني ساحل، ومعنى اللفظتين ساحل الزنج. أمّا اسم (زنجبار) باللغة الانجليزية فهو (Zanzibar)، وباللغة السواحيلية أنجوجا (Unguja) ، وهي مركبة من كلمتين أنجو ومعناها المنسف، وجاء ومعناها امتلاء[1].

تُعَدُّ زنجبار إحدى أهم الجُزُر الواقعة في شرق إفريقيا، وقد اشتُهِرت بموقعها الاستراتيجي والمُتميِّز تجاريًّا، وكانت مقصدًا للتجار العرب القادمين إليها من شبه الجزيرة العربية، ولا سيَّما من عُمان واليمن[2]، وقد وصلها الإسلام عن طريق الهجرات العربية والشيرازية إلى شرق إفريقيا في نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وكان من أوائل الهجرات العربية هجرة قبيلة الأزد من اليمن[3].

توجد صلة وثيقة بين تاريخ زنجبار وموقعها الاستراتيجي الفريد؛ و ذلك كونها تمثل نقطة ارتكاز في شرق افريقيا، وقد اتصلت – منذ القِدَم– بالهند وبلدان الخليج العربية والبحر الأحمر، وسيطر عليها البرتغاليون عام 1503م، واستخدموها قاعدةً لتوسيع نفوذهم في شرق إفريقيا.

خضعت زنجبار لسلطنة عُمان منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، حين قَدِم أئمَّتها لنجدة الإمارات الإسلامية المنتشرة على الساحل الإفريقي الشرقي، ثم استولوا على ممباسا عام 1698م، التي كانت في قبضة البرتغاليين آنذاك، وتوغَّل منها التجار العرب إلى داخل قارة إفريقيا، ثم نقل إليها السيد سعيد بن سلطان مقر حكمه عام 1832م، وتعاقب عليها المُستعمِرون البريطانيون والألمان حتى نالت استقلالها في شهر ديسمبر (كانون الأول) عام 1963م، ثم خُلِع سلطانها جمشيد بعد انتفاضة دموية في شهر يناير (كانون الثاني) عام 1964م، ليُعلَن عن إنشاء جمهورية تنزانيا المتحدة[4].

---

(1) محمد، صالح محروس، دور بريطانيا في تفكيك الإمبراطورية العُمانية في شرق إفريقيا، تقديم: د. حامد كراهيلا، مكتبة بيروت، القاهرة، 2019م، ص16.

(2) البوسعيدي، محمد بن خميس بن محمد، "تأسيس المدن الإسلامية في شرق إفريقيا"، مجلة التفاهم، مسقط، العدد (39)، 2013م، ص ص:403-404

(3) البحراني، زنجبار بملامح عُمانية، ص18.

(4) الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، 4ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015م، ص ص: 45-46.

الأعلام الوارد ذكرها في الوثيقة:

1- السيد سعيد بن سلطان:

هو السيد سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد آل بوسعيد، وُلِد في ولاية سمائل بداخلية عُمان عام 1791م، تولّى الحكم عام 1804م، وقد اعتمد في عهده لقب (السيد) بدلًا من لقب (الإمام)، ومنح زوجته لقب (السيدة)، وتبوَّأ مقاليد الحكم في عُمان عام 1806م، ونقل العاصمة من مسقط إلى زنجبار[1]، لتكون عاصمة لسلطنته وكان ذلك في عام 1832م[2]. ومن أبرز الأسباب التي دفعته إلى اختيار زنجبار لتكون مقرًّا لحكمه: موقعها الاستراتيجي الواقع بالقرب من الساحل الإفريقي، ووجود مرفأ عميق فيها لرسوِّ السفن، واضافة لموقعها المتوسط بين موانئ شرق إفريقيا، وكثرة مواردها، ووفرة خيراتها، وحصانة موقعها من الأطماع التي بدأت تلوح في الأفق بعد رحيل البرتغاليين منها[3].

اتصف السيد سعيد بن سلطان بالشجاعة، وبُعْد النظر، والحنكة السياسية، وقد تجلّى ذلك في وصف ابن رزيق، بقوله: "الملك تُضرَب به الأمثال، في الشرف والأفضال، لقد حارب العدا فسقاهم كاسات الردى، فملك الثرى أقدامهم، واستأصل جرثومة سلطانهم، فأذعنوا له قسرًا؛ إذ غلبهم قهرًا، وأيَّده الله نصرًا" [4].

تمكن السيد سعيد بن سلطان من ضم مقاطعة ظفار إلى عُمان عام 1829م، يُعَدُّ بحقٍّ أحد أكثر السلاطين البوسعيديين كفاءةً، كما إنَّه أعظمهم شأنًا وقوَّةً؛ وكان ذا شخصية قوية مُؤثِّرة،

---

(1) Ben Al-Seyed Hussain, Yousuf Hashim Al-Mousawi, Ahistory Of Omani-British Relations, With Special Reference to the Period 1888-1920, PhD thesis, Department of Modern History, University of Glasgow,1990,P35.

(2) العقاد، صلاح، جمال زكريا قاسم، زنجبار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959م، ص43.

(3) محمد، دور بريطانيا في تفكيك الإمبراطورية العُمانية في شرق إفريقيا، ص36.

(4) ابن رزيق، حميد بن محمد بن بخيت النخلي العُماني (ت:1291هـ/1874م) السيرة الجليلة سعد البوسعيدية، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2007م، ص ص: 275-276.

وكان صاحب رؤية ثاقبة ومُتفتِّحة وشاملة تجاه مجريات الأمور على الساحة الدولية؛ ما أسهم بفاعلية في نجاح سياسته إقليميًّا ودوليًّا[1].

كان للسيد سعيد بن سلطان حضور فاعل على الساحتين الداخلية و الخارجية. أمّا تأثيره داخليًّا فتمثَّل في تحقيق إنجازات مهمة في مناحي الحياة الاقتصادية كافة، وبخاصة في المجالي الزراعي والتجاري؛ ففي مجال الزراعة، جلب السيد سعيد من جزيرة موريشيوس الإندونيسية شجر القرنفل، ونشر زراعته في زنجبار، وحقق بذلك ثروة زراعية في استثماره بالبلاد، فأصبحت زنجبار من أغنى البلدان في زراعة القرنفل. وفي الوقت نفسه، كان السيد سعيد تاجرًا ماهرًا نظَّم تجارة بلاده مع العالَم الخارجي، وبنى لهذا الغرض أسطولًا ضخمًا جاب بتجارة زنجبار الموانئ الأوروبية والآسيوية، وأصبحت زنجبار في عهده محطة تجارية مهمة في المحيط الهندي. كما ازدهرت تجارة العاج في عهده في زنجبار؛ نتيجةً لزيادة عدد الفيلة، وتقدُّم وسائل صيدها، كما حد في الوقت نفسه من صيدها قبل استكثارها وانتشارها[2].

أمّا على مستوى العلاقات الخارجية، فقد عقد السيد سعيد بن سلطان عام 1833م أول اتفاقية تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية، لتكون سلطنته ثاني دولة عربية تُوقّع اتفاقية معها بعد المغرب؛ إذ صرَّح المبعوث الأمريكي روبرتس Roberts أنَّه سعيد لإقامة الولايات المتحدة الأمريكية علاقة صداقة مع دولة تملك أسطولًا أكبرَ وأقوى من أسطول الولايات المتحدة الأمريكية نفسها؛ حيث كان الأسطول العُماني ثاني أكبر أسطول في المحيط الهندي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بعد الأسطول البريطاني، وحوى عددًا من السفن الضخمة، مثل: تاج بكس، وكارولين، وشاه علم، وليفربول، وسلطانة، وتاجة[3].

وتوسع نفوذ الدولة في عهد السيد سعيد بن سلطان، وترسَّخ وجوده في شرق إفريقيا، حيث انتشرت حضارة العرب والإسلام في ربوع تلك الأصقاع من شرقي إفريقيا؛ فقد شيَّد العُمانيون

---

(1) الخضوري، جمعة بن علي بن محمد، البحرية العمانية عبر الزمان: مجد تليد من تاريخ عُمان، مطبعة الألوان الحديثة، مسقط، 2012م، ص607.

(2) محمد، دور بريطانيا في تفكيك الإمبراطورية العُمانية في شرق إفريقيا، ص ص:36-37.

(3) البوسعيدي، سالم، صناع التاريخ العُماني، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، 2021م، ص ص: 440-441.

المراكز التجارية، وبنوا المساجد والقصور، وبخاصة في زنجبار التي سطع نجمها في ظلِّ وجود العرب العُمانيين؛ فأنشأوا فيها المنازل الأنيقة، والحارات ذات الطابع العُماني الإسلامي، وساهمت زراعة القرنفل والنارجيل في ازدهار زنجبار، حتى غدت زنجبار مدينة مزدهرة، عظيمة الثراء، وذات اقتصاد قوي؛ مما جعل السفن التجارية تقصدها من أصقاع الأرض قاطبةً[1].

تُوفِّي السيد سعيد بن سلطان يوم 19 صفر عام 1273هـ/18 أكتوبر (تشرين الأول) عام 1856م[2] على متن سفينته فيكتوريا في أثناء رحلته من عُمان إلى زنجبار، قرب جزر سيشل[3]، وقد دُفِن في زنجبار، وقد بلغ عدد أولاده (30) نفرًا من الذكور والإناث[4].

ترك السلطان سعيد بعد وفاته إمبراطورية مترامية الأطراف، تمتدُّ من شمال الخليج وعُمان إلى شرق إفريقيا، و بلغت عُمان في عهده أقصى اتساع لها؛ ما بين رأس دلجادو ورأس جردفون وزنجبار وغيرها من الجزر، إضافةً إلى عشرات المدن الساحلية من مقديشو شمالًا إلى مصب نهر روفوما جنوبًا. وقد انقسمت هذه الإمبراطورية وقتئذٍ إلى قسمين، هما: القسم الإفريقي الذي أصبحت عاصمته زنجبار، وخضع لسلطة السيد ماجد بن سعيد. والقسم الآسيوي الذي كانت عاصمته مسقط، وتولّى مقاليد الحكم فيه أخوه ثويني بن سعيد الذي ناب عن أبيه في الحكم منذ عام 1833م[5].

2- القبطان أتكنز همرتون (Atkins Hamerton):

ضابط بريطاني من الكتيبة الوطنية في بومباي، وكان عقيدًا في الجيش الإيرلندي سابقًا. وبناءً على رغبة السيد سعيد، فقد عينه مندوبًا لمكتب الهند ووزارة الخارجية البريطانية في شهر

---

(1) الخضوري، البحرية العُمانية، ص608.

(2) السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد (ت: 1332هـ/1914م)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، 2ج، تصحيح: إبراهيم بن اطفيش الجزائري، المطبعة السلفية، القاهرة، 1931م، ج2، ص219.

(3) ابن رزيق، حميد بن رزيق بن بخيت النخلي العُماني (ت: 1291هـ/1874م)، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين (1198-1291هـ/1783-1874م)، 2ج، تحقيق: محمد حبيب صالح، محمود مبارك السليمي، ط6، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2106م، ج2، ص515.

(4) البوسعيدي، حمد بن سيف بن محمد، الموجز المفيد نبذ من تاريخ البوسعيد، ط2، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، مسقط، 1995م، ص33.

(5) الخضوري، البحرية العُمانية، ص ص: 630-631.

أكتوبر (تشرين الأول) عام 1840م، ثم تولى منصب الوكيل السياسي لشركة الهند الشرقية البريطانية في مسقط، وقد لحق بالسيد سعيد بن سلطان إلى زنجبار عام ١٨٤١م؛ إذ أرسلته الحكومة البريطانية في مسقط ليباشر عمله في زنجبار وكيلًا سياسيًّا من طرف حكومة بومباي، وقنصلًا عامًّا من قِبَل حكومة لندن وتجدر الإشارة أنه أول أوروبي نظَّم رحلة إلى واحة البريمي[1].

وصل همرتون من الهند في شهر ربيع الثاني من عام 1257هـ/ 4 مايو (أيار) عام 1841م، وأصبح أول قنصل بريطاني في شرق إفريقيا[2]، وكان مقره في زنجبار[3]، وقد تطوَّرت العلاقات بينه وبين السيد سعيد، بحيث أصبح المرجع الأمين للسيد سعيد في إسداء النصائح إليه[4]، وكثيرًا ما كان يُكلِّفه بالإشراف على الحكم في زنجبار مع ابنه خالد في أثناء وجوده (السيد سعيد بن سلطان) في عُمان لإدارة شؤون الحكم.

وكان همرتون يحمل لقب ممثل جلالة الملكة، وكان يقوم بوظيفة مزدوجة، إذا كان عليه تمثيل حكومة لندن فيما يتعلق بقمع تجار الرقيق، ومحاكمة السفن التي تشتغل بتلك التجارة مع عدم اكتراث حكومة لندن بالمصالح التجارية، كما كان يمثل حكومة الهند البريطانية فيما يختص بتفقد رعايا بريطانيا من الهنود المقيمين في شرق إفريقيا[5].

---

(1) غانم، غانم، نور كمال، السيد سعيد بن سلطان ودوره في عمان (1806-1856م): دراسة في ضوء الوثائق السرية العُمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، 2018م، ص95.

(2) روث، رودلف سعيد، السيد سعيد بن سلطان (1791-1856م) حاكم عُمان وزنجبار، ترجمة: سامي عزيز، جامعة القاهرة ، 1983م، ص95.

(3) الفارسي، الشيخ عبد الله بن صالح، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1982م، ص ص:102-103.

(4) خليفة، أحمد صالح، "مصلح محمد عبد العيساوي، السياسة البريطانية تجاه زنجبار1856-1870م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات الحضارية والتاريخية، العراق، مج8، العدد (24)، 2016م، ص133.

(5) المحذوري، سليمان بن عمير بن ناصر، زنجبار في عهد السّيد سعيد بن سلطان(1804-1856م) دراسة في التاريخ الاقتصادي، دار الفرقد، دمشق، 2014م، ص136.

ظلَّ همرتون يشغل منصب القنصل البريطاني في زنجبار حتى وفاته عام 1857م، وطوال هذه المدَّة أسهم بدور فاعل في تقوية النفوذ السياسي والاقتصادي لبريطانيا في شرق إفريقيا[1].

3 أحمد بن النعمان الكعبي:

هو الشيخ الحاج أحمد بن النعمان بن محسن بن عبدالله الكعبي، ولد في البصرة عام 1784م[2]، وبعد أن بلغ سن الرشد ذهب إلى البحرين، ومكث بها عدة سنوات ليواصل دراسته فيها، وبعد أن انهى دراسته توجه إلى زنجبار، وأصبح سكرتيرًا خاصًا للسيد سعيد بن سلطان، ثم قلده أمور التجارة، وجعله مندوبه الخاص، وشغل عدة مناصب منها وزيرا للخارجية، ووزيرًا للتجارة[3]، ويعد الكعبي أول دبلوماسي عربي لدولة عربية لدى الولايات المتحدة الامريكية حيث عين سفيرًا للإمبراطورية العُمانية عام 1840م، وكان مسؤولًا عن البارجة السلطانية –ملك لسيد سعيد بن سلطان– والتي سافر بها إلى أمريكا، حيث كان يحمل الهدايا والمراسلات السياسية[4]، كما كان مفوضا بالتجارة من قبله، وقبل توجه أحمد بن النعمان إلى نيويورك، مر بزنجبار ليقوم بشحن السلع والهدايا التي سوف يحملها إلى أمريكا، وقد وصلت البعثة الدبلوماسية إلى ميناء نيويورك في 13 إبريل 1840م، وعند وصول البعثة إلى نيويورك جرى لها استقبالًا رسميًا حافلًا وكان على رأس المستقبلين الرئيس الامريكي مارتن فورن بورين، وتعد هذه الرحلة أول بعثة رسمية عُمانية إلى الولايات المتحدة[5]، كما قام برحلة إلى فرنسا، وكان الكعبي يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ولديه خبرة في الملاحة وعلوم البحر، وكانت وفاته عام 1867م في عهد السيد ماجد بن سعيد[6].

---

(1) قاسم، جمال زكريا، دولة البوسعيد في عمان وشرقي إفريقيا (1741–1970م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2000م ، ص210.

(2) الفارسي، البوسعيديون حكام زنجبار، ص66.

(3) قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرقي إفريقيا، ص207.

(4) البوسعيدي، الموجز المفيد نبذ من تاريخ البوسعيد، ص33.

(5) الخضوري، البحرية العمانية، ص619.

(6) غانم، السيد سعيد بن سلطان ودوره في عمان (1806–1856م)، ص92.

التعريف بالوثيقة:

خط الوثيقة:

كُتِبت هذه الوثيقة بخط واضح وجميل و مقروء، و هو مزيج من خط النسخ وخط الريحان باللون الأسود من تجاه اليمين إلى اليسار، لكنَّه كُتِب بصورة سريعة اعتيادية، ويبدو أنَّ الكاتب لم يكن مُتخصِّصًا في هذا النوع من الخط؛ ما يعني أنَّه كاتب، أو خطّاط غير مُتمكِّن.

الحبر المُستخدَم في الوثيقة:

استُخدِم في هذه الوثيقة الحبر العربي التقليدي المُصنَّع بصورة طبيعية من الصمغ العربي، والزاج، والرمان، والعسل، والصبر، والفحم.

تاريخ الوثيقة:

كُتِبت هذه الوثيقة بتاريخ 16 جمادي الأول 1257هـ/ 6 يوليو (تموز) 1841م.

لغة الوثيقة:

كُتِبت هذه الوثيقة باللغة العربية.

المصطلحات الحضارية الوارد ذكرها في الوثيقة:

السيد، الإمام، والي، وكيل، الأمجد الأفخم، الأمجد الأحشم، الأنبل الأرشد، الشريف، رعايا، جناب، حضرة، قبطان، مستر، نارزوردي.

المصطلحات العامية الوارد ذكرها في الوثيقة:

من المصطلحات العامية التي ورد ذكرها في الوثيقة:

حطبة: خشبة أو العمود من الخشب.

نأمر عليه: نطلب منه أن يفعل.

يقلع: انتزاع الشيء من أصله.

ترخصوه: تأذنوا له.

مكان الوثيقة:

حُفِظت هذه الوثيقة في هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، وذلك بتاريخ 28 صفر 1257هـ/ 21 أبريل (نيسان) 1841م.

حجم الوثيقة:

تتكون الوثيقة من صفحة واحدة، ويبلغ عدد أسطر الوثيقة (18) سطرًا، ويتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد بين سبع كلمات وتسع عشرة كلمة.

منهج التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق هذه الوثيقة المنهج المُتَّبَع في التحقيق، الذي يستهدي بالأصول العلمية المعتمدة في هذا المجال، من حيث: ضبط نص الوثيقة، وتنقيحه، وتصحيحه، وتوضيح معاني بعض الكلمات المُبهَمة، والتعريف بالمواقع، والترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في النص.

تحقيق نص الوثيقة

شقة[1] لجناب[2] الأجّل[1] الأمجد[2] الأفخم[3] حضرة[4] السّند[5] سعيد بن سلطان[6] الإمام[7] المحترم.

---

(1) **شقة:** أي كتبت وخطت، ويقال شقق الكلام أي أخرجه أحسن مخرج، انظر: ابن منظور؛ أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (ت:711هـ/1311م)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 2008م، ص2302، وسيشار إليه لاحقًا: ابن منظور، لسان العرب؛ الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني (ت:1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، اعتنى به ووضع حواشيه: عبدالمنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود، 32مج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، مج 13، ج25، ص300، وسيشار إليه لاحقًا: الزبيدي، تاج العروس؛ الأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد (ت:370هـ/980م)، تهذيب اللغة، 15ج، تحقيق: رشيد عبد الرحمن العبيدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ج11، ص117، ج8، ص246؛ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت:393هـ/ 1002م)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009م، ص607، مادة (شقق)، وسيشار إليه لاحقا: الجوهري، تاج اللغة.

(2) **جناب:** لقب تشريف وتعظيم بمعنى صاحب السيادة والسمو، وهي كلمة عربية بمعنى عتبة أو مدخل أو باب أو بداية، لكنها تستخدم للتضخيم، فيقال جنابك بمعنى شرفك أو سيداتك، وهو من الألقاب الأصول التي بدأ استعمالها في المكاتبات إذ إنه كان يعبر عن الرجل بفنائه وما قرب من محلته من باب التعظيم، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص692؛ الزبيدي، تاج العروس، مج1، ج1، ص112، الأزهري، تهذيب اللغة، ج11، ص117؛ الجوهري، تاج اللغة، ص203، مادة (جنب)؛ جب، هاملتون، هارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، 2ج، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، ومراجعة أحمد عزت عبدالكريم، دار المعارف، مصر، 1971م، ج1، ص239؛ بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من

خلال الآثار والوثائق والمخطوطات 1517-1924م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص235؛ دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، 10ج، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997م، ج2، ص295.

(1) **الأجل:** العظيم والجليل، أي عظيم القدر، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص664؛ الزبيدي، تاج العروس، مج14، ج27، ص125؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج10، ص487، مادة (جل)؛ الجوهري، تاج اللغة، ص196، مادة (جلل).

(2) **الأمجد:** المروءة والسخاء، الشريف والكريم والمعطاة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص4138؛ الزبيدي، تاج العروس، مج5، ج9، ص86؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج10، ص487؛ الجوهري، تاج اللغة، ص1063، مادة (مجد).

(3) **الأفخم:** والفخم عظيم القدر، ومن المنطق جزل، والتفخيم: التعظيم ورفعة الشأن، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص3362، الزبيدي، تاج العروس، مج17، ج17، ص115؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج7، ص453؛ الجوهري، تاج اللغة، ص875، مادة (فخم)؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج8، ص26.

(4) **حضرة:** وردت في الأصل: حضره، والصواب حضرة: الحضرة في اللغة الفناء، وحضر الرجل قربه وفناؤه، وتقال بفتح الحاء وكسرها وضمها، وقد استعمل اللفظ كلقب فخري، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص906؛ الزبيدي، تاج العروس، مج6، ج11، ص21؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج4، ص200؛ الجوهري، تاج اللغة، ص258، مادة (حضر)؛ بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص 208.

(5) **السند:** معتمد، (مُعْتَمَدُ الإنسان) كالمُسْتَنَدِ، وهو مجاز. ويقال: سَيِّدٌ سَنَدٌ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص2114؛ الزبيدي، تاج العروس، مج4، ج7، ص123؛ الجوهري، تاج اللغة، ص563، مادة (سند).

(6) **سعيد بن سلطان:** ولد في عام 1791م في ولاية سمائل، وحكم في الفترة الواقعة ما بين عامي (1806-1856م) ، شهدت عمان في عهده رخاء اقتصاديا واستقرارا سياسيًا، كما امتد نفوذه في إلى عدة مناطق في الخليج العربي، وشرقي إفريقيا؛ حتى أضحت دولته أكبر دولة محلية في الجزء الغربي من المحيط الهندي، وبلغ ذلك النفوذ ذروته بقيام الإمبراطورية العُمانية في شرق إفريقيا، وبناء أسطول تجاري كبير، وقوة بحرية هائلة حيث يعد ثاني أكبر أسطول في المحيط الهندي بعد الإسطول البريطاني، شجع النشاط التجاري من خلال عقده اتفاقيات تجارية مع دول العالم الكبرى مثل: الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والبرتغال، وفي عهده أرسل أول سفير عربي إلى الولايات المتحدة عام 1840م، وكذلك أدخل في عهده زراعة القرنفل في زنجبار لأول مرة عام 1842م، وبعد وفاته وقع خلاف بين أبنائه على تولي الحكم، مما أتاح لبريطانيا فرصة التدخل في الشؤون الداخلية عام1861م، حيث تم فصل زنجبار عن التبعية العُمانية، لمزيد من المعلومات، انظر: قاسم، جمال زكريا، دولة البوسعيد في عمان وشرقي إفريقيا (1741-1970م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2000م، ص10؛ انظر: البحراني، عماد، الامبراطورية العُمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان (1806-1856م)، بحث منشور في مجلة كان التاريخية، العدد الثاني، 2018م، ص72؛ هيئة الوثائق

المؤرخ في 6جولاي [2] 1841 مطابق16 جمادي الأوّل 1257

لجناب الأجّل الأمجد الأحشم[3] والأنبل[4] الأرشد[5] الأفخم حضرة السّيد سعيد بن سلطان الإمام[6] المحترم دام مجده حرسه[7] الله من الآفات[8] ساحة وجوده وأهلك عدوّه وحسوده آمين. الموجب لتحريره ابلاغ جنابكم جزيل التّحية[9] والسّؤال[10] عن حالكم الشريف[11] أحال[1] الله عنكم

والمحفوظات العُمانية، زيارات رسمية (علاقات خارجية مع بريطانيا) عهد السلطان سعيد بن سلطان، 1841-1850م، archives.nraa.gov.om، تاريخ الزيارة 2021/11/20م.

(1) **الإمام:** وردت في الأصل الأمام، والصواب الإمام: والإمام في اللغة الذي يقتدى به، وأول من أطلق عليه الإمام كلقب فخري عام هو المهدي حين كان واليا للعهد ثم خليفة، ومنذ ذلك اللحين أصبح هذا اللقب يطلق على كل من يتلقب بالخلافة، ولم يقتصر على الخلفاء بل أطلق شعبيا على كل من يعتبر في شأن من شؤون الدين، ويطلق لصاحب الشأن والطاعة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص134؛ الزبيدي، تاج العروس، مج16، ج31، ص 120؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج4، ص200، الجوهري، تاج اللغة، ص55، مادة (أمم)؛ بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص203.

(2) **جولاي:** ويقصد به شهر يوليو، واللفظة تحريف لكلمة JULY الانجليزية.

(3) **الأحشم:** المهيب، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص889؛ الزبيدي، تاج العروس، مج16، ص257؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج4، ج7، ص194؛ الجوهري، تاج اللغة، ص254، مادة (حشم).

(4) **الأنبل:** الكريم والفضيل، والمعطي، والنجيب، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص4329؛ الزبيدي، تاج العروس، مج15، ج29، ص247؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج15، ص360؛ الجوهري، تاج اللغة، ص1112، مادة (نبل).

(5) **الأرشد:** أي راشد ورشيد بمعنى مستقيم، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص1649؛ الزبيدي، تاج العروس، م4، ج7، ص54؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج11، ص321؛ الجوهري، تاج اللغة، ص444، مادة (رشد).

(6) وردت في الأصل: الامام.

(7) وردت في الأصل: حرس.

(8) وردت في الأصل: الأفات، الآفات: الأمراض.

(9) وردت في الأصل: التحيت.

(10) وردت في الأصل: السؤال.

(11) **الشريف:** العالي والشريف المكان العالي. وقيل: المجد والكرم والحسب، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص2242؛ الزبيدي، تاج العروس، مج12، ج23، ص264؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج11، ص341؛ الجوهري، تاج اللغة، ص593، مادة (شرف).

عنكم المكروهات. وبعد غير خفي على جنابكم أن[2] وصَلَنَا محبّكم أحمد بن نعمان[3] مع مستر[1] نارزوردي[2] وذكر لنا أنّ[3] جنابكم أمرتم عليه أنه[4] بحضوري يسأل[5] من مستر

---

(1) وردت في الأصل: احال، وأحال: تعني أبعد وأزال، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص973؛ الزبيدي، تاج العروس، م14، ج27، ص185؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج3، ص441؛ الجوهري، تاج اللغة، ص276، مادة (حلل).

(2) وردت في الأصل: ان.

(3) **أحمد بن النعمان:** هو الشيخ الحاج أحمد بن النعمان بن محسن بن عبدالله الكعبي، ولد في البصرة عام 1784م، وبعد أن بلغ سن الرشد ذهب إلى البحرين، ومكث بها عدة سنوات ليواصل دراسته فيها، وبعد أن انهى دراسته توجه إلى زنجبار، وأصبح سكرتيرًا خاصًا للسيد سعيد بن سلطان، ثم قلده أمور التجارة، وجعله مندوبه الخاص، وشغل عدة مناصب منها وزيرًا للخارجية، ووزيرًا للتجارة، ويعد الكعبي أول دبلوماسي عربي لدولة عربية لدى الولايات المتحدة الامريكية حيث عين سفيرًا للإمبراطورية العمانية عام 1840م، وكان مسؤولًا عن البارجة السلطانية –ملك لسيد سعيد بن سلطان– والتي سافر بها إلى أمريكا، حيث كان يحمل الهدايا والمراسلات السياسية، كما كان مفوضًا بالتجارة من قبله، وقبل توجه أحمد بن النعمان إلى نيويورك، مر بزنجبار ليقوم بشحن السلع والهدايا التي سوف يحملها إلى أمريكا، وقد وصلت البعثة الدبلوماسية إلى ميناء نيويورك في 13 إبريل 1840م، وعند وصول البعثة إلى نيويورك جرى لها استقبالًا رسميًا حافلًا وكان على رأس المستقبلين الرئيس الامريكي مارتن فورن بورين، وتعد هذه الرحلة أول بعثة رسمية عمانية إلى الولايات المتحدة، كما قام برحلة إلى فرنسا، وكان الكعبي يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ولديه خبرة في الملاحة وعلوم البحر، وكانت وفاته عام 1867م في عهد السيد ماجد بن سعيد، انظر: المغيري، سعيد بن علي (ت: 1383هـ/ 1963م)، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط4، زارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 2001م، ص ص:266–267؛ انظر: الخضوري، جمعة بن علي بن محمد، البحرية العمانية عبر الزمان مجد تليد من تاريخ عمان، مطبعة الألوان الحديثة، مسقط، 2012م، ص619؛ غانم، نور كمال، السيد سعيد بن سلطان ودوره في عمان (1806–1856م): دراسة في ضوء الوثائق السرية العمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، 2018م، ص92؛ البوسعيدي، حمد بن سيف بن محمد، الموجز المفيد نبذ من تاريخ البوسعيد، ط2، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، مسقط، 1995م، ص33؛ الفارسي، الشيخ عبد الله بن صالح، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1982م، ص66؛ قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرقي إفريقيا، ص207.

نارزوردي أنّ[6] له حكم من إنجلترا[7] أَن[8] ينشر بندیرة[9] وسأله[10] بحُضُورنا قال مالِيَ حكم من إنجلترا[11] لكن بقول أنّ[12] من ثمان سنين قبل هذا[13] طلبت من جنابكم أن[14] أعمل حطبةً[15]

---

(1) **مستر**: سيد، وهيه محرفة من الكلمة الانجليزية master، Oxford word power,2006,p480..

(2) **نارزوردي**: مصطلح هندي، ويعني وكيل المراكب.

(3) وردت في الأصل: ان.

(4) وردت في الأصل: انه.

(5) وردت في الأصل: يسئل.

(6) وردت في الأصل: ان.

(7) وردت في الأصل انكلند وهو تحريف للكلمة الانجليزية (England): ويقصد بها المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا.

(8) وردت في الأصل: ان.

(9) **بندیرة**: وردت في الأصل بنديره، وقد تنطق نديره ومنديره، وجمعها بنادير: ويقصد بها العلم الكبير، عامية من الإيطالية bandiearh ، وتعرف بالإسبانية bandera، وهي مأخوذة من بند الفارسية، مرادفها: راية وعلم ولواء، والبندیرة سارية خشبية للعلم، وعادة تكون في مؤخرة السفينة، انظر: أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص27، سيشار إليه لاحقًا: أدى شير، الألفاظ الفارسية؛ الأنسي، محمد علي، قاموس اللغة العثمانية: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، استانبول، 1317هـ/ 1899م، ص117، مادة (بند)؛ الغيلاني، حمود بن جويد، معجم المصطلحات والمسميات البحرية العمانية، دار مزون لطباعة والنشر، مسقط، 2020م، ص58؛ الحضوري، البحرية العمانية، ص199.

(10) وردت في الأصل: سئله.

(11) وردت في الأصل انكلند، ويقصد بها المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا.

(12) وردت في الأصل: ان.

(13) وردت في الأصل: قبلهذا.

(14) وردت في الأصل: ان.

(15) **حطبة**: خشبة أو العمود من الخشب، وهي سارية البندیرة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص913؛ الزبيدي، تاج العروس، مج1، ج1، ص179؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج4، ص394؛ الجوهري، تاج اللغة، ص260، مادة (حطب)؛ الغيلاني، معجم المصطلحات والمسميات البحرية العمانية، ص125.

واحدةً لأجل سكنل[1] ليطلب المواشي[2] من المراكب[3] وكذلك ذكر لي محبّكم أحمد بن النعمان النعمان أنّ[4] جنابكم تريدُون أن[5] يخرجُوا هذه الحطبة العلم ولا ينشر بَعْد هذا تتفضّلوا تذّكروا لنا لنا حتّى نأمر[6] عليه لِيَقُلَعْ[7] الحطبة ولا ينشر العلم وأيضا[1] مستر نارزوردي يترقب أمرنا ليقلع

---

(1) **سكنل:** محرفة من اللغة الإنجليزية، وأصلها Signal، وتعني الإشارة أو العلامة، ويقصد هنا أن يرفع علما أو راية تميز سفينته غير العلم الرسمي للدولة (حينها)، وهو أمر يرفضه السلطان، oxford word power,2006,p716.

(2) **المواشي: جمع ماشوة**، وهو قارب تقليدي له استعمالات متعددة، يبلغ طوله بين 5و9م، وعرضه بين 1,5 و2م، يحرك بالمجداف التي يتراوح عددها ما بين 20 و24 مجدافًا أو يستعمل الشراع لتحريكه، ويتميز بمقدمة مستقيمة أو منحنية عمودية، ومؤخرة عريضة ومستوية، وله ألواح متفرقة في الوسط ليجلس عليها الركاب، ويستخدم غالبًا لإنزال الطاقم والركاب والبضائع من السفن. انظر: مجموعة باحثين، الموسوعة العُمانية، مج٩، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ٢٠١٣م، ص ص: ٣١٣٢-٣١٣٣، مادة (ماشوه). وسيشار إليها لاحقًا: مجموعة باحثين، الموسوعة العُمانية؛ الحميري، جمعة خليفة أحمد بن ثالث، معجم المصطلحات البحرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، هيئة المعرفة والتنمية البشرية، دبي، 2008م، ص231؛ الغيلاني، معجم المصطلحات البحرية العُمانية، ص409؛ الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، صُنّاع السفن في سلطنة عُمان، دار مزون لنشر والطباعة، مسقط، 2020م، ص46.

(3) **المراكب:** السفن، ولفظة المركب هي في حد ذاتها اسم عام يستخدم للتعبير عن السفينة وأنواعها، انظر: ابن ابن منظور، لسان العرب، ص1714؛ الزبيدي، تاج العروس، مج1، ج1، ص321؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج10، ص219؛ الجوهري، تاج اللغة، ص461، مادة(ركب)؛ الخضوري، البحرية العمانية، ص131.

(4) وردت في الأصل: ان.

(5) وردت في الأصل: ان.

(6) **نأمر عليه:** نطلب منه أن يفعل، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص125؛ الزبيدي، تاج العروس، مج5، ج9، ص37؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج15، ص290؛ الجوهري، تاج اللغة، ص53، مادة(أمر).

(7) **يقلع:** انتزاع الشيء من أصله، قلعه يقلعه قلعًا، قال سيبويه: قلعت الشيء حولته من موضعه، واقتلعته استلبته، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص3722؛ الزبيدي، تاج العروس، مج11، ج21، ص38؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص249؛ الجوهري، تاج اللغة، 964، مادة (قلع).

ليقلع الحطبة ويمتنع من النشرة[2] وهذا العلم الذّي ينشرهُ ما هُو علم انكليزي ومستر نارزوردي يطلب إذا[3] كانَتْ معه مراكب حاضرة[4] لأجل طلب المواشي[5] إذا[6] بدت له حاجة معهم يعملَ سكنيلًا أي[7] غير العلم ليكون نشانًا إن[8] كان من الطافكم ترخّصوه[9] فبنظركم، وإلّا[10] فلا يَعَمل شَيئا وبنهاية الأدب أخبر جنابكم أنه[11] إذا[12] بدا شغل غير جزئي تتفضّلُوا تكتبوه على ورقة[13] وترسلوه لي لحتّى لا ينشأ[14] شيء من الَطّرفين وأيضا[15] لا تصير أشياء(16) لتنفّر أهل[17] هذه البلد من رعايا الإنكليز[18] وأنا[19] أرى[20] كلّ يوم[21] و ألُف[1] أَسَفًا[2] لهذا والسّلام

---

(1) وردت في الأصل: ايضا.

(2) وردت في الأصل: النشره.

(3) وردت في الأصل: اذا.

(4) وردت في الأصل: حاظره.

(5) **المواشي**: جمع ماشوة، وتعني نوع من أنواع السفن العمانية التقليدية.

(6) وردت في الأصل: اذا.

(7) وردت في الأصل: اي.

(8) وردت في الأصل: ان.

(9) **ترخصوه**: تأذنوا له.

(10) وردت في الأصل: والا.

(11) وردت في الأصل: انه.

(12) وردت في الأصل: اذا.

(13) وردت في الأصل: ورقه.

(14) وردت في الأصي: ينشي.

(15) وردت في الأصل: ايضا.

(16) وردت في الأصل: اشياء.

(17) وردت في الأصل: اهل.

(18) وردت في الأصل: الأنكليز.

(19) وردت في الأصل: انا.

(20) وردت في الأصل: ارى.

(21) وردت في الأصل: كليوم.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته جرى[3] 6جولاي سنة 1841[4] مطابق 16جمادي الأول 1257.

من محبكم قبطان[5] همرتن[6] وكيل[7] الدولة الإنكليزية[1].

---

(1) وردت في الأصل الف.

(2) وردت في الأصل: اسفا.

(3) وردت في الأصل: جرا.

(4) وردت في الأصل: سنه.

(5) **قبطان:** مفرد جمعه قبطانه وقباطين، ويقصد به ربان؛ قائد السفينة. انظر: عمر، أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، مج١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٧٦٨، كلمة (قبط)؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج8، ص171.

(6) **اتكنز همرتون (Atkins Hamerton):** هو الضابط البريطاني همرتون من الكتيبة الوطنية في بومباي، وأصبح بناء على رغبة السلطان سعيد مندوبًا لمكتب الهند ووزارة الخارجية البريطانية في تشرين الأول عام 1840م، وأصبح الوكيل السياسي لشركة الهند الشرقية البريطانية في مسقط، لحق بالسلطان سعيد بن سلطان إلى زنجبار عام ١٨٤١م، حيث أرسلته الحكومة البريطانية من الوكالة البريطانية في مسقط ليباشر عمله في زنجبار بكونه وكيلًا سياسيًا من قبل حكومة بومباي وقنصلًا عامًا من قبل حكومة لندن، وصل من الهند في شهر ربيع الثاني عام 1257هـ/ 4 مايو 1841م، وأصبح أول قنصل بريطاني في شرقي إفريقيا، وكان مقره في زنجبار، وتطورت العلاقات بين السيد سعيد وهمرتون رئيس القنصلية حيث عده السيد سعيد مرجعه الأمين في تقديم النصائح له، وكثيرًا ما كان يكلفه بالإشراف على الحكم في زنجبار مع ابنه خالد في أثناء تواجد السيد سعيد بن سلطان في عمان لإدارة شؤون الحكم، وكان همرتون يحمل لقب ممثل جلالة الملكة، وكان يقوم بوظيفة مزدوجة، إذا كان عليه تمثيل حكومة لندن فيما يتعلق بقمع تجار الرقيق، ومحاكمة السفن التي تشتغل بتلك التجارة مع عدم اكتراث حكومة لندن بالمصالح التجارية، كما كان يمثل حكومة الهند البريطانية فيما يختص بتفقد رعايا بريطانيا من الهنود المقيمين في شرق إفريقيا، ظل همرتون يشغل منصب القنصل البريطاني في زنجبار حتى وفاته عام1857م، وطيلة هذه المدة لعب دورا كبيرا في تقوية النفوذ السياسي والاقتصادي لبريطانيا في شرق إفريقيا، انظر: Matthew S. Hopper, Slaves of one Master: Globalization and slavery in Arabia in the age of empire, Yale University Press, 2015, P 45؛ قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ص210؛ غانم، السيد سعيد بن سلطان ودوره في عمان، ص95؛ العجيلي، غانم محمد رميض، عمان والسياسة البريطانية في شرق إفريقيا 1806-1862م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2013م، ص147؛ الفارسي، البوسعيديون حكام زنجبار، ص ص: 102-103؛ المحذوري، سليمان بن عمير بن ناصر، زنجبار في عهد السّيد سعيد بن سلطان (1804-1856م) دراسة في التاريخ الاقتصادي، دار الفرقد، دمشق، 2014م، ص136.

(7) **وكيل:** الوكالة كما عرفها الفقهاء هي إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في تصرف جائز مملوك له معلوم، فالوكالة نيابة اتفاقية ومصدرها اتفاق الطرفين العاقدين وركنها الإيجاب والقبول، وتتم بها ولا يتم العقد إلا

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. اظهرت الدراسة أن الأرشيف العُماني يحتوي مادة مهمة في دراسة تاريخ عُمان الحديث والمعاصر. وأهمية الوثائق العُمانية تكمن في تنوعها، إذ تشمل مختلف مناحي الحياة الجغرافية والادارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والسياسية.
2. أبرزت الدراسة أهمية الموقع الجغرافي لزنجبار وتنوع نشاطها الاقتصادي. وهذا أحد أسباب الهجرة إليها وأبرزها ما كانت تتمتع به زنجبار من جاذبية لموقعها الجغرافي المتميز وتوافر الامكانيات الاقتصادية وتنوع علاقاتها الاقليمية والدولية، وزيادة عدد سكانها وارتفاع انتاجها الفلاحي لتربط تجارتها مع عدة بلدان. فأرباح التجارة في عهد السيد سعيد بن سلطان استثمرت في امتلاك الأراضي واستغلالها، كما أن الانتاج الفلاحي المتطور كان له دور أساسي تطور الانتاج الفلاحي في زنجبار.
3. أكدت الدراسة أن هذه الوثيقة أول وثيقة وأقدمها يثار بها قضية موقف بريطانيا من رفع الأعلام على السفن العُمانية في زنجبار، وكان هدف الدولة البريطانية من مراقبة السفن العمانية لضبطها في عدم تجارة الرقيق.
4. بينت هذه الوثيقة أن الدولة البريطانية من خلال قنصلها المتواجد في زنجبار اتبعت سياسية الامر الواقع في تعاملها مع السفن التي ترفع الاعلام العُمانية لإحباط أي محاولة للمتاجرة بالرقيق.
5. تظهر الوثيقة، قيد الدراسة، اهتمام الدولة البريطانية بمراقبة السفن القادمة من شرق افريقيا باتجاه الخليج العربي لمنع تجارة الرقيق، وكان هذا يتماشى مع سياستها بعد توقيعها مع السيد سعيد بن سلطان على اتفاقية تحريم تجارة الرقيق.

بقبول الوكيل، وفي حالة العقد ينتج أثره في شخص الموكل مباشرة فالموكل لا الوكيل هو الذي يجب أن تتوفر فيه الأهلية، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص4909؛ انظر: الزبيدي، تاج العروس، مج16، ج31، ص50؛ تهذيب اللغة، ج10، ص371؛ الجوهري، تاج اللغة، 1266، مادة (وكل)؛ بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص ص:148-149.

(1) وردت في الأصل: الأنكليزيه.

6. تضمنت الدراسة الكثير من المصطلحات الحضارية والألقاب الدينية والفخرية والادارية، ومن الألقاب الدينية الواردة في الوثيقة: الامام، الحاج، حضرة، السيد، الشريف، ومن الألقاب الفخرية الواردة في الوثيقة: الامجد الأحشم، الانبل الارشد، الامجد الافخم، ومن الالقاب الادارية: وكيل، قنصل، ومن الالقاب العسكرية: قبطان، ومن الالقاب والكنايات: جناب العالي المحترم.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية:

ابن رزيق، حميد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين (ت: 129هـ/1874م)، 2ج، تحقيق: محمد حبيب صالح، محمود مبارك السليمي، ط6، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2016م.

ابن رزيق، حميد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني (ت:1291هـ/1874م)، السيرة الجليلة سعد البوسعيدية، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2007م.

السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد (ت:1332هـ/ 1914م)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2ج، تصحيح: ابراهيم بن اطفيش الجزائري، المطبعة السلفية، القاهرة، 1931م.

المغيري، سعيد بن علي (ت:1383 هـ/ 1963 م)، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط3، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1994م.

ثانيًا: المراجع:

المراجع العربية والمعربة:

بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات1517-1924م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

البحراني، عماد بن جاسم، زنجبار بملامح عُمانية، دار سؤال للنشر، بيروت، 2017م.

البوسعيدي، حمد بن سيف بن محمد، الموجز المفيد نبذ من تاريخ البوسعيد، ط2، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، مسقط، 1995.

البوسعيدي، سالم، صناع التاريخ العُماني، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، 2013م.

جب، هاملتون، وبوون، هارولد ، المجتمع الإسلامي والغرب، 2ج، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، ومراجعة أحمد عزت عبدالكريم، دار المعارف، القاهرة، 1971م.

الحميري، جمعة خليفة أحمد بن ثالث، معجم المصطلحات البحرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، هيئة المعرفة والتنمية البشرية، دبي، 2008م.

الحميري، جمعة خليفة أحمد بن ثالث، دولة الإمارات العربية المتحدة رجال الغوص واللؤلؤ، هيئة المعرفة والتنمية البشرية، دبي، 2009م.

الخضوري، جمعة بن علي بن محمد، البحرية العُمانية عبر الزمان: مجد تليد من تاريخ عُمان، مطبعة الألوان الحديثة، مسقط، 2012م.

روث، رودلف سعيد، السيد سعيد بن سلطان (1791-1856م) حاكم عُمان وزنجبار، ترجمة: سامي عزيز، جامعة القاهرة ، 1983م.

الريامي، ناصر بن عبدالله، زنجبار شخصيات وأحداث 1828-1972م، دار الحكمة، لندن، 2009م.

العجيلي، غانم محمد رميض، عُمان والسياسة البريطانية في شرق إفريقيا 1806-1862م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2013م.

العقاد، صلاح، جمال زكريا قاسم، زنجبار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959م.

عيسى، عبد الرزاق، وحداد، رضا، صفحات من تاريخ العلاقات بين عُمان وشرق أفريقيا، دار الكتب والدراسات العربية، الاسكندرية، 2015م.

غباش، حسين عبيد غانم، عُمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (1500-1970م)، ترجمة: أنطوان حمصي، دار الجديد، بيروت، 1997م.

الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، صُنّاع السفن في سلطنة عُمان، دار مزون للطباعة والنشر، مسقط ، 2020م.

الغيلاني، حمود بن جويد، معجم المصطلحات والمسميات البحرية العُمانية، دار مزون لطباعة والنشر، مسقط ،2020م.

الفارسي، الشيخ عبد الله بن صالح، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1982م.

فاعود، علي وآخرون، الأطلس الجديد للعالم، ط4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.

قاسم، جمال زكريا، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا (1741-1970م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2000م.

مايلز، صمويل باريت، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط4، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1990م.

المحذوري، سليمان بن عمير بن ناصر، زنجبار في عهد السّيد سعيد بن سلطان (1804-1856م): دراسة في التاريخ الاقتصادي، دار الفرقد، دمشق، 2014م.

محمد، صالح محروس، دور بريطانيا في تفكيك الإمبراطورية العُمانية في شرق افريقيا، تقديم: د. حامد كراهيلا، مكتبة بيروت، القاهرة، 2019م.

مغايري، مازن، موسوعة أطلس العالم، مراجعة وتدقيق: عبدالله سعيد، مكتبة الصفاء، أبوظبي، 2009م.

الميزوري، العروسي وآخرون، سلسلة البحوث والدراسات في الوثائق الوطنية الدولية في العلاقات التاريخية بين سلطنة عُمان وشرق إفريقيا في العهد البوسعيدي (1882-1938م): نظام الوقف والوصايا بزنجبار أنموذجًا، 2ج، تقديم: حمد بن محمد الضوياني، منشورات هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، مسقط، 2014م.

وزارة التراث والثقافة، عُمان وتاريخها البحري، سلطنة عُمان، ط2، مطابع النهضة، مسقط، 2002م.

المراجع الأجنبية:

Ingrams, W.H, ZANZIBAR ITS HISTORY AND ITS PEOPLE, STACEY INTERNATIONAL, London, 2007.

Matthew S. Hopper, Slaves of one Master: Globalization and slavery in Arabia in the age of empire, Yale University Press, 2015.

Oxford Word Power,2006.

Pearce F.B: Zanzibar the Island Metropolis of East Africa London,1920.

الرسائل الجامعية:

الزيود، محمود عبد الكريم مفرج، سلطنة عُمان وموقفها من القضايا العربية المعاصرة 1981-2017م، اطروحة دكتوراة، جامعة مؤتة، الأردن، 2018م.

غانم، نور كمال، السيد سعيد بن سلطان ودوره في عُمان (1806-1856م): دراسة في ضوء الوثائق السرية العُمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، 2018م.

الغيلاني، محمد بن عمر بن مبارك، تاريخ مدينة صور العُمانية في عهد السلطان فيصل بن تركي (1888-1913م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2007م.

Ben Al-Seyed Hussain, Yousuf Hashim Al-Mousawi, Ahistory Of Omani-British Relations, With Special Reference to the Period 1888-1920, PhD thesis, Department of Modern History, University of Glasgow,1990,P35.

الدوريات العربية:

البحراني، عماد، "الامبراطورية العُمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان (1806-1856م"، بحث منشور في مجلة كان التاريخية، المغرب، ع2، 2018م.

البوسعيدي، محمد بن خميس بن محمد، "تأسيس المدن الإسلامية في شرق أفريقيا"، مجلة التفاهم، مسقط، ع 39، 2013م.

خليفة، أحمد صالح، والعيساوي مصلح محمد عبد، "السياسة البريطانية تجاه زنجبار 1856-1870م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات الحضارية والتاريخية، العراق، مج8، ع24، 2016م.

الموسوعات:

بحسون، خليل، موسوعة الخليج العربي، 2ج، دار الصداقة العربية، بيروت، 1997م.

الحارثي، محمد بن عبدالله بن حمد، موسوعة عُمان الوثائق السرية، 6مج، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م.

الرشيد، خالد عبد القادر، موسوعة اللهجة الكويتية، مراجعة وضبط: خالد عبد الكريم، ط3، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2012م.

السنهوري، إسلام، موسوعة اكتشف عُمان، 2ج، مركز الراية للنشر والإعلام، 2015م.

الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، 4ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015م.

مجموعة باحثين، الموسوعة العُمانية،11مج، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2013م.

المعاجم والقواميس:

أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت:370هـ/980م)، تهذيب اللغة، 15ج، تحقيق: رشيد عبد الرحمن العبيدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م

الأنسي، محمد علي، قاموس اللغة العثمانية: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، مطبعة جريدة بيروت، بيروت، 1318هـ/1900م.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت:393هـ/1002م)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009م.

دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، 10ج، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، الجزائر، 1980م.

دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، 10ج، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997م.

الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني (ت:1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، اعتنى به ووضع حواشيه: عبدالمنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود، 32مج ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

عطية الله، أحمد، القاموس السياسي، ط3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م.

ابن منظور؛ أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (ت:711هـ/1311م)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 2008م.

المواقع الالكترونية

هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، زيارات رسمية (علاقات خارجية مع بريطانيا) عهد السلطان سعيد بن سلطان، 1841-1850م، archives.nraa.gov.om، تاريخ الزيارة2021/11/20م.

رحلات الرحالة الصيني تشنغ خه السبع 1405-1433م
ظفار نموذجا

مريم بنت سعيد البرطمانية

طالبة دكتوراه في قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على رحلات تشنغ خه ودورها الكبير في الاستكشاف وتكوين العلاقات والمعارف في ما وراء البحار، فمهما كان نوع الرحلة فهي تساهم في صقل شخصية الرحالة وترسيخ معارفه، ومن المعروف أن الرحلات تساهم في معرفة عادات وثقافات الشعوب الأخرى وبالتالي إلى توسعة مدارك الرحالة وثقافته وتفهمه لما يجري من حوله من أحداث.

إن رحلة الملاح الصيني تشنغ خه إلى بلدان اسيا ومدينة ظفار موضوع البحث في القرن الخامس عشر الميلادي مثالاً على أهمية الرحلة في تكوين العلاقات والمعارف حول الشعوب والمدن التي يزورها الرحالة، وما احتوته هذه الرحلة من وصف للأحوال الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية إلا دليلاً على أهمية هذه الرحلة بالنسبة لحكام وتجار تلك البلاد ، إذ احتوت هذه الرحلة بين طياتها الكثير من الدروس المهمة ، منها نقل الصورة التي يعيش فيها سكان مدينة ظفار، وما هي أبرز اهتماماتهم الاقتصادية والدينية، والصفات الحسنة لتجارهم من صدق وأمانه، كما ونقل خلال رحلته وصف شامل لبلاد الصين واهتمامهم الكبير في تكوين العلاقات التجارية مع عمان وغيرها من بلدان العالم من خلال الامتيازات الممنوحة من قبل حكامها لتجار ظفار خصوصاً والعرب عموماً لذلك سيكون دراستها من الأولويات المهمة للباحثين والمهتمين بتاريخ العلاقات والرحلات القائمة بين عمان والصين.

Abstract

The research aims to shed light on Zheng He's journey and its great role in exploration and the formation of relationships and knowledge

overseas. Whatever the type of trip, it contributes to refining the personality of the traveler and consolidating his knowledge. And his culture and understanding of what is happening around him.

The journey of the Chinese navigator Zheng He to the countries of Asia and the city of Dhofar, the subject of research, in the fifteenth century AD is only an example of the importance of the journey in forming relationships and knowledge about the peoples and cities visited by travelers. This trip is for the rulers and merchants of those countries, as this trip contained many important lessons, including conveying the image in which the residents of the city of Dhofar live, and what are their most prominent economic and religious interests, and the good qualities of their merchants of honesty and security, and he conveyed during his trip a comprehensive description of the country China and their great interest in the formation of trade relations with Oman and other countries of the world through the privileges granted by its rulers to the merchants of Dhofar in particular and the Arabs in general. Therefore, its study will be an important priority for researchers and those interested in the history of relations and trips between Oman and China.

المقدمة:

لا يخفى على أي باحث في التاريخ دور الرحلات بأنواعها المختلفة في تكوين العلاقات بين البلاد وتعزيزها، فالعلاقات العمانية الصينية التي كانت قائمة منذ القدم إلا أنموذجاً لاهتمام البلدين في تكوين علاقات تصب في مصلحة الطرفين، وتساهم بشكل فعال في التبادل الحضاري، فرحلة تشنغ خه أحد محاولات حكام الصين آنذاك لملاقاة العالم الخارجي وتكوين علاقات اقتصادية معه من خلال ارسالها احد ابنائها المسلمين ولقبته بأمير البحر المسالم لأداء هذه

المهمة بان يكون رسولها ومحرك علاقاتها مع البلاد الأخرى وفي وقتنا الحاضر واحتفالاً بتاريخ العلاقات الثنائية بين البلدين تم ازاحه الستار عن مجسم النصب التذكاري للملاح الصيني تشنغ خه عميد تلك العلاقات وبحضور كلاً من وزير الخارجية العماني ووزير الخارجية الصيني، وذلك تأكيدا على أهمية الزيارة التاريخية التي قام بها تشنغ خه إلى ظفار قبل 600 عام و دورها في وضع اساس العلاقات بين الطرفين.

وتتمحور أهمية الدراسة في كونها تسليط الضوء على تاريخ العلاقات العمانية الصينية في القرن الخامس عشر الميلادي، ووصف الحياه السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال الرجوع إلى المصادر الصينية التي أرخت تاريخ مدينه ظفار في تلك الفترة، فمدينة ظفار بما تحمله من عمق تاريخي كبير لا زالت تفتقر إلى الكثير من الدراسات التاريخية التي تغطي تاريخ هذه المدينة الطويل ، هذا وتهدف الدراسة إلى التطرق إلى أهم الرحلات التي قام بها الصينيون من أجل تقوية العلاقات الاقتصادية بين عمان والصين آنذاك متمثلة برحله الملاح تشنغ خه.

أما عن أهم الصعوبات التي واجهت الباحث خلال كتابته لهذا الموضوع هو قلة المصادر العربية التي تحدثت عن العلاقات العمانية الصينية، فضلاً عن ندرة الدراسات التاريخية التي تناولت هذا الموضوع بشكل يمكن للقارئ فهم تلك العلاقات وأسسها وفحواها وحاولت الباحثة بالاعتماد على دراسات صينية وإنجليزية والمانية وتركية و للحصول على المادة العلمية، وكان للدور الذي لعبته رحلة تشنغ خه إلى ظفار أهم الاسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع .

واتبعت الدراسة منهج التاريخ الوصفي وذلك من خلال الاعتماد على المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي أرخت لرحلة تشنغ خه وتحليل نصوصها وتفسيرها ومن ثم تقديمها بشكل سهل وميسر للباحثين والقراء.

اما فيما يخص الدراسات السابقة التي تناولت الرحلة فقد جاء المعلومات فيها مقتضبة وتعاني الكثير من النقوصات، ومن الدراسات التي حصلت عليها دراسة الألمانية بعنوان فهرس الملفات المدخلة عن جمهور ومكرمين من البحر الغربي لهوانغ شينغزنغ رسالة دكتوراه في قسم التاريخ والدراسات الثقافية في جامعة برلين الحرة من اعداد الطالب كلاوس سونيندكر في سنة 2005م.

واعتمد البحث على دراسة ميلس في كتابه The overall Survey of the Ocean Shores نقلا في كتاباته عن ماهوان المترجم والمرافق لتشنغ خه، وتم من خلال الكتاب استعرض وصف البلدان الواقعة في البحر الغربي والتي زارها أسطول تشنغ خه وبلغت أحد عشر بلدا، وكانت من ضمن البلدان ظفار موضوع البحث ، سوف يستفيد البحث من الدراسة الاستفادة من الدراسة في المبحث الثالث تناول زيارة دور تشنغ خه السياسي والدبلوماسي، وصف الحالة السياسية والاقتصادية في ظفار .

الدراسة الصينية للباحث نيوبان هي رسالة ماجستير باللغة الصينية من الباحث الصيني نيوبان Niú pān عن العلاقات العمانية الصينية استعرض تاريخ العلاقات بين الصين وعمان خلال حكم أسرة تانج و سونج ويوان ومينغ ، وناقشت العلاقات العمانية الصينية من خلال رحلات تشنغ خه إلى ظفار وهرمز.

من الصعوبات التي واجهت البحث الحصول على الدراسات باللغة الصينية وصعوبة الترجمة من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، حاولت الدراسة الحصول على الدراسات الأجنبية التي نقلت عن مصادر صينية مثل دراسة ميلس التي نقلت عن المترجم ماهوان الذي دون عن رحلة تشنغ خه إلى ظفار وهرمز.

وقسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث ، تطرقت في المبحث الأول عن جوانب من سيرة تشنغ خه، في حين جاء المبحث الثاني ليتحدث عن رحلات تشنغ خه البحرية، درسنا في المبحث الثالث رحلة تشنغ خه إلى ظفار.

المبحث الأول

تشنغ خه

اولاً: ولادته

ولد الرحالة الصيني تشنغ خه عام 1371م، في السنة الرابعة من حكم الامبراطور هونغو، في قرية هيدا (Hedai) في بلدة كونيانغ في مدينة يونان الواقعة في مقاطعة جينيغ الواقعة في جنوب غرب الصين ،ويعود بأصله إلى احدى الاسر المسلمة النبيلة التي تنتمي إلى قومية هوى المسلمة (التعليق رقم1) ، وهو من احفاد شمس الدين عمر السياسي المعروف لأسرة

يوان الحاكمة مع اسرة سونغ إذ يرجعون في اصولهم إلى مدينة صفير في دولة بخارى إذ هاجرت اسرته إلى الصين سنة 1070م خلال عهد اسرة سونغ الحاكمة آنذاك واستقرت فيها منذ تلك الفترة(Hum Sin Hoon,2011:6)).

ثانياً: أسمه ولقبه

تعددت التسميات التي أطلقت عليه تبعاً للبيئات التي عاش فيها، إذ كان يسمى ماسان باو وهذا الاسم هو اسم ولادته ويقصد به فتى الجواهر الثلاث، وقد ذهب البعض أن اسم ماسان باو هو الاسم الذي حرف في الادب العربي باسم السندباد صاحب الرحلات البحرية السبع (علي غانم الهاجري،2020: 21).

ومن التسميات التي اطلقت عليه وأصبحت ملازمة له هي تشنغ خه وهي تسميه اطلقها عليه الامبراطور يونغلي (التعليق رقم 2) 1403-1424م عندما وقع في الاسر وقتيد إلى قصر الامبراطور (Ma Yong So Hongxia,2016:270)، ومن التسميات العربية التي اطلقت عليه حجي محمود شمس(علي غانم الهاجري،2020: 21)، هذا وقد لقب من قبل اسرة مينغ(التعليق رقم 3) بأمير البحر المسالم(حسين إسماعيل، 2017: 102).

ثالثاً: حياته

نشأ تشنغ خه في مدينة يونان التي ظهر منها العديد من العلماء المسلمين(التعليق رقم 4) ، وعاش مع أسرته وتعلم من أبيه وجده حب المغامرة إذ سافر أبيه وجده إلى ومكة وذكرا المصاعب التي واجهت في طريقه إلى الحج وكان والده يحفزه على السفر والمغامرة من خلال القصص التي كان يرويها لهُ(Patrick H.Armstrong,2000: 122) ، توفى والده وكان لايزال صغيراً وتكفلت والدته (وين) بتربيته هو واخوته إذ كان لديه اخ اكبر منه واربع اخوات وكان تشنغ خه يتميز بصفات عدة منها بنيته القوية وجبهته العالية وعينين ساطعتين وأنف صغير وأسنان بيضاء وصوت عالي إلى جانب ذكائه الكبير(Hum Sin Hoon,2011:6) وفي عام (1382م) بعد سقوط أسرة يوان،(التعليق رقم 4) بعث الإمبراطور تشو يوان تشانغ (التعليق رقم5) (1368-1398م) بكتائب من جيشه لسيطرة على الثورة المغولية في أقليم يونان مكان ولادته تتشنغ خه وفي اثناء المعركة وقع تتشنغ خه أسيرا في يد قوات الامبراطور تشو يوان وهو في

عمر الثانية عشر،نقلا عن الهاجري من (ليو ين ، رحلة تشنغ خه إلى دول المحيط الهندي: ص7)

(علي غانم الهاجري،2020: 29) واقتيد تشنغ خه أسيرا إلى القصر الامبراطوري، وخلال حملات أسرة مينغ كان قادة جيوشها يحرصون على اختيار الفتيان الذين تبدوا عليهم علامات الذكاء والحنكة فيتم خصيهم للعمل في القصر الامبراطوري، ومن المعروف أن كثير من الفتيان يتعرضون للموت بسبب تلك العملية ولا يبقى منهم سوى الأقوياء ومنهم تشنغ(Andrew Vietze,2018:6-8)، عاش تشنغ خه في القصر الامبراطوري الذي يعج بالمنافسة والتنوع بين جميع الطبقات من الأعلى حتى الأدنى مما أدى إلى صقل شخصيته ، وتم تعينه بعد عامين من اسره في مديرية الملابس عام 1384م وكان يبلغ من العمر 14عام(Gavin Menzies, 2009: 27) ، عندما وقع تشنغ خه أسيرا في سن الثانية عشرة وبعد إحضاره إلى القصر تم وضعه في خدمة الحاكم المستقبلي الأمير يان، وقد استطاع تشنغ خه أن يحظى بأعجاب الأمير يان من خلال أمانته واخلاصه في العمل، وسرعان ما أصبح اليد اليمنى للأمير يان، ومن خلال قربه للأمير أتيحت له الفرصة للتعرف على النبلاء رفيعي المستوى وتغيرت نظرته للعالم(مي شو جيانغ،2004: 31). وأتاح له التواجد مع الأمير الفرصة لتلقي تعليم مميز، إذ تلقى تعليمه تحت إشراف 姚广孝(Yao Guangxiao))، أحد كبار المسؤولين المهمين في أسرة مينغ ، ليصبح تشنغ خه مثقفاً بمستوى عالي في جميع المجالات(Fatma Ecem Ceylan, 2017:103-104).

اما عن العلاقة بين تشنغ خه والإمبراطور، يمكن القول أن هذه العلاقة كانت تقوم على مبدأ الثقة، فقد خدم تشنغ الإمبراطور منذ أن كان صغيراً، وكان خادماً مخلصاً للإمبراطور ووقف إلى جانبه في جميع تحركاته، وساهم هذا الأمر بارتقاء تشنغ خه إلى أعلى منصب لا يمكن للخصيان الوصول إليه(Fatma Ecem Ceylan, 2017: 104).

بعد ان تسلم الامبراطور يونغلي (تشو دي) العرش (1403م) قرر ان يواصل انفتاح الصين إلى الخارج وتعريف العالم بها وتصدير تجارتها وثقافتها، كان العالم يشهد تتطورات عالمية في حركة الكشوفات الجغرافية التي قامت بها الدول الأوروبية

، إذ كان يرى انه لابد أن تبادر الصين وإن لا تنتظر إرسال الدول لمبعوثيها إذ يجب ان تكون الصين صاحبة الخطوة الأولى، وقد اختير تشنغ خه الذي كان عنصراً مؤثرًا في المجالات الإدارية والعسكرية ، في مشروع الإمبراطور يونغلي الجديد، الذي أطلق عليه "رحلات تشنغ خه إلى الغرب"، ففي العام(1403م) بدأ التحضير لهذه الرحلات من خلال بناء أ سطول بحري ضخم وفي عام (1405م) تم الانتهاء من بناء السفن، وجمع طاقم مكون من 27800 شخص، وتكون الطاقم من قائد عام هو تشنغ خه ، ونائب قائد عام وسبع مديرين كبار في مناصب سفراء وقادة الأسطول، وعشرة ياتون في المرتبة الثالثة وتضم قيادة الاسطول مجموعة 70 شخصا أما مركز القيادة ففيع اثنان من العمداء وثلاث تسعين من القباطنة ومائة وأربعة برتبة ملازم ومائة وثلاثة برتبة مساعد وهناك مائة وثمانون موظف طبيا . وشمل عدد من الوظائف الأخرى كالقضاة والمنجمين والاعمال والمحاسبين والطباخين والسقائين وغيرهم من أصحاب الوظائف الخدمية.

وفي نفس العام تم تعيين تشنغ خه أميراً للرحلات الغربية لتبدأ هذه الرحلات بشكل رسمي إذ تم إرسال تشنغ خه كسفير إلى الدول الاجنبية كسيام واليابان من أجل إقامة علاقات دبلوماسية، وخلال رحلاته اتيحت له الفرصة لدراسة مخططات النجوم المرسومة في عهود السلالات السابقة، وقد اكتسب تشنغ خه خبرة في كل ما يتعلق بالمجالات البحرية والعلاقات الدبلوماسية والإدارية من خلال والمفاوضات التي شارك بها والتي ارسل من أجل ها، (Hum (Sin Hoon,2011:11-12

المبحث الثاني

رحلات تشنغ خه البحرية

اولاً:- اختيار تشنغ خه لقيادة الرحلات :

بعد أن قرر يونغلي القيام بمشروعه الجديد وهو الانطلاق إلى الخارج، فكر ملياً في من يتولى القيام بالمهمة ويقود الاسطول البحري الذي كان يضم الاف من الجنود ومئات من السفن بمختلف الاحجام محملة بالبضائع والمعدات، فكان لابد من ان يختار قائداً محنكاً للمهمة وكان من ضمن المرشحين تشنغ خه مرشحاً لقيادة الاسطول، وبينما كانت الحيرة تطوق أفكار الامبراطور أشار الكاهن المشهور يوان تشونغ تشه والخبير في قراءة الوجوه على الامبراطور في

أن يتولى تشنغ خه قيادة الاسطول إذ اخبر الامبراطور بإنه أفضل المرشحين شكلاً ومضموماً لما يتميز به من خبرة وحكمة وهذا ما اخبر به يوان تشونغ تشه لياو قوانغ شياو(التعليق رقم 6) الذي طرح الاسم نفسه وكان لياو من لمقربين للإمبراطور فاخذ برايه نظراً لما يعرفه لياو عن تشنغ خه من شجاعة واقدام(علي غانم الهاجري،2020: 44-45)، ولم يكن اختيار الامبراطور له كقائد مستنداً على رأي لياو فقط بل لما كان يتمتع به تشنغ خه من سمات ومزايا أهلت تشنغ خه لقيادة الاسطول حيث رافق يونغلي منذ أن كان أمير على بكين وكان يثق به ثقة تامة ، وكان لديه خبرة بالمجال العسكري وقيادة الجيش بالإضافة إلى معرفته في التاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد والأديان التي كانت تسود مختلف البلدان الاسيوية، إلى جانب اجادته للغة العربية والفارسية، وله دراية بالملاحة وصناعة السفن، فضلاً عن قدراته الدبلوماسية ومعايشته أميره الامبراطور والتعلم منه في إدارة الشؤون السياسية، بالإضافة إلى وزيارة تشنغ خه إلى اليابان وتايلاند أكسبته أساليب في معالجته العلاقات الدبلوماسية وإدارتها. (علي غانم الهاجري،2020: 47)، والعلاقات بين مختلف الأديان، وعلى الرغم من كبر سن تشنغ خه الا أن الامبراطور عهد إليه قيادة الاسطول في الرحلة السابعة (Ma Yong So Hongxia,2016:269).

ثانيا: أهداف الرحلات:

تعددت الآراء حول الغرض من رحلات تشنغ خه إلى الغرب إذ كانت أحد أكثر الموضوعات فضولًا من قبل الباحثين، لذلك يشكل هذا الجزء نقطة البداية الرئيسية لدراستنا ففي الماضي والحاضر تطرقت العديد من الأبحاث إلى رحلات تشنغ خه وكانت سجلات مينغ التاريخية سيرة تشينغ "Ming Historical Records-Zheng He Biography" ، هي المصدر الرئيس لتلك الابحاث ، وكان هناك عنصران يتم عرضهما في سجلات مينغ على أنهما الغرض الرئيس من رحلات تشنغ وهما اولاً البحث عن الإمبراطور المفقود جيان ون المخلوع الذي فر إلى خارج البلاد، والسبب الثاني اظهار ثروة وسلطة سلالة مينغ العظيمة للعالم ، ومع ذلك فقد أظهرت الدراسات التي أجريت في الصين والغرب أن هذه البيانات المتعلقة لغرض الرحلات غير كافية، وهكذا بدأ كل باحث يفسر الأسباب التي يراها مناسبة من جانبه، لأن جميع العناصر المطروحة لها أسباب مبررة وتحتوي على آراء قيّمة للعديد من الباحثين المهتمين برحلات تشنغ خه (Fatma Ecem Ceylan, 2017:106) ومن هذه الآراء:

1. البحث عن الإمبراطور المفقود جيان ون إذ بعد ان استولى يونغلي على السلطة بالقوة قال البعض ان الامبراطور السابق قتل في الحريق الذي نشب في قصره في نانجينغ، ويُعتقد أن إحدى الجثتين اللتين تم العثور عليهما في حطام النار تعود للإمبراطور جيان ون، ومع ذلك، ظهرت شائعات تفيد بأن الإمبراطور جيان ون لم يمت وأنه هرب من القصر تحت ستار راهب وذهب إلى الخارج، وحقيقة أن هذه الشائعات كانت تثير الشكوك في ذهن الإمبراطور يونغلي، لذلك كان يُستشهد بهذا السبب كأحد الأسباب الرئيسية لرحلات تشنغ خه هو القضاء على بقايا أسرة مينغ ومع ذلك حتى لو كنا نعتقد أن الغرض من الرحلة الأولى كان في هذا الاتجاه، فإن هذا الغرض لا يمكن أن يفسر استمرار الرحلات لنفس الغرض لمدة 28 عامًا وهي تجوب البلاد (Ma Yong So Hongxia,2016:270:Patrick H.Armstrong,2000: 120).

2. إظهار سلطة وثروة أسرة مينغ للدول الأجنبية وقوتها العسكرية وقد تحقق ذلك من خلال الوصول إلى العديد من البلدان الاجنبية ، وإعلان المرسوم الإمبراطوري لقادة هذه البلدان وتقديم هدايا إمبراطورتيه لهم، ومما يؤكد هدف الرحلة النصب التذكاري المنقوش على حجر الذي كتب عليه "على الرغم من بعد الصين إلا ان هناك تشابه بين البلدين وأن الناس هنا يعيشون بسعادة ولتتذكر الأجيال ذلك" ، أما القوة العسكرية للصين فقد ظهرت جلياً عندما حاول ملك سيلان نهب الاسطول وسرقته الا انه اقتيد اسيراً هو وزوجته بعد معركة خاسرة إلى الصين واطلق صراحه بعدها مما يدل على قوة وعظمة هذا الاسطول وبالتالي قوة الصين آنذاك(Patrick H.Armstrong,2000: 120) ونجد بعض الباحثون أن الاسطول الصيني كان هدفه الاستعمار وتم الاستدلال بالمناوشات التي قام به الاسطول في جاوه أيضا في هرمز على حسب إشارة العجمي ولكن لم يعتمد على مصادر أصيلة إنما فقط على مقال منشور في مجلة نزوى وبعد الرجوع إلى المجلة لم يوثق الكاتب مصدر المعلومة، بالإضافة إلى ذلك في باحث آخر تينس أيد رأي العجمي أن هدف الاسطول استعماري والدليل الاعمال الذي قام بها الاسطول الصيني في جاوه .

3- أن من أهداف هذه الحملات هو الاستعمار والسيطرة على عدد من المناطق الساحلية المهمة في شبه القارة الهندية وبالأخص في مناطق ساحل المنيبار كونه يحتوي على أهم الموانئ التجارية في جنوب اسيا وهي موانئ كوشين وكولم ملي وكاليكوت، إذ شهدت عدد من المناطق

الهندية ومنها البنغال والمنيبار تدخلاً كبيراً من قبل تشنغ خه بالسياسة والتأثير على نظام الحكم هناك إلى درجة اعتبرها الباحثين نوعاً من الاستعمار السياسي لتلك البلدان (Tansen Sen,2019:60-64)

3. هدف اقتصادي وفقًا لجون كينج فيربانك وميرل جولدمان "أمر الإمبراطور يونغلي تشنغ خه بالتحرك نحو المراكز التجارية في جنوب الصين." إذ يظهر أن الإمبراطور يونغلي بدأ رحلاته للأغراض التجارية والاقتصادية"(Merle GoldmanJohn King Fairbank,2006:193)، فبعد وصول الإمبراطور يونغلي إلى العرش ، كان الوضع الاقتصادي للسلالة في حالة سيئة لذلك عمل هذا الإمبراطور إلى تطوير التجارة مع جاوه ملبار كلكتا لإنقاذ الأسرة الحاكمة من هذا الوضع الصعب وحل هذه المشكلة من دخل التجارة الخارجية، ومع ذلك، لا يمكن القول أن ذلك ممكن عن طريق حساب كلفة بناء الاسطول، ورواتب الطاقم وإمدادات الطعام والشراب ، فإن نرى أن مبلغًا كبيرًا من المال قد تم إنفاقه بالفعل على هذه الرحلات، من وجهه نظر الباحثة من غير المعتاد لدولة ذات وضع اقتصادي سيء أن تأمر ببناء هذه السفن وتعيين طاقم مكون من (27800) بدليل توقف الرحلات لأنها مكلفة وبالأخص بعد وفاة تشنغ خه الذي قاد سبع رحلات آنذاك (Merry E.Wiesner Hanks,2005:132) .

4. البحث عن طرق تجارية جديدة بعد قطع الطريق البري الذي يربط الصين بالغرب لذلك حاول البحث عن طريق بديل(Patrick H.Armstrong,2000: 120)

5. الغرض الاقتصادي والسياسي إذ لا يمكن الفصل بينهما كأحد اهم أسباب الرحلات التي قام بها تشنغ خه لأن سلالة مينغ كان لابد لها أن تزيد من قوتها السياسية لتزداد قوتها الاقتصادية، فزيادة قوتها الاقتصادية ناتج عن استقرارها سياسيا. لذلك عمق الإمبراطور يونغلي من سلطته السياسية في عهد أسرة مينغ ودول جنوب شرق آسيا من خلال إقامة علاقات سياسية ودبلوماسية (مثل التتويج ومنح الألقاب والهدايا) استقبال السفارات من شبة الجزيرة العربية عدن ومكة والاحساء في هذه البلدان، ووفرت العلاقات التجارية التي أقيمت في إطار العلاقات الدبلوماسية مكاسب اقتصادية للطرفين من خلال الامتيازات الممنوحة لتجار الصين وبلدان جنوب وجنوب شرق اسيا (Huping shang,2019:62).

6. العامل الدبلوماسي يعد هذا العامل من أبرز العوامل وأهمها كونه يحتوي على مجمل الأهداف التي انطلقت من أجل ها رحلات تشنغ خه وهي إقامة علاقات طيبة وصديقة مع جميع البلدان الواقعة على المحيط الهندي ودعوة تجارها وحكامها للقدوم إلى الصين، ويمكن ملاحظة تأثير هذا العامل من خلال تبادل الزيارات بين حكام اسيا والصين (وانغ ان تشي، 1977: 18-19).

ثالثاً:- رحلات تشنغ خه السبع

قاد الرحالة الصيني تشنغ خه سبع رحلات بحرية إلى كل من ماليزيا، واندونيسيا، وتايلاند، والهند، وسريلانكا، وايران، وعمان، واليمن، والسعودية، والصومال، وكينيا،منذ عام (1405م) إلى (1433م) (ينظر ملحق رقم 1) وهي كالتالي:

الرحلة الأولى:

تعد أولى رحلات تشنغ خه إذ انطلقت الرحلة في 11 تموز من عام 1405م، بقيادة تشنغ خه وزملائه وقد ضم أسطولها 317 مركب، وبلغ عدد الضباط والجنود والتجار فيها إلى (27870) شخصا،(إبراهيم خوري،1433: 80)، إذ تحرك الأسطول من خليج ليوجيا من مقاطعة جيانغسو وكان الاسطول محملاً بالحرير والاني الخزفية والشاي والذهب، وسمي اسطول الرحلة الأولى بأسطول الكنز العظيم وذلك لكثرة ما كانت تحتويه السفن المرافقة للرحلة من هدايا قيمة (Shih-Shan Henry tsai,1996:160:Patrick H.Armstrong,2000: 121)،وزار خلال هذه الرحلة كل من جزيرة جاوة، وسيموديرة، ولمبري وسيلان شمبا وملقا وعاروه وكيلون، وأقام في كاليكوت حوالي أربعة أشهر من كانون الأول عام 1406م إلى شهر نيسان عام 1407م، وأهدى شنغ خه أمراء البلاد التي مر بها أسطوله هدايا من الحرائر المطرز بالذهب، وأخضع بالقوة من لم يقبل بالتبعية للإمبراطور (إبراهيم خوري، 1433: 80).

وفي طريق عودته إلى الصين تعرض الاسطول لهجوم القراصنة، ولكن تشنغ خه تمكن من النيل منهم وأسر عدد من القراصنة وفي ذلك يذكر تشنغ خه في مخطوطتيه أن القرصان تشين تسو وأتباعه تجمعوا عند سان فو تشي (باليمبانج) وقاموا بسرقة التجار فهاجمهم تشنغ خه وتمكن من القبض على قائد القراصنة حيا وعادوا إلى الصين في العام الخامس من حكم يونغلي الموافق 1407م، وكان أسطول تشنغ خه يحمل على متنه عدد من المترجمين والعلماء، ومعهم سفن محملة بالبضائع النفسية الامر الذي دفع تشنغ خه إلى أن يبدأ بدراسة وتحليل الخرائط

الملاحية ومواقع النجوم والسجلات الأجنبية حول عبور البحار والفلك(Fujian Sheng,2005: 24).

الرحلة الثانية:

أما الرحلة الثانية فقد بدأت مسارها في 13 تشرين الأول عام 1407م ووجه تشنغ خه وونغ شنغ ، وهو هسين بطلب 249 مركب وتحركت الرحلة في شهر كانون الثاني 1408م(علي غانم الهاجري، 2020: 67)، ومرت بتايلند وجاوه وعاروه ولمبري وكويمباتور وكايال وكوشين، وأنتهت بكاليكوت، وبقيت حوالي أربعة أشهر من كانون الأول عام 1408 إلى شهر نيسان 1409م ، إذ استطاع تشنغ خه تنفيذ ببعض الاستثمارات التجارية في ميناء كاليكوت في الهند (Fujian Sheng,2005:28)

الرحلة الثالثة:

جاءت الرحلة الثالثة بعد أن صدر مرسومها بين 16 كانون الثاني و14 شباط عام 1409، وتوجه شنغ خه ، وونغ شنغ هونغ ، وبلغ عدد مراكبها 40 ورجالها ، وخرج الاسطول من ليوشا شيانغ في الشهر القمري التاسع (9 تشرين الأول – 6 تشرين الثاني 1409م ووصل إلى شنغ لو في الشهر القمري العاشر (7 تشرين الثاني – 3 شباط عام 1410م) من ووهوفين عند مدخل نهر مين في ولاية فوكيين، (إبراهيم خوري،1433: 82) وبلغ شمبا وجاوه وملقا وسيموديرة وسيلان وكوشين وكاليكوت وتوقفت في فولوسنبيلين، وفي ملقا انشأ اسوار وابراج اسطوانية وبوبات وأصبحت ملقا قاعدة للرحلات الاستكشافية، ومن الاثار التي تركها الاسطول في سيلان لوحة منقوشة مكتوبة بالصينية والتاميلية والفارسية(ينظر الملحق رقم 2) ، وأهدى معبد بوذا هدايا نفسية باسم الامبراطور، وفي طريق عودته نشبت معركة بين قوات تشنغ خه وقوات الملك السيلاني الاغا كورنارا ملك مملكة رايغاما قرب مدينة كولومبو الذي طالب بالذهب وحاول سرقة الاسطول ونهبه الا ان تشنغ خه استغل فرصة هجوم جنود كورنارا للاسطول وتمكن من دخول المدينة وتدمير دفاعاتها الضعيفة إذ ان اغلب الجنود هاجموا الاسطول وتركوا ملكهم وحده وعندما سمع جنود الملك السيلاني بدخوله المدينة هربوا وتركوا الاسطول وأسر الملك وزوجته وأبناءه وموظفيه واقتادهم أسرى إلى الصين التي عاد إليها في 6 تموز عام 1411م وهنالك عفا الامبراطور عن ملك سلان وأعاده إلى مملكته(Patrick H.Armstrong,2000: 121).

الرحلة الرابعة:

قادها تشنغ خه وضمت 63 مركب ، وخرج من نانكين في خريف 1413م ، وابتعد عن ساحل فوكيين في كانون الثاني 1414م ومرت الحملة بشمبا وكيلنتن وفهنج وجاوة وبالمبانغ وملقا وعاروه وسيموديره ولمبري وسيلان وكايال جزر الذيب كوشين كاليكوت وهرمز وهذه المرة لم يتجاوز الهند، وبأمر من يونغ قام القائد شنغ خه بمحاربة الغاصب إسكندر الذي استولى على عرش سيموديرة من السلطان الشرعي زين العابدين ويعيد هذا الأخير إلى ملكه، وانتصر شنغ هو على قوات المغتصب التي بلغت عدة آلاف ولاحقه إلى لمبري، وأسر هو وزوجته وابنه واقتادهم أسرى إلى الصين حيث أعدم إسكندر وعاد شنغ هو إلى بلده في 12 آب عام 1415م(إبراهيم خوري، 1433: 82: مصطفى عبادة، 2017: 145).

الرحلة الخامسة:

أبحرت هذه الرحلة بتاريخ 28 كانون الأول من عام 1416م وكان الهدف الأول لها حراسة سفراء بعض البلدان الذين قدموا إلى الصين في 19 تشرين الثاني عام 1416 ، اما هدفها الثاني فهو تقديم هدايا الامبراطور إلى حكام تلك البلدان وهي شمبا فهنج وجاوه بالمبانغ وملقا وسيموديرة ، ولمبري، وسيلان، وجزر الذيب وكوشين وكاليكوت وشاليواني وهرمز، ولاسا قرب المكلا وعدن ومقديشوه ، وبراوه ، وملندي، ولكن المصادر لم تذكر عدد مراكبها ولا أفرادها (إبراهيم خوري، 1433: 82).

وترك أسطولها ساحل الصين في خريف عام 1417م، ووصل لأول مرة إلى ساحل أفريقيا الشرقية جنوب خط الاستواء، واضطر شنغ خه أن يعرض قوته العسكرية في لاسا ومقديشوه وعاد إلى الصين في 8 آب عام 1419م ثم عادت إلى الصين محملة بالأسود والفهود والزرافات والنعام (Patrick H.Armstrong,2000: 121).

الرحلة السادسة:

غادرت الرحلة السادسة في 3 إذار عام 1421م ، واصطحب تشنغ خه في رحلته 16 مبعوث إلى بلدانهم وضمت الرحلة 41 مركباً ومدة الرحلة عشرة أشهر وانقسمت في سيموديرة ، وذهب إلى عدن بثلاثة مراكب وقدم الهدايا إلى ملك اليمن الناصر أحمد (1400-1424م) (إبراهيم خوري،1433 :83؛علي غانم الهاجري، 2020: 71).

الرحلة السابعة:

خرجت في 19 كانون الثاني عام 1431م وضمت أكثر من مائة مركب وخرجت من جون التنين في نانكين ووصلت إلى ليو شيا شيانغ في 3 شباط 1431 وحطت في مرسى ماوين في مصب نهر مين وانطلقت في البحر منه ومرت بكوي نهون في شمبا في 27 كانون الثاني 1432م وبسورابايا في 7 إذار وبالمبانغ في 24 تموز وملقا في 3 آب وسيموديرة في 28 تشرين، وانتهت إلى كاليكوت في 10 كانون الأول عام 1432م ، وانتقلت إلى هرمز ووصلت في 17 كانون الثاني عام 1433م ، بعد رحلة استغرقت 35 يوما في البحر ، وكر الأسطول عائدا في 19 إذار عام 1433م عبر بحر العرب فوصل إلى كاليكوت في 31 إذار ثم مر بسيموديرة في25 نيسان، فملقا ، فكون لون ، وكوي نهون في شمبا ، وفي 22 تموز كانوا ، ويشير تاريخ سلالة مينغ أن تشنغ خه زار لاسا في جنوب جزيرة العرب، ووصل إلى مدينة ظفار وعدن ومكة ، وأرسلت سفارة ضمن ماهوان إلى مكة (إبراهيم الخواري، 1433: 83).

يتضح من خلال ما تم عرضه عن الرحلات السبع للقائد تشنغ خه أن الرحلات في بداية الأمر بدأت باستكشاف الطرق وإزالة الاخطار التي كانت تستشري فيها ففي الرحلات الثلاث الأولى تمكنوا فيها من القضاء على القراصنة في جميع البلدان الواقعة على المحيط الشرقي، وإرساء حكم الملوك الشرعيين ضد الغاصبين، وبعد استباب الامن انتقلوا إلى المرحلة الثانية وهي بسط سيطرتهم على المحيط الغربي في هرمز وسواحل جزيرة العرب وساحل أفريقية الشرقية حتى ملندي، وفي الرحلات الأربعة الأخيرة لم يحتاج للمعارك للدخول إلى المحيط الغربي.

المبحث الثالث

زيارة تشنغ خه لمدينة ظفار

كانت ظفار أحدى أهم المدن العمانية الساحلية واحدى المحطات التجارية المهمة في الخليج العربي وذلك لما تتمتع به من إمكانيات اقتصادية كبيرة، لذلك كانت محط انظار الرحالة الصيني لزيارتها، إذ رست فيها سفن أسطول تشنغ خه خلال زيارته للجزيرة العربية آنذاك، إذ كانت من ضمن المناطق التي زارتها الرحلة السادسة في نوفمبر من عام 1421-1422م، بينما الزيارة الثانية كان ضمن الرحلة الأخيرة والسابعة من رحلات تشنغ خه في يناير من عام 1431-1433م (Yan Chen,2020:138).

وكانت الزيارة الأولى لظفار في الرحلة السادسة كانوا بصحبة المبعوثين الذي قدموا إلى الصين وبرفقة سفراء من الاحساء وعدن، إذ أن السلطان علي بن عمر الكثيري ارسل في سنة 1421م مبعوث إلى الصين لزيارة البلاط الامبراطوري الصيني وتقديم الهدايا، وفي مارس من عام 1421م غادر السفراء القادمين إلى الصين مع أسطول تشنغ خه وحملوا معهم أموال نقدية ورقية والحرير الأصلي والحرير الرقيق لمنحها لملوكهم، وتوجه أسطول تشنغ خه المكون من 41 سفينة، وبصحبة عدد من الجنود والبحارة ، ووصل الأسطول الصيني إلى ظفار، وقابل سلطانها علي بن عمر الذي قام بإرسال مبعوثا آخر إلى الصين، وذلك للقيام بزيارة ووصل مبعوث سلطان ظفار إلى بكين في سنة 1423م(Ma Huan,1970:153).

الموقع الجغرافي والسكاني لظفار :

ويصف المترجم ماهوان الذي دون الرحلات السبع لتشنغ خه توجد مدينة ظفار على بعد ألفي لي li (li: وحدة قياس صينية للمسافة تقدر بـ 576 متراً(شمال غرب كاليكوت، إذ تقع يحدها من الشمال والغرب سلاسل جبلية متنوعة الارتفاع ، وفي الجنوب والشرق تطل ظفار على البحر، ويحيط بالمدينة سور شانها شان المدن البحرية الاخرى ، وبُنِيت بيوتها من الصخر وتتكون تلك البيوت من عدة طوابق شانها شأن المعابد البوذية)في الصين و اليابان)، ويمتاز سكان المنطقة بِنية جسمانية ضخمة وطابع جدّي، اما عن ملابسهم فكان أميرهم يلف حول راسه منديلاً أبيض، ويرتدي قفطاناً طويلا من النسيج المقصّب وملابس مخططة من الحرير النيلي الأزرق المنقوش والمطروز ذي رقبة مستديرة وحذاء منقوش حتى القدمين (Xingzeng , 2005:163-165 Huang)

أما المناخ في مدينة ظفار وهذه البلاد ففي الأشهر القمرية الثامن والتاسع، فلا برد فيهما البتة، ويميل للاعتدال، اما عن اهم المزروعات التي اشارت رحلة الصين وكانت تمتاز بها ظفار فهي الأرز المقشور وغير المقشور، والقمح والذرة البيضاء والصفراء، وبذور القنب، وجميع أنواع الخضار والقرع (Ma Huan,1970:151).

الوضع الاقتصادي والاجتماعي في ظفار:

ووصف ما هوان ظفار بقوله "ظفار مواجهة للبحار الواسعة في جنوب شرقيها ومحاطة بالجبال الشاهقة في شمال غربيها وجوها عادة ما يتماثل مع جو الصين في الشهرين الثامن

والتاسع قمريا ، وتتوفر فيها أنواع متعددة من الحبوب والخضروات والفواكه والحيوانات سكانها ذوو قامة طويلة واجساد ضخمة، وأهلها ملكيا أو رعية يعتنقون الإسلام ، ويتبعون التعاليم الإسلامية في الزواج والمأتم"(Ma Huan,1970:153).

المسكن والسكان:

هذا وقد أشار ماي يونغ إلى ظفار بقوله هي أحدى المستوطنات الساحلية جدرانها مبنية من الحجارة أما المنازل مبنية من طبقات الأحجار المرجانية وحوالي ثلاث إلى خمس طوابق وتشبه الأبراج والمعابد وجبالها حمراء وصفراء وليس هناك غطاء نباتي فيها وتتغذى الابقار والاغنام والابل والخيول على أكل السمك المجفف، ورجالها ونسائها يربطون شعورهم ويرتدون ملابس طويلة وعندما تخرج النساء يغطون رؤوسهن بقماش حتى لا يستطيع أحد رؤيتهم كما أن أهلها أمناء في معاملاتهم ويتبعون القانون(Ma Yong So Hongxia,2016:273).

تجهيزات سكان ظفار ليوم الجمعة:

ويتابع ماهون وصفه للعادات أهل ظفار إذ يتحدث عن شعائر يوم الجمعة في ظفار إذ قال " وفي يوم العبادة تتوقف التجارة في الأسواق قبل الظهر ويتوضأ جميع الناس، رجالا ونساء كبارا وصغارا ، ثم يتناولون ماء الورد أو العود الثقيل والزيت ويمسحون بها وجوهم وأوصالهم ، ويرتدون ثيابا نظيفة مغسولة من فترة قصيرة، ويأخذون مبخرة فخار صغير ويشعلون شيئا من العود الثقيل والصندل والعنبر وغيرها من البخور، ويضعونه في المبخر، ثم يذهبون إلى الجامع ليتعبدوا، ويعودون إلى منازلهم بعد الصلاة مباشرة ، فينتشر عبير عطرهم في الازقة والأسواق التي يمرون فيها ،ويبقى بعض الوقت، ويطبقون أهلها الأعراف الإسلامية في طقوس زواجهم ودفن موتاهم ، وتنتج أرضهم اللبان وهو في الحقيقة صمغ الشجر يشبه شجر الدردار إلا أن ورقة شوك طويل ، ويجرح أهل ظفار هذا الشجر ويجمعون نسغه ويبيعونه، هذ ويأوي النعام إلى جبالهم ، ويصطاده بعض السكان ويبيعونه ولهذا النعام جسم عريض وعنق طويل وهو يشبه الكركي (الغرنوق) ويبلغ علو رجليه ثلاثة أو أربعة شيحات وله في كل رجل أصبعان فقط ويشبه ريشه وبر الجمل ويأكل البازلاء الخضر ، ويمشي مشية الأبل ولذلك يسمى أحيانا الجاجة الجمل، ويشير ماهون إلى الابل إذ يقول أما أبلهم فبسنام واحد، وعندهم إبل بسنامين، ويركب جميع الناس

الإبل عندما يذهبون إلى الأسواق وإذا أشرفت إبلهم على الهلاك، ذبحوها وباعوا لحمها Ma Huan,1970:151)).

السلع المصدرة من ظفار:

ومن أهم المنتجات المحلية هي الدجاج والجمال ذات السنام الواحد واللبان والعنبر ويأخذون في تجارتهم منا الخشب والأرز والفلف والحرير الخفيف والستان الملون والسراميك والتوابل وغيرها من المنتجات (Ma Huan,1970:151).

العملة المستخدمة في ظفار :

ويسك الملك عملة ذهبية تسمى تنكا، تزن الواحد شينين، وقطرها تسون واحد وخمسة فنات (1.8 أنش) وعلى أحد وجهيها صورة إنسان وعلى الوجه الآخر كتابة، ويسك أيضا عملة نحاسية صغيرة (Ma Huan,1970:151)).

الخاتمة

توصل البحث إلى عدد من النتائج المهمة منها :

1. تشنغ خه ادميرال صيني ينتمي إلى قبيلة هوى المسلمة، ويرجع في أصوله إلى مدينة بخارى، إذ قدمت عائلته إلى الصين سنة 1270م.
2. كان للظروف التي مرت في حياة تشنغ خه عاملا بارزاً في حياته إذ حمل اسيراً ليعمل في قصر الامبراطور، وكان لما يتمتع به من فطنة وذكاء وحنكة اهلته للعمل الإداري والسياسي وبالتالي او كلت له مهمة قيادة الحملات الصينة في المحيط الهندي واطلق عليه لقب امير البحر المسالم.
3. على الرغم من اختلاف الباحثين في تفسير الغرض من الرحلات التي قادها تشنغ خه بأمر من امبراطور الصين الا انها لعبت دوراً كبيراً في تعزيز الدبلوماسية الصينة آنذاك الامر الذي انعكس على النشاط الاقتصادي.
4. جابت الرحلات التي قادها تشنغ خه العديد من المناطق في المحيط الهندي من أجل استعراض قوة الاسطول الصيني بجميع ابعادها السياسية والاقتصادية وبالأخص المدن الساحلية للدول القريبة من الصين من أجل الاستفادة منها اقتصادياً.

5. وصل الرحالة الصيني تشنغ خه إلى البلاد العربية والافريقية إذ زار مدينة ظفار وقدم المرافقون له وصفا شاملاً لمدينة ظفار من كافة الجوانب الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية والدينية والعمرانية.
6. اثمرت زيارة تشنغ خه لظفار إذ أرسلت عمان مبعوثاً إلى الصين، كما ازدادت العلاقات التجارية بين الطرفين ثم تعمقت بمرور العصور حتى وصلت إلى ما وصلت اليه في الوقت الحاضر.

الملاحق

ملحق رقم 1

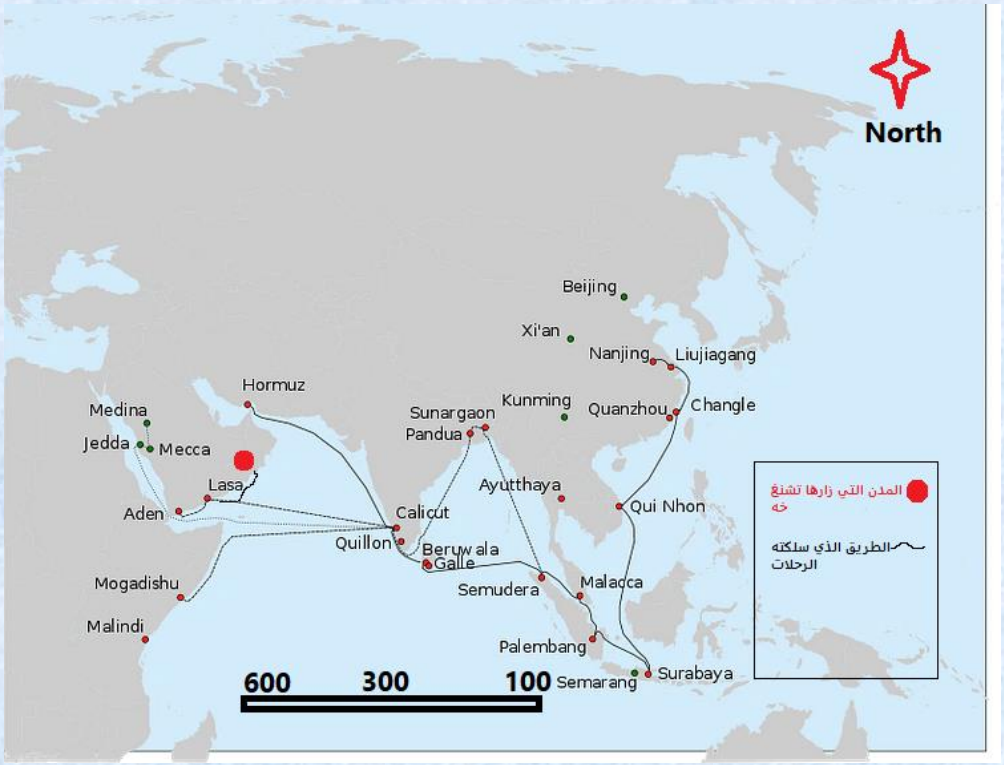

الخارطة من عمل الباحثة بالاستناد إلى الموقع

https://www.worldhistory.org/image/10022/the-seven-voyages-of-/zheng-he

ملحق رقم 2

صورة اللوحة الحجرية المستكشفة إذ تشير إلى نصب حجر تشنغ خه بارتفاع 162سم وعرض78سم، وسمك 16 سم، اكتشفت هذه اللوحة لأول مرة من قبل رجل حكومي اسمه وودين فانغ في محافظة تشانغ لي في مقاطعة فوجيان ، وتوجد اللوحة في متحف تيان بمدينة تشانغ لي، وقد بلغ مجموع كتابة النقش 31 سطرا ،بـ 1177 كلمة باللغة الصينية، وصف هذا الحجر رحلاته تشنغ خه الست السابقة إلى المحيط الغربي بالإضافة إلى المهمة السابعة إلى المحيط الغربي، ووقت الإبحار، وعدد السفن، والأفراد المشاركين، والأحداث الواقعة.(تشين يون مينغ ، تحقيق اللوحة الحجرية لرحلات تشنغ خه ، دورية الجامعة المسيحية فوجيان، فوتشو ، د.ط).

التعاليق

- التعليق رقم 1 : قومية هوى : وهي احدى القوميات الصينية تعود بأصولها إلى التجار العرب والفرس الذين جاءوا إلى الصين في القرن الثالث عشر الميلادي وتتكون من الهان والويغور ومنغوليا وغيرها من الاجناس المختلفة مكونين قومية هوى الكبرى. راجع (وانغ تسان، 2004: 119).

- التعليق رقم 2: يونغلي: هو الامبراطور الثالث لسلالة مينغ الصينية وهو إمبراطور الشرق المعروف تشودي ، ولد في عام 1360م ، ومن أهم إنجازاته المدينة المحرمة والقناة الكبرى لنقل الحبوب والسلع من جنوب الصين إلى بكين، حكم من عام 1403-1424م.راجع (علي غانم الهاجري،2020: 25)

- التعليق رقم 3 : أسرة مينغ: تعود أصول أسرة مينغ إلى قبائل الهان التي حكمت الصين في الفترة الواقعة بين 1368-1644م، بعد أن حررتها من سيطرة المغول المنحدرين من أسرة يوان 1279-1368م، ومينغ تعنى باللغة الصينية المتألق أو الحائز على الاشراق. راجع (هيلدا هوخام، 2002: 257)

- التعليق رقم 4 : أسرة يوان: هي أسرة مغولية حكمت بعد أسرة سونغ وتبعها سلالة مينغ، أسس الاسرة قوبلاي خان ، بنى قوبلاي مدارس لعلماء الكونفوشية، وأصدر العملات الورقية، وأيد السياسات التي تعمل على تطور الزراعة والتجارة ، واتخذ من كيانبينغ عاصمة له. راجع (Karla w.simon,2000,39)

- التعليق رقم 5 : الإمبراطور تشو يوان تشانغ: هو مؤسس أسرة مينغ من بلدة انهوي في وسط الصين، امضى جزء من حياته في معبد بوذي، وهناك تعلم الكتابة واطلع على الكلاسيكيات الكونفوشية ويعرف باسم هونغ وو وجعل من عاصمته نانجينغ في جنوب البلاد ثم نقله خلفاؤه إلى بكين. راجع : (علي غانم الهاجري، 2020: 21-22)

- التعليق رقم :6ياو قوانغ شياو من الشخصيات المهمة في أسرة مينغ، ويعد المدبر لمعركة جينغنان في عام 1399م، واشترك في بناء المدينة المحرمة والمعبد السماي، وأشرف على سبك ناقوس يونغلي الكبير. مرجع (علي غانم الهاجري، 2020: 44).

قائمة المراجع

اولاً: المراجع العربية

- إسماعيل، حسين (2017)، سفر الصين، ط1، الجيزة، اطلس للنشر.
- تسان، وانغ (2004)، القوميات في الصين، ط1، دار النشر الصينية عبر القارات.
- جيانغ، مي شو (2004)، الإسلام في الصين، ترجمة، وانغ ماو هو، ط1، بكين، دار وتشو للنشر.
- عبادة، مصطفى، (2017)، ثلاثين يوماً في المستقبل،ط1، القاهرة، مؤسسة بتانة للنشر والتوزيع.
- الهاجري، علي غانم (2020)، تشنغ خه امبراطور البحار الصينية، ط1، الدوحة، دار جامعة حمد بن خليفة
- الهاجري، علي غانم. (2020)، إمبراطور الشرق تشودي عهد الازدهار والسيادة الصينية. ط1، منشورات ضفاف.
- هوخام ،هيلدا(2002)، تاريخ الصين، ترجمة : أشرف محمد كيلاني،ط1، القاهرة، المجلس الأعلى الثقافة.

ثانياً: الدوريات العربية

- خوري، إبراهيم، (1986)، العرب والصين، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، م6، ع24، ص74-104.
- تشي، وانغ ان (1977)، طريق الحرير العريق، مجلة الفيصل، الرياض، العددان 509،510، ص18-23

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Simon, Karla W. (2000), Civil Society in China: The Legal Framework from Ancient Times to the 'New Reform Era, Oxford University Press.
- Armstrong, Patrick (2000) , Geographers: Biobibliographical Studies, edition 1, London.

- Chen, Yan (2020), The Maritime Silk Road and Cultural Communication between China and the West, Kindle Edition, London
- E, Merry. Wiesner-Hanks(2005), An Age of Voyages, 1350-1600, edition 1, London, oxford.
- Gavin Menzies, 2009 ,(1421) The Year a Magnificent Chinese Fleet Sailed to Italy and Ignited the Renaissance, (P.S.) Paperback – June 9.
- Goldman ,Merle and John King Fairbank, China: A New History, Second Enlarged Edition, London.
- Hoon,Humsin(2011), Zheng He's Art of Collaboration, edition 1, new York.
- Huan, Ma (1970), Ying-Yai Sheng-Lang: Overall Survey of the Ocean's Shores [1433], edition 1, new York.
- Ma,Yong ,Hongxia Su, (2016), The General History of Chinese Tourism Culture, edition 1, new York.
- Shang, Huping(2019), The Belt and Road Initiative: Key Concepts, edition 1, china.
- Sheng, Fujian(2005), Zheng He's Voyages Down the Western Seas, edition 1, china, Beijian
- Tsai, Shih-shan Henry(1996), The Eunuchs in the Ming Dynasty, edition 1, new York.
- Vietze, Andrew(2018), Zheng He: China's Greatest Navigator (Spotlight on Explorers and Colonization), edition 1, new York.

الرسائل الأجنبية

- CEYLAN, Fatma Ecem (2017) Zheng He'nın yaptığı seyahatlerin Çin tarihindeki yeri ve önemi ,Significance of Zhneg He's voyages in Chinese history, Doktora Tezi, ankara üniversitesi sosyal bilimler enstitüsü Ankara

- Xingzeng, Huang(2005), Verzeichnis der Akteneinträge zu Audienzen und (Xiyang chaogong dianlu) [黃省曾, 西洋朝貢典錄, 1520 n. Chr naugural-Dissertation zur Erlangung des Doktorgrades des Fachbereichs Geschichts- und Kulturwissenschaften an der Freien Universität Berlin.

الدوريات الأجنبية

- Sen, Tansen(2019), Zheng He's Military Interventions in South Asia, 1405–1433, China and Asia, A Journal in Historical Studies, the number 1.p.158-193

المخطوط مصدرا لكتابة التاريخ العسكري لإيالة تونس في القرن 19

دة. سنية حمدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس

مقدمة:

تناولت العديد من الكتب المخطوطة موضوع العسكر من كل جوانبه، فهناك مصنّفات حول صناعة المدافع بأصنافها[1] أو معطيات لمهمّات صناعة الطبجية (المدفعية)[2]. كما قدّمت لنا معطيات حول أشكال الحصون ومواقع بنائها مع رسوم مفصلة للمدافع[3]. أما البعض الآخر دوّن مخطوطات حول برنامج عسكري ميداني في شكل رسوم توضيحية لمختلف تدريبات المشاة[4]. كما نجد نصوص مترجمة في النّظم العسكرية الخاصة بترتيب الشروط للدخول في سلك الجندية[5] وكتب حول التعليم العسكري الميداني وأكثر مصطلحاته بالتركية العثمانية المعتمدة في الجيش التونسي[6].

ففيم تمثلت أهم المخطوطات العسكرية في الفترة الحديثة وكيف يمكن أن تكون مصدرا لكتابة التاريخ العسكري لتونس؟ وماهي خصوصية مخطوط عسكر الحنفية الذي يعود إلى ثلاثينات القرن التاسع عشر؟

I- المخطوطات العسكرية في مشروع إصلاح الجيش ومدرسة باردو الحربية

1-المخطوطات بين الترجمة والتعليم:

بدأت محاولة حسين باي (1824-1835) بتأسيس جيش نظامي سنة 1831 مستعينا بالخبرة الفرنسية من حيث التنظيم والتجهيز والتدريب وترجمة بعض الوثائق المتعلقة بالفنون العسكرية[7] لإدراكه بتفوّق القوة العسكرية الفرنسية في مجال التدريب وتطور الأسلحة خاصة المدفعية. وفي هذا الإطار حاول الباي تأسيس جيش نظامي مطابق للمواصفات والمقاييس الحديثة المعتمدة في أوروبا من حيث اللباس والتدريب والتسليح والكفاءة مما سيمكن هذا الجيش من التصدّي لأي هجوم محتمل[8] خاصة بعد إحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830. فكانت بوادر الإصلاح العسكري ببناء جيش نظامي على النموذج الأوروبي. ويقول إبن أبي الضياف في هذا الصدد "وفي شعبان السنة 1246هـ (جانفي 1831) شرع الباي (حسين باي) في ترتيب

العسكر النظامي. وذلك أنه جمع شبانا من أولاد الجند الثابتين في ديوانه، أكثرهم طبنجية وضم لهم آخرون من أولاد البلاد وأسكنهم المحمدية، وجلب لهم معلما من فرنسا لصناعة الرمي بالمدفع والمكحلة على الترتيب النظامي، ثم كثر عددهم شيئا فشيئا"[9]. وفي هذا الإطار أُعيد ترجمة المؤلفات الأجنبية في مجال التعليم والتدريب للإستفادة منها قدر الإمكان لتأسيس جيش عتيد لتشمل كتب حول التعليم العسكري والترجمة.

أ- في مؤلفات التعليم العسكري (مدرسة باردو)

لم يكن لمؤسسات التعليم العسكري أي وجود مع البايات السابقين لأحمد باي، إذ إكتفوا بجلب مدرّبين عسكريين أجانب ومؤطرين للجيش بطرق غير منظمة وذلك قصد تدريب العسكر التونسي على بعض التقنيات. فقد إكتفى حسين باي بالتعاقد مع ضباط أتراك وأوروبيين لتدريب الجيش وتأطيره. إلا أنه كان ينقصه تعليم الضباط والعساكر بالعلوم العسكرية الحديثة الأمر الذي عمل عليه أحمد باي الذي بعث أول مدرسة للتعليم العسكري سنة 1840 حيث بعث أول نواة للتعليم العسكري وهو مكتب الحرب بباردو[10].

تعتبر هذه المؤسسة أهم إنجاز في المجال العسكري لأنه يحتوي على الجانب العلمي في تكوين الجيش وتدريبه. وكانت الغاية من تأسيس المدرسة الحربية تخريج الضباط والمهندسين والفنّيين[11]. وكانت المدرسة توفّر لتلاميذها التونسيين تعليما من قبل الضباط الأوروبيين في مجال العلوم العسكرية الجديدة وقد أشرف على إدارتها في مرحلة أولى الضابط كاليقاريس على سنة 1854. وفي الفترة الممتدة من 1855 إلى 1859 أشرف عليها الفرنسيان الرائد كمبنون والعقيد دي تفارن[12].

درّس ثلة من الأساتذة الأوروبيين بالمدرسة الحربية بباردو وتنوّعت مجالات التعليم، حيث تم تدريس الرياضيات وعلم التحصين والفنون والتاريخ العسكريين. كما درّس علم المدفعية والتكوين العسكري التطبيقي والنظري فضلا عن تدريس اللغتين الفرنسية والإيطالية[13]. أما الأساتذة التونسين أمثال الشيخ محمود قابادو الذي كان يدرّس اللغة العربية والعلوم الدينية.

ومن أجل إدخال العلوم الحربية كان من الضروري ترجمة كتب فرنسية إلى العربية لتكوين الضباط التونسيين الجدد. وقد بلغ عدد الكتب المترجمة حوالي أربعون كتابا. ومن الإنتاجات العلمية للمدرسة الحربية كتاب في التعليم العسكري[14].

كانت المدرسة تفتح بابها مرة واحدة كل سنة لدخول التلاميذ الجدد وخروج من إنتهت إقامته بالنجاح كضابط يحمل رتبة ملازم ثان، أو إحالته على الجندية في صورة عدم النجاح. وكانت المدرسة تقبل كل سنة 20 تلميذا الذي يدرسون العلوم العسكرية وتدوم مدة الدراسة 6 سنوات[15].

رغم أن مدرسة باردو الحربية تعتبر من أهم المؤسسات العسكرية الحديثة بالبلاد إلا أنها لم تحقق الأهداف المرسومة نظرا لمحدودية الفائدة التي حققتها لأسباب عدة منها ضعف الإمكانيات المادية التي تعاني منها الدولة سواء كان في عهد أحمد باي أو محمد باي أو محمد الصادق باي، فضلا عن غياب القوانين العسكرية الناظمة لسير عملها. حيث إقتصرت المدرسة على تعليم بعض المماليك وأبناء أعيان الحاضرة..

إذن يمكن إعتبار أن ضعف تشريعات عسكرية تقنّن الحياة العسكرية داخل المدرسة وغياب قوانين تقنّن التجنيد وتنظم المسؤوليات المناطة إتجاه المؤسسة العسكرية، فكان من الضروري تأسيس لقوانين عسكرية تحمي الجهاز العسكري وتنظم العمل به.

ب- في كتب الترجمة:

يعدّ المخطوط من المصادر الأرشيفية الهامة في كتابة التاريخ العسكري في تونس الحديثة. حيث يعتبر الوعاء التاريخي للتراث الإسلامي عامة والتونسي خاصة. وتتكون دار الكتب الوطنية بتونس من عددا هاما من المخطوطات العسكرية ويمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم ألّفه العرب المسلمين، وقسم مترجم نقلوه عن الأتراك والأندلسيين والفرنسيين.

فمن الكتب المترجمة مخطوط العزّ والمنافع، للمجاهدين بالمدافع (القرن 17) للمؤلّف إبراهيم الرّباش بن أحمد الأندلسي ترجمة أحمد بن قاسم الحجري[16] إبراهيم الرّباش من رؤساء البحر الأندلسيين. كتب هذا المؤلّف باللغة القشتالية (إسبانية)، وإستهلّه بتناول وصف لرحلاته مع الأساطيل الإسبانية إلى القارة الأمريكية، وعلمه بصناعة المدافع. ثمّ تناول هجرته إلى تونس وإستقراره بحلق الوادي حيث عكف على دراسة المدافع مستندا على المراجع الأعجمية إلى أن وُفّق في تأليف مخطوطه هذا الذي تناول فيه خمسين بابا في صناعة المدافع بأصنافها.

ومن المخطوطات المترجمة عن الفرنسية مخطوط بعنوان "مختصر في الحركات الرياضة للجيش" (1866م)، وهو منقول عن كتاب الفرنسي "سيف فيكتور ألفريد" وقدّمه للمشير محمد

الصادق باي. ترجمه للعربية البنباشي الحاج محمد بن الحاج عمر سنة 1866م بأمر من وزير الحرب، أمير الأمراء أحمد زرّوق.

إستخرج "سيف فيكتور ألفريد" القواعد الرياضية من الكتب المُؤَلَّفَةُ في فنون الرياضة المتوفّرة في عصره، ورسم أنماط الحركات والتدرّب عليها في صور توضيحية[17]. كما نجد نصوص مترجمة في النّظم العسكرية الخاصة بترتيب الشروط للدخول في سلك الجندية[18]. فماهو دور هذه المخطوطات في تنظيم الجيش التونسي خلال القرن التاسع عشر؟

2-المخطوطات العسكرية ونظام الجيش

شملت دار الكتب الوطنية بتونس عددا وافرا من المخطوطات التي إهتمت بالدراسات العسكرية النظرية، فقد أُلّفت الكثير من المخطوطات في كل المجالات فمنها دراسات حول صناعة السلاح وتطويره، وأخرى حول التدريب على السلاح واستعمالاته والخطط العسكرية وفنون التعبئة وتحريك الجيوش.

قامت هذه المخطوطات أساسا على ضبط جملة من القوانين العسكرية في مجالات مختلفة، ذلك أن جيش إيالة تونس كانت تفتقر لقوانين ناظمة لجهازها العسكري. حيث تقوم هذه القوانين بتنظيم المؤسسة العسكرية هياكل وأفرادا[19]. فهذه القوانين تقوم بتنظيم سير عمل مختلف مؤسسات الجيش وفرقه وتفرض فيها الإنضباط والنظام. وتنقسم القوانين العسكرية إلى ثلاثة أقسام: أولها قوانين التجنيد أو الإنتداب، ثم القوانين الإدارية وهي قوانين تنظّم سير العمل داخل مؤسسة الجيش. وأخيرا القوانين القضائية أو الجزائية لأفراد الجهاز العسكري من ضباط وجنود. وقد سعت تونس إلى مواكبة الإحداثات العثمانية في مجال التشريعات الجزائية المناسبة لجيشها مستفيدة من مثيلتها الفرنسية[20].

من أهم القوانين الناظمة للمؤسسة العسكرية هو قانون التجنيد الذي أمر بوضعه محمد الصادق باي، حيث طلب من مدير المدرسة الحربية "دي تفارن" بترجمة قوانين الإنتداب الفرنسية لسنتي 1832 و1855 للأخذ منها في سنّ القوانين الخاصة بالجيش التونسي[21] مستعينا أيضا بالقانون العثماني[22]. فكان نتاج ذلك إصدار أول قانون عسكري تونسي في عهد محمد الصادق باي في فيفري 1860 تحت عنوان "المصباح المسفر في ترتيب دخول العسكر"[23]. وقد تركب هذا القانون من 6 أبواب فيها 50 فصلا. وتتناول هذه الأبواب الستة عدة مسائل تشريعية وهي أساسا: في

بيان من يدخل الخدمة العسكرية، أما الباب الثاني فيمن يستثني من الخدمة والباب الثالث فيمن يلزمه حضور مجلس جمعية القرعة والباب الرابع في ذكر العوض والمعوّض وشروطهما أما الباب الخامس يتعلق بترتيب كيفية إجراء القرعة أي عملية التجنيد والباب السادس يتناول عدة مسائل أهمها العقوبات الجزائية للفارين من الخدمة وغيرها[24]. وعلى ما يبدو أن هذا القانون قد تأثّر بالتشريعات الفرنسية العثمانية على حدّ السواء التي عرّبت في إطار إشعاع مدرسة باردو الحربية[25].

ومن القوانين المستنبطة من المخطوطات العسكرية التي عرفها الجيش التونسي في القرن 19 هو قانون الطبجية أو المدفعية. ويعود هذا القانون إلى فترة حكم محمد باي وقد ظهر أنه مستنبط من قانون عثماني. صدر هذا القانون سنة 1859 في أواخر عهد المشير الثاني وإحتوى على ستة أبواب في ترتيب عسكر طبجية الأبراج[26]. يحتوي القانون مسؤوليات ضباط الأبراج والرتب العسكرية العثمانية مثل اليوزباشي والأونباشي كما يذكر القانون الترتيب اليومية للعسكر وسير العمل داخل البرج.

وفيم يتعلق بسلاح المدفعية كانت تنتشر أغلب المدافع بالحصون والأبراج في تونس الحاضرة وخارجها. وأغلب هذه المدافع كانت تفتقر لقواعد ضابطة لها. فهي مخصّصة فقط في وضع رمي ولم يكن لها قواعد للرمي عند التزوّد بالذخيرة وتنقل القذائف على الجمال. أما رُماة المدفعية فاقدين للخبرة والتدريب لعدم وجود مدرسة لتكوين الرماة[27] ذلك أن أحمد باي قد أولى عناية خاصة بسلاح المدفعية، وكان هذا النوع من السلاح مختلطا بسلاح المشاة ليس له تمييز عن غيره ولا ضابط ولا قشلة[28].

ومن مميزات القرن التاسع عشر إهتمام البايات الحسينيون بمختلف الفرق العسكرية ومن بينها عسكر الحنفية. فماهي الكتب المخطوطة التي تناولت هذا الصنف من العسكر؟

II- مخطوط عسكر الحنفية

1-ظروف نشأة عسكر الحنفية

يعتبر عسكر الحنفية إمتدادا للجيش التركي الذي كان يعتمد عليه الباشوات ثم الدايات فالبايات. وبالرغم من إنشاء حسين باي للجيش النظامي إلا أنه حافظ على التنظيم القديم، ومن بعده أحمد باشا الذي حاول إحكام تجهيزه وتدريبه[29]. وأصبح بذلك الجيش غير النظامي[30] إحدى

مكونات الجهاز العسكري التونسي خلال القرن التاسع عشر. فمن هم عسكر الحنفية وكيف تمّ تنظيم جهازهم العسكري؟

الحنفية هو مصطلح أطلقه الصادق باي على من تبقى من أبناء جند الترك لتمييزهم عن الجنود النظاميين من المالكية. ويذكر إبن أبي الضياف بقوله "وعسكر هذه المحلة ما بقي من أولاد جند الترك المتقدم ذكرهم، وسماهم الباي "عسكر الحنفية" ومعهم جند من الطبجية وجند من العسكر النظامي"[31].

خصّص لهذا الصنف من العسكر دفاتر خاصة وميزانية، فهم يتقاضون مرتبات وبعض الإعانات حتى العجزة منهم يظفرون بمرتب قدره 30 ريالا في الشهر ولا يدفع أفراد الحنفية ضريبة المجبى باعتبارهم عسكرا[32]. ومن الملاحظ أن ضباط الحنفية إحتفظوا بنفس أسماء الرتب العسكرية القديمة مثل الآغا والبلوكباشي والأوضباشي. بينما تغيّر الأمر بالنسبة إلى ضباط النظاميين في الجيش النظامي[33].

وفي محاولة إحياء ذكرى الحنفية من أجل تحقيق شيء من التوازن بين الوحدات العسكرية المتعدّدة[34]، بدأ محمد الصادق باي بإستخدام هؤلاء الجند كلما تطلب الأمر ذلك وأعتمد عليهم في حماية الحصون خاصة في باردو والمرسى وطبرقة والبيبان[35].

ولم تضبط عملية إنتداب عسكر الحنفية بقوانين محددة، بل ظلت عبارة عن فرض كفاية[36] إلا أن ما يؤاخذ على النظام القائم لهذا العسكر في إنتداب الشباب أنه لم يحدد مدة العمل العسكري فكانت العملية تتم بصورة إعتباطية ونهاية الخدمة تكون مرتبطة بالوضعية الصحية للجندي. والمطالبة بإنتداب أفراد من الجند الحنفي لا يكون إلا بإتفاق ديوان عسكر الحنفية والنظر في أمرهم[37].

أما مسألة العجز البدني المترتّب عن الكبر أو الإعاقة أو المرض، فقد أوجد له الباي حلاّ في تعويض كل من سُرّح بإحدى تلك الأسباب بشخص آخر ليحل محله في نفس الفرقة التي خرج منها العاجز[38]. وقد تم التعويض بالطريقة نفسها من إختيار الجنود وكانت تسلّط هذه العملية على مدن الساحل وصفاقس، وأصدر أمرا في ذلك في ماي 1848 لكل المفتين والقضاة وأمراء الأولوية بالساحل والقيروان بأن ينتخبوا من يصلح للخدمة العسكرية من هذه الجهات ليعوّضوا الضعفاء من

العسكر القائمين بفرض الكفاية على المجموعة في حراسة الثغور وطلب منهم التعاون مع ذلك وأن لا يمتنع أحد ممن له القدرة[39].

نستخلص مما تقدّم أن البلاد التونسية قد عرفت في العهد الحديث منذ سقوط الدولة الحفصية إعادة تشكّل لمعظم مؤسساتها وبالدرجة الأولى المؤسسة العسكرية. لكن ماهي الضوابط التي كانت تقنّن هذه المؤسسة وتعمل على حسن إدارتها بهدف تجنّب تجاوزات وإنتهاكات فئة العسكر على المجتمع المحلي؟

2-قانون العسكر الحنفي

في سياق زيادة الإهتمام بهذا التشكيل العسكري، أصدر الصادق باي قانونا[40] لعسكر الحنفية مؤرخ سنة 1866 يشتمل على 17 فصلا يوضح ما يجب على كبراء عسكر الحنفية عند السفر بالمحلة وتنظيم عملهم[41]. وقد عالج هذا القانون مسألة واجبات الضباط والأنفار عند الاستعداد لسفر المحلة وأثناء السفر. وتطرق في ثناياه إلى عرض واجبات الإستعداد وجملة من الأطر القانونية المتعلقة بمسألة التهيؤ للسفر وقدّم عدد من الإجراءات الجزائية منها والتنظيمية والعادات العسكرية من ملبس ومأكل والأدوات المستعملة. كما حدّد التكوينة البشرية لعسكر الحنفية ومهام كل رتبة عسكرية وحدودها.

فبالنسبة إلى قانون السفر في المحلة أوجب هذا النص القانوني عند عملية الاستعداد للتّرحال على الآغة عند تعيين وقت السفر أن يرسل نبيها بذلك لأغوات البلدان والبلوك باشية والشواش الذين ينبهون بدورهم العسكر ليكونوا على أهبة السفر ثم يسرع البلوكباشية والأوضباشية بالذهاب إلى الحاضرة لتجهيز لوازم السفر. وأوجب على العسكري أن يكون على الحالة التامة من الإستعداد للسفر في المحلة.

فمن واجبات البلوكباشي أن يُلازم المسير مع آغة المحلة وتفقّد العسّاسة ليلا وإخبار الآغة في حالة التقصير في الواجب أو الهرب. ومن واجباته تفقد طائفته في نظافتهم ولباسهم وحرجهم. أما أهم واجبات الأوضباشي أثناء سير المحلة فهي الحرص على مؤونة جماعته. ويقوم آغة الصنجق بترتيب مسير طائفته في الطريق كل يوم، وإذا تخلّف أحدهم يخبر عنه البلوكباشي الذي يعلم عنه بدوره آغة المحلة. كما أوجب القانون كذلك أن يكون على رأس كل 10 أخبئة صنجق

دار مكلف بحمل الصنجق. وأثناء السفر يلزم القانون العسكر الإنتباه أثناء تأدية واجب الحراسة، وغير هذا الوقت عليهم عدم مغادرة طائفتهم وفي كلا الحالتين يكونون دائما متقلدين لأسلحتهم.

وبالنسبة إلى المكلف بالحرج، فأبرز مسؤولياته نظافة الخبأ وترتيب الأسلحة والحرج في الشاطال وتعيين عسّة عليها. أما وظيفة الطباخ فهي جمع الحطب وتحضير الطعام وتنظيف الروزان (المطبخ). ويكون العشيّ مطالبا بنظافة الأخبئة والمطبخ وتصليح البرادع ويخبر باش عُشّي بما يعرض له من خلل في ذلك وتكون مهمة هذا الأخير وضع مشكا[42] بين كل خبئين للعسكر ومشكا أمام باي المحلة[43].

إنطلاقا مما سبق ذكره، فإن الضوابط التي تسير حياة عسكر الترك وتضبط حدوده من واجبات وتحمي حقوقه تخضع بدورها إلى جملة من الإجراءات العقابية في حالة الخلل بهذه القوانين أو محاولة تجاوزها أو إهمالها عن غير قصد. فماهي أهم القوانين الجزائية الناظمة لسلوك العسكر؟

أما خارج المحلة يوكل آغة البلد مهمة النظر في النوازل الخفيفة. في حين النوازل الثقيلة من مهام آغة العسكر. وعند الإستعداد للسفر يقوم آغوات البلدان والشواش بتحريض العساكر على القدوم للمحلة ويحذّرون المتخلّف من العقاب الشديد الذي يرفع لآغة المحلة لينظر في النوازل الخفيفة. وفي المقابل تكون النوازل الثقيلة تحت إشراف أمير المحلة. ومن أهم هذه النوازل التّخلفُ عن المحلة أو الهرب منها أو أن يلبس العسكري في العسة شيئا مُضافا على ذلك إلا لعذر كبير وشديد، ويكون ذلك بإذن شاوش الطائفة وبلوكباشيتها وله أن يقيم عوضا عنه عسكريا مثله ولا يسوغ له السّراح ولا "البترمه" وإلا أن يجلس حال عسته بل يكون واقفا.

كما تطرّق هذا القانون إلى بعض العقوبات المالية التي يتعرض لها الأنفار في المحلة والمتعلقة بإضاعة الأسلحة. فكل فرد أضاع بندقية أو "طابنجيتين" إثنين يغرّم بثمنها المقدر بـ150 ريالا للبندقية الواحدة و50 ريالا للطابنجات، وإن ضاع أحد السّلاقات[44] سلاحه المعطى له يغرّم بـ324 ريالا[45].

وبهذا يتبيّن أن الإجراءات الجزائية تمسّ كل جوانب الحياة العسكرية للجندي وتحدّد نواميس يخضع لها ولا يمكنه يتجاوزها. وهذه الحدود نلمسها أيضا حتى في مسألة الهندام والشكل الخارجي للعسكري. فعند الإستعداد للسفر، يقدّم للبلوكابشية والأوضباشية لباسا لائقا يتكون من قفطان

وبرنس وحذاء أسودين وشاشية عسكرية. ويتكوّن سلاحهم من "بالة"[46] و"طانبجيتين" وسلاح "لدّ بالقطّة" و"الشنتيات" للحرب وبندقية طويلة، وترفع له من خزنة الدولة ويرجعها يوم عودة المحلة من السفر.

أما بقية الضباط والكبراء وهم آغة المحلة وكاهيته وباش شاوش وكاهية وشواش السلام وباش أوضات وباش سقا، فقبيل إنطلاق المحلة يركب هؤلاء أحصنتهم متقلّدين لنفس أسلحة البلوكباشية والأوضباشية المعطاة من الدولة بإستثناء الباش أوضات الذين يتميّزون عليهم بالسكاكين المعدة لهم والآغة يتقلّد "بالة" فقط. وأثناء الرحيل يرتدي صنجق دار الحامل للصنجق معطفا أسودا. ويكون مسلحا تسليح بقية العساكر وعليه الحرص على نظافة الصنجق واللباس والسلاح.

وألزم هذا الترتيب العسكر بحضور "اليقلامة" اليومية (التحية اليومية) صباحا مساء والصياح بأعلى أصواتهم أيام الإقامة ومساء الرحيل قائلين "الله ينصر سيدنا" ثلاث مرات. كما أكّد عليهم الإنتباه أثناء تأدية واجب الحراسة وغير هذا الوقت عليهم عدم مغادرة طائفتهم وفي كلا الحالتين يكونون دائما متقلّدين لأسلحتهم[47].

وكان عسكر الحنفية يُؤخذ في بعض الحالات عوضا عن عسكر زواوة في المحلة[48]. ويمكن أن يحلّ عسكري حنفي محلّ أحد الأنفار التي تنتمي للعسكر النظامي مثال ذلك مراسلة من أمين اللواء عساكر الحنفية براهم آغة الحوانب إلى وزير العمالة بتاريخ 1867 [49] يخبره فيها مصطفى صفر من عسكر الحنفية أن له صهر من عسكر الألاي الأول تخلّف عن خدمة العسكر فحل محله النفر الأول.

وإنطلاقا مما تقدّم ذكره فإن الإصلاح العسكري قد شمل مختلف الفرق دون إستثناء، فقنّن العمل العسكري داخل الأبراج والقشل بعد إهمال لقوانينها وسير عملها طيلة قرون ويعود الفضل إلى جملة من الكتب المخطوطة بأيادي فرنسية وعثمانية ساهمت بشكل كبير في تغيير الجهاز العسكري وجعله أكثر نظاما وإنظباطا وقوة.

خاتمة:

نخلص القول تنوع المخطوطات حول العسكر إنطلاقا من طريقة بناء الأبراج مرورا إلى صناعة الأدوات المدفعية ثم عرض لرسومات تدريبات الجيش فالقانون المنظّم للعسكر.

وقد إنقسمت هذه المخطوطات بين ماهو مترجم عن الخبرة الفرنسية التي وظّفها حسين باي لتطوير الجيش التونسي، وماهو مترجم عن القوانين التركية العثمانية. وإهتمت أغلب هذه المؤلفات بتنظيم وتجهيز وتدريب وتقنين العسكر كقانون العسكر الحنفي.

I- المصادر

1-المخطوطات

- مخطوط عدد 3433: الرباش بن أحمد غانم بن محمد بن زكرياء النّولشي الأندلسي (إبراهيم)، العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، ترجمة أحمد بن قاسم الحجري.
- مخطوط عدد 3735: قانون عسكر الحنفية سنة 1866.
- مخطوط عدد 18618: العقد المنضد في أخبار المشير أحمد.

2- الأرشيف الوطني التونسي

- السلسلة التاريخية، صندوق 144، ملف 544، وثيقة 11: قانون المصباح.
- السلسلة التاريخية، صندوق 169، ملف 897.
- السلسلة التاريخية، صندوق 169، ملف 899.
- السلسلة التاريخية، حافظة 114، ملف 348.

3-المصادر باللغة العربية:

- إبن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس، ج 3-4-6، تونس 1965.

II- المراجع:

- شبّوح (إبراهيم)، المخطوط من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية 1، الوكالة القومية لإحياء وإستغلال التراث الأثري والتاريخي، المطبعة العربية، منشورات أليف أفريل 1989.

-السميراني (محجوب)، الجيش التونسي (1831-1881)، منشورات سوتيميديا، تونس، ط1، فيفري 2007.

- عبد المولى (محمود)، مدرسة باردو الحربية، الدار العربية للكتاب، 1975.

- بنبلغيث (الشيباني)، أضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837 إلى 1917، مكتبة علاء الدين، صفاقس 2003.

-بنبلغيث (الشيباني)، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باشا باي 1859-1882، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، زغوان - صفاقس.

- صوة (محمد)، القوانين العسكرية للجيش النظامي التونسي في القرن 19، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، السنة الجامعية 2007-2008.

ملحق الصور:

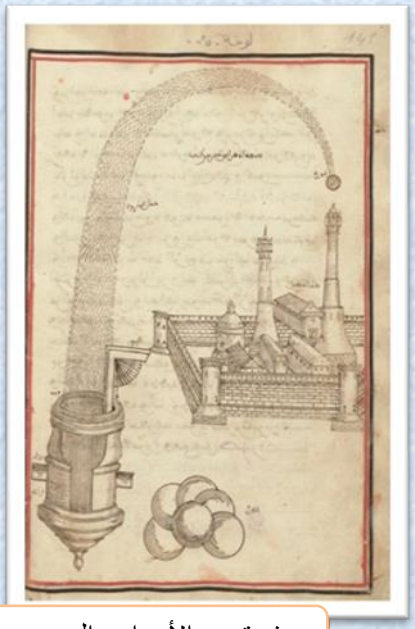

مدفع تهديم الأسوار والحصون

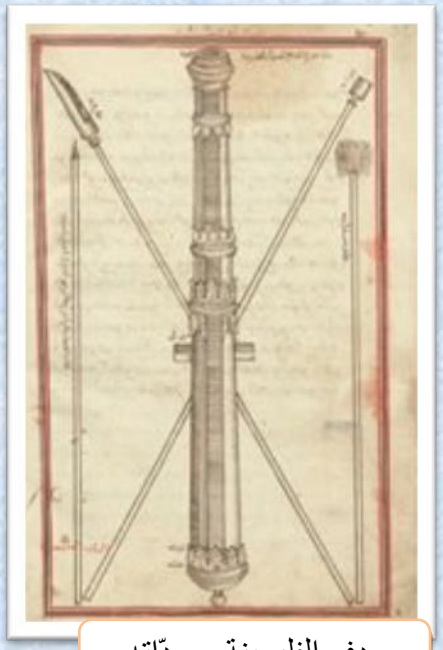

مدفع الفلبرينة ومعدّاته

المصدر: مخطوط عدد 3433: الرباش (إبراهيم)، العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، ترجمة أحمد بن قاسم الحجري.

تدريبات المشاة

المرجع: صورة لحركات رياضية للجيش سنة 1866. وهو مخطوط لـ"سيف فيكتور ألفريد" وقدّمه للمشير محمد الصّادق باي، أنظر:

شبّوح (إبراهيم)، المخطوط من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية 1، الوكالة القومية لإحياء وإستغلال التراث الأثري والتاريخي، المطبعة العربية، منشورات أليف أفريل 1989، ص ص73-74.

---

[1] – ومن أهم المراجع الهامة التي إعتمدنا عليها في هذا المجال نذكر:

– شبّوح (إبراهيم)، المخطوط من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية 1، الوكالة القومية لإحياء وإستغلال التراث الأثري والتاريخي، المطبعة العربية، منشورات أليف أفريل 1989.

وبالنسبة للمخطوطات التي تناولت صناعة المدافع بأصنافها إعتمدنا على:

– مخطوط عدد 3433: الرباش بن أحمد غانم بن محمد بن زكرياء النّولشي الأندلسي (إبراهيم)، العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، ترجمة أحمد بن قاسم الحجري

[2]– شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 77.

[3]– نفس المرجع، ص 74.

[4]– نفس المرجع، ص ص 76–77.

[5]– يعود هذا المخطوط إلى سنة 1863 وهو مترجم من التركية بسعي من أمير أمراء عساكر التريس "رشيد"، راجع:

– شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75– 76.

[6]– نفس المرجع، ص 76.

[7]–السميراني (محجوب)، الجيش التونسي (1831–1881) رافد نهضة وإصلاح، منشورات سوتيميديا، تونس، ط1، فيفري 2007، ص 60.

[8]– نفس المرجع، ص 61.

[9]– إبن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس، الجزء 3، تونس 1965، ص 179.

[10]– نفس المصدر، الجزء4، ص 36.

[11]– عبد المولى (محمود)، مدرسة باردو الحربية، الدار العربية للكتاب، 1975، ص 39.

[12]– بنبلغيث (الشيباني)، أضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837 إلى 1917، مكتبة علاء الدين، صفاقس 2003، ص.41

[13]– Drevet (R), *L'armée tunisienne*, Tunis 1922, p.22.

[14]– عبد المولى (محمود)، مدرسة باردو...، نفس المرجع، ص 53.

[15] – بنبلغيث (الشيباني)، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باشا باي 1859–1882، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، زغوان – صفاقس، ص..57

[16]– أنظر :

–شبّوح (إبراهيم)، المخطوط...، نفس المرجع، ص ص73.– 74 الذي أطنب في الحديث عن المخطوط عدد 3433 لإبراهيم الرباش حول العز والمنافع.

[17]– يعود هذا المخطوط إلى سنة 1847 ، راجع:

–شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص ص 76–77.

[18]– يعود هذا المخطوط إلى سنة 1863 وهو مترجم من التركية بسعي من أمير أمراء عساكر التريس "رشيد".، راجع:

– شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75– 76.

[19]– صوة (محمد)، القوانين العسكرية للجيش النظامي التونسي في القرن 19، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، السنة الجامعية 2007–2008، ص 6.

[20]– مخطوط عدد 18005: وهو قانون الجزاء العسكري الفرنسي معرّب وما يقابله من القانون التركي، راجع:
– شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75– 76.

[21]– Drevet (R), *L'armée tunisienne*, ...,op.cit, p.27.

[22]– إبن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف...، نفس المصدر، ج 44، ص 277.

[23]– الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 144، ملف 544، وثيقة 11: قانون المصباح.

[24]– مخطوط عدد 18618: العقد المنضد في أخبار المشير أحمد.

[25] – صوة (محمد)، القوانين العسكرية...، نفس المرجع، ص ص24–29.

[26]– مخطوط ترتيب أصل خدمة النظام العسكري بدون تاريخ لكنه مترجم إلى سنة 1857، أنظر:
– شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75– 76.

[27] –السميراني (محجوب)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص 53.

[28]– مخطوط عدد 18618: العقد المنضد في أخبار المشير أحمد.

[29]– السميراني (محجوب)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص.119

[30]– يتكوّن الجيش النظامي من عسكر زواوة والصبايحية والحوانب والمرازقية والضبطية.

[31]– إبن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف...، نفس المصدر، ج6، ص 55.

[32]– الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 169، ملف 897، ورقة 82.

[33]– بنبلغيث (الشيباني)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص 155.

[34]– ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف...، نفس المصدر، ص 49.

[35]– بنبلغيث (الشيباني)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص 138.

[36]– نفس المرجع، ص 41.

[37]– الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، حافظة 114، ملف 348.

[38]– المصدر نفسه.

[39]– نفس المصدر، حافظة 114، ملف 348.

[40]– مخطوط دار الكتب الوطنية عدد 3735: قانون عسكر الحنفية سنة 1866 .

[41]– المصدر نفسه.

[42]– وعاء يوضع فيه الماء يصنع عادة من جلد الإبل.

[43]– مخطوط دار الكتب الوطنية، عدد 3735.

[44]– رتبة عسكرية خاصة بعسكر الحنفية لم نجد لها رتبة معادلة.

[45]– مخطوط دار الكتب الوطنية، عدد 3735.

[46]– بالة يعني سيف.

[47]– مخطوط دار الكتب الوطنية، عدد 3735.

[48] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 114، الملف 348، التاريخ 1837-1861، مراسلة من أمير الأمراء حيدر آغة عسكر الحنفية إلى خير الدين باشا يبلغ فيها أن البعض من عسكر الحنفية يريدون أن يأخذوه عوضا عن عسكر زواوة المسافرين للمحلة بتاريخ 1871.

[49]– المصدر نفسه.

"أثر التاريخ على صناعة التشريعات الدولية بين النظرية والتطبيق

الباحثة فاتن دويرية/ المغرب

مقدمة :

يقول العلامة ابن خلدون في كتابه "مقدمة ابن خلدون"، في فضل علم التاريخ: " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ،جم الفائدة،شريف الغاية ،إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ،والأنبياء في سيرهم،والملوك في دولهم وسياستهم،حتى تتم فائدة الإقتداء في ذالك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا..." .ومنه ؛فإن التشريع كظاهرة اجتماعية ليس مجرد قواعد وإنما تركيبة نظامية تتفاعل فيها آليات إصدار القواعد بمصادرها وآليات تطبيقها وتفسيرها تحقيقا للغاية التي أفضت تاريخيا إلى وجود القاعدة القانونية كظاهرة اجتماعية .حيث أن القانون ليس هو الأداة الوحيدة لتنظيم السلوك الإنساني،فإلى جواره توجد أدوات أخرى مثل: الدين ،العادات ،التقاليد والمصالح الاقتصادية . وبه فإن مختلف هده الآليات تكون ما يعرف بصناعة التشريع أو صياغة التشريع.

فالتشريعات الحالية لم تأت محض صدفة أو غفلة ؛بل هي نتاج ورصيد لمجموعة من العوامل التاريخية ، أسس فكرية ومقاربات فلسفية أثارتها عنوة وقصدا حاجات الأفراد .فاستفاد الحاضر من الماضي وبلور السابق قواعد اللاحق ('المستقبل).

فإذا أخدنا بالقياس والتقريب –كنمودج – القانون الدولي الإنساني، باعتباره من اهم التشريعات الدولية التي سعت على مر عقود الى حماية الافراد من ويلات الحروب ومخلفاتها ،نجد أنه جاء كنتاج لأحداث تاريخية تعود لسنة 1859م، عندما اندلعت معركة (سولفرينو) Solférino –المشهورة بين النمساويين من جهة، والفرنسيين والإيطاليين من جهة أخرى، وكان ذلك بتاريخ / 24 يونيو / 1859م، حيث حقق القائد الفرنسي (نابليون بونابرت) انتصاراً كبيرا في هذه المعركة؛ فقد الحلفاء خلالها أكثر من 170000 جندي، و بذلك أصبحت قرية (سولفرينو) الإيطالية. مقبرة ضخمة تضم رفات هؤلاء الجنود . و كان من بين من حضروا هذه المعركةَ هو هنري دونان (1828-1910) Henri Dunantرجلٌ سويسري، والذي أصبح فيما بعد يُعرف بأبي الصليب الأحمر، والقانون الإنساني، ولم يكن هنري دونان جندياً مع أحد الجيوش، وإنما كان مسافراً، فاصابه الهلع ما رأى من المناظر البشعة، والوحشية التي ظهرت آثارها على مئات الآلاف من جثث القتلى، والجرحى الذين تركوا دون رعايةٍ في ميدان المعركة.

ولعل ذالك من أبرز تجليات تأثير التاريخ على صناعة التشريع ، وفي مقاربة اخرى ؛نجد أن منظمة الأمم المتحدة بميثاقها الأساسي، وكل ما انبثق عنها من قواعد دولية ،جاءت بهدف تجاوز مخلفات الحرب العالمية الثانية .متجاوزتا هفوات عصبة الأمم التي سجلها تاريخها السياسي ،فتفاعل الماضي مع الحاضر ليشكل لنا جملة من الآليات التشريعية الدولية التي تهدف و بالأساس إلى تجاوز المحن الإنسانية التي سجلها تاريخ البشرية.

إن هذا التقديم ليجعلنا آمام إشكالية جوهرية تتمثل اساسا في ماهية معيارية الترابط بين علم التاريخ وعلم صياغة التشريع وكيف يؤثر الأول في بلورة قواعد الثاني؟

إن البحث عن جواب ،بين وبائن ،عن الجدلية القائمة بين التاريخ وصياغة التشريع يضعنا أمام تساؤلات اخرى جديدة متعددة منها :

- ماهية علم التاريخ ؟
- ما العلاقة بين التاريخ والتشريع ؟
- كيفة تتم صياغة القاعدة التشريعية ؟
- هل التشريع يؤثر في التاريخ أم التاريخ من يؤثر في التشريع، أم هل هي علاقة تفاعلية تبادلية بين المقاربتين ؟

تلكم جملة من الأسئلة عمدنا إلى البحث عن مخرجات لها من خلال الأخذ بالمنهج الوصفي التحليلي، كل في إطار الوحدة والهدف ،ووفقا للمنهجية التالية :

المبحث الأول : نظري؛" الثمثلات النظرية المحددة لأثر التاريخ على صياغة التشريع".

المبحث الثاني :تطبيقي ؛"المخرجات التاريخية لصياغة القانون الدولي الإنساني كنموذج"

المبحث الأول :

التمثلات النظرية المحددة لأثر التاريخ على صياغة التشريع

يعرف علم التاريخ بأنه الفرع من المعرفة الإنسانية ، الذي يجمع معلومات الماضي ويسجلها، بل ويذهب إلى أبعد من ذالك من خلال محاولة ،توضيح وإيضاح ،العلاقة السببية بينها عن طريق إبراز الروابط، وتفسير التطورات والتحولات التي طرأت على حياة الامم ،المجتمعات والحضارات المختلفة مع تبيان كيفية حدوث هذه التغيرات وأسبابها .

وعليه؛ سنتناول مختلف الثمثلات النظرية المحددة لأثر التاريخ على صياغة التشريع من خلال وضعها بداية في إطارها المفاهيمي مع تحديد أبعاد الترابط ،التلاقي والتباعد بين هادين العنصرين: التاريخ والتشريع .

كل وفقا للتقسيم التالي :

المطلب الأول :البناء المفاهيمي لعنصري التاريخ والتشريع .

المطلب الثاني :الأسس المحدد ة لعلاقة التاريخ بصياغة التشريع .

المطلب الأول :

البناء المفاهيمي لعنصري التاريخ والتشريع .

يقسم ابن خلدون التاريخ في تعريفه إلى ظاهر وباطن ،حيث يقول .."ظاهره لايزيد عن أخبار الأيام والدول ..."، وأن "...في باطنه نظر وتحقيق وتحليل للكائنات ومبادئها ...". فحسب هذا الأخير فإن معنى التاريخ ينقسم إلى ظاهر وباطن وأن الظاهر لا يتجاوز السرد بينما الباطن هو الأهم لأنه يهتم بالتعمق والتحليل .[1]

فإذا قلنا بأن التاريخ من صنع الأفراد،فإن وجهة النظر النابعة منها هي إعتبار أن الأفراد هم الذين يؤثرون في الشعوب أو المجتمعات ،وأن الأبطال هم الذين يرفعون شعوبهم للقمة والصدارة.

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: " **مقدمة ابن خلدون** " ، تحقيق حامد احمد الطاهر، مطبعة دار الفجر للثراث ،الطبعة الاولى، سنة 2003، ص21 .

وعليه نجد ان كار ليل قد عبر عن دور الأبطال فقال : "أن التاريخ العالمي –تاريخ ما أنجزه الإنسان في العالم –إنما هو صميمه تاريخ العظماء وما أنجزوه،وأن كل ما تم إنجازه في العالم هو الحصيلة المادية الخارجية ،والتجسد الحي للأفكار عاشت في عقول عظماء عاشوا في هذا العالم،إنهم روح التاريخ العالمي كله " .

وفي المقابل نجد هازو نجا يقول أن :"التاريخ هو الصورة الفكرية التي تقدم فيها الحضارة الحساب لنفسها عن ماضيها".وهذا الكلام يعني أن الحضارات صانعة التاريخ .غير أن وجهة النظر الأكثر شيوعا ، هي أن التاريخ مرتبط في الأذهان بشخصيات الساسة والقواد العسكرين مثل: الإسكندر في تاريخ اليونان القدير وسليم الأول في تاريخ الحضارات العثمانية وحتى حمورابي ومخرجات صياغة مدونته الشهيرة في مجال حماية حقوق الأفراد.

فلا مراء أنَّ علم التاريخ كباقي العلوم يستند على حقائق علمية ثابتة من خلال الأدلة المروية عن المكان والإنسان، ومن خلال الأدلة المشاهدة الماثلة للعيان. فعلم التاريخ يقوم بتأصيل الأحداث والوقائع الهامة التي مرت على الأرض قبل الحياة البشرية، والأحداث التي جرَت بسبب الإنسان وهو ما يُعرف بالتاريخ البشري أو التاريخ الإنساني.

فعلم التاريخ بذالك يُعطي تصورًا دقيقًا وواضحًا عن العالم القديم، والتجارب التي مرَّ بها الإنسان، وبالتالي تكون هذه الدراسة بابًا من تجنب ما وقعَ بهِ الأقدمون من الأخطاء والتي جرّت عليهم الويلات والدمار. فعلم التاريخ هو دروس ماضية تُفيدنا للتخطيط المستقبلي.

أما التشريع[1] فهو وسيلة من وسائل تنظيم السلوك الانساني ،تمتاز بالإلزام المقرون بالجزاء ، وهو المهنى الواسع للقانون .ويتكون النظام القانوني من مجموعة من القواعد القانونية ، فهي الوحدة الاولية التي يتكون منها ، أو ما يسمى بلبنة البناء القانوني، فالقانون ضرورة اجتماعية بما يحتويه من قواعد تنظم العلاقات والسلوك في المجتمع، وهو في مهمته التنظيمية يسعى الى تحقيق التوازن بين مصالح الافراد في سعيهم الى اشباع حاجاتهم وبين مصلحة الجماعة .

وصيغة التوازن هذه ما هي إلا انعكاس للنظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي السائد في الدولة ،فالقواعد القانونية تختلف باختلاف الانظمة.

[1] محمد الفيلي :" **القانون والسلوك الإنساني محاولة لفهم صناعة التشريعات** " ،مقال منشور بمجلة عالم الفكر، العدد 147 ابريل –يونيو، سنة 2018، ص7.

فمهما اختلفت مدلاولات التشريع وتنوعت فإنها لا تخرج عن أساس كونها مجموعة من القواعد القانونية الملزمة المقترنة بالجزاء والمنظمة لسلوك الأفراد في مجتمع ما،وحتى يتحقق الهدف منها يجب أن تتصف بخصائص معينة تحدد طبيعتها وتميزها عن غيرها من القواعد الموجودة في المجتمع ، حيث تتسم بكونها:

- قاعدة سلوك إنساني ؛
- قاعدة تتصف بالتجرد والعموم؛
- قاعدة اجتماعية؛
- قاعدة مقترنة بجزاء يفرض من قبل السلطة العامة .

المطلب الثاني :

الأسس المحددة لعلاقة التاريخ بصياغة التشريع .

تشكل الأحداث السياسية ملامح التاريخ العام وتلقي الجانب الأكثر من اهتمام من أغلب المؤرخين. إن علم السياسية يهتم في المقام الأول بتكوين الجماعة السياسية المؤثرة، وعلى العوامل التي تقف خلف صناعة القرار وطريق الحكم والسلطة ووضع الدساتير والعقوبات التي تصدرها الحكومات ضد المخالفين لأنظمتها.

ومن أهم اهتمامات علماء السياسة ـ أيضًا ـالاهتمام بالعوامل الحاسمة في رسم السياسة العامة للدولة وتنفيذها. ويعنون كذلك بنظم الحكم المقارن، والعوامل الاجتماعية التي تحرك القرارات السياسية وأصولها التاريخية وتحولاتها، والاهتمام بالنظام الذي ينسق المعتقدات السياسية، وهو ما يعرف " بالأيدولوجية " والتي تنبع من الفلسفة السياسية والقانونية. فيرتبط المؤرخ بهذا الجانب لارتباطه بالقرارات السياسية والتي هي بدورها تصبح أحداثها تاريخية. ومن خلال ذلك ممكن معرفة كيف تسير الدولة وكيف تعمل مؤسساتها التشريعية والقضائية، كما أن المؤرخ يعمل على المقارنة بينها وبين مؤسسات مشابهة أو مختلفة في بلاد أخرى، ليحقق أهدافه من الكتابة.

فمن أهم الجوانب التي يعني بها علم السياسية[1]؛العلاقات الدولية التي تعرف بالدبلوماسية. ويعتبر هذا الجانب في غاية الأهمية للمؤرخين؛ وذلك لأن العلاقات بين الدول والمعاهدات والاتفاقيات التي تعقدبينها تشكل اتجاه السياسية العالمية، وقيام التحالفات العسكرية والقومية بين الدول، وكذلك قيام الحروب، وعقد المعاهدات. كل ذلك منبعه من علم السياسية من جهة، ومن جهة أخرى فهو المصدر الأول للمعلومات بالنسبة للمؤرخ).فمن ميادين علم السياسية ـ أيضًا ـ تاريخ الفكر السياسي وتطوره وفكرة ظهور الدولة، وهي الوحدة السياسية للمناطق المتحدة. وهذا المجال يهم المؤرخ بل يعتبر من صميم عمله، فالتاريخ يبدأ من نشوء المجتمع الذي نسميه الدولة.

ربطا به؛ فإنه ومن المسلم به ،أن أي مجتمعٍ بين الحين والآخر يحتاج إلى سن قوانينٍ وتشريعاتٍ وأنظمةٍ ؛ لأجل تنظيم المجتمع ، والدولة ، سواءً في علاقاتها مع الدول الأخرى ، أم في علاقتها مع أفراد الشعب ، وبعد سن هذه القوانين ، والتشريعات ، قد تجد الدولة – متمثلة بحكومتها – الحاجة إلى سن قانونٍ جديدٍ ؛ ليواكب تطور المجتمع مثلًا ، أو لإلغاء قانونٍ ، لم يعد يتماشى مع الظروف الجديدة ، ولكونه سُنَ في زمنٍ قديمٍ وفقا لتاريخ السياسي معين ، ولم يعد يلبي المتطلبات الملحة ، والضرورية اللازمة لوجوده ، فيعمد المشرع إلى تعديله ربما ، أو قد تقتضي الضرورة إلغاؤه ، ومن ثم سن تشريعٍ جديدٍ يتلائم مع متطلبات العصر وحاجة المجتمع ويتجاوز الهفوات التي واكبت تاريخه السياسي العويص .

وبذالك ينصهر المكونان– التاريخ والواقع الراهن – فتحدث طفرة مجتمعية عبر آليات سياسية عديدة ومتنوعة تهدف إلى الإنتقال من مرحلة الصراع إلى مرحلة ما بعد الصراع في إطار ما يعرف بالإنتقال الديمقراطي الذي من بين أهم أسس قوامه صياغة تشريعات حديثة تتجاوز مخلفات التشريعات السابقة وتلبي حاجات الأفراد الآنية .

[1] غوستاف لوبورن: "**روح السياسة** "،منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، سنة 2017 ،ص 25 .

المبحث الثاني :

المخرجات التطبيقية لأثر التاريخ على صياغة التشريع الدولي

- القانون الدولي الإنساني نموذجا –

سادت الحروب والنزاعات المسلحة بين القبائل والشعوب على مر الأزمنة والحضارات على العلاقة بين الجماعات البشرية المختلفة عبر التاريخ الإنساني، حيث أوجز ذالك ابن خلدون بقوله : " أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله .فكانت للحرب عبر التاريخ طقوس وتقاليد وأعراف تظهر في مجملها القواعد الدولية التي تحكم الحرب في الوقت الحالي والتي تطورت منذ العصور القديمة ، ظهرت إلى جانبها بعض من مظاهر الرحمة واللين النابعة من المبادئ الإنسانية كقوانين حمورابي والحيثين وقدماء المصرين[1] .كان آخرها ما أسفر عنه تاريخ "هنري دودان" من تدوين لمجموع قواعد دولية ناظمة للحرب أصبحت تعرف بالقانون الدولي الإنساني .

وعليه؛ وفي إطار تكريس دور المؤرخ في البلوره سياقات التشريع ، و سنأخذ دور "هنري دودان" في صياغة القانون الدولي الإنساني كنموذج وفقا لمرحلتين :

المرحلة الأولى :مرحلة التأثر وإحداث الأثر(المطلب الأول).

المرحلة الثانية: مرحلة الصياغة والتدوين(المطلب الثاني).

المطلب الأول:

مرحلة التأثر وإحداث الأثر

هنري دونان Henri Dunant (1828-1910) رجلٌ سويسري، أصبح فيما بعد يُعرف بأبي الصليب الأحمر، والقانون الإنساني، لم يكن هنري دونان جندياً مع أحد الجيوش، وإنما كان مسافراً، فاصابه الهلع ما رأى من المناظر البشعة، والوحشية التي ظهرت آثارها على مئات الآلاف من جثث القتلى،

[1] تجدر الإشارة إلى أنه وجدت أعراف تحرص الشعوب القديمة على مراعاتها في القتال ،ويمكن القول بأنها شكلت نواة للقانون الحربي الحديث ،مثلا عقدت كل من الإمبراطورية المصرية والحيثية معاهدة تنظم بنودها كيفية سير القتال بين جيشيهما ،و تم دالك في سنة 1262 قبل الميلاد .

والجرحى الذين تركوا دون رعايةٍ في ميدان معركة (سولفرينو) –المشهورة بين النمساويين من جهة، والفرنسيين والإيطاليين من جهة أخرى، بتاريخ 24 يونيو 1859 م، حيث حقق القائد الفرنسي (نابليون بونابرت) انتصاراً كبيرا في هذه المعركة؛ فقد الحلفاء خلالها أكثر من 170000 جندي، و بذلك أصبحت قرية (سولفرينو) الإيطالية. مقبرة ضخمة تضم رفات هؤلاء الجنود .

عندما أنشئ الصليب الأحمر، كان هنري دونان Henri Dunant ، صاحب الخيال الواسع والمفعم بالحماسة قبل كل شئ، يطمح إلى تحديد إجراءات معاملة أسرى الحرب ومصير الجرحى في آن واحد. غير أن زملاءه الذين كانوا أكثر منه حذراً فرضوا عليه طريقة " الخطوات القصيرة " . فلم تهتم اتفاقية جنيف الأولى المبرمة في سنة 1864 سوى بجرحى ومرضى الجيوش . ولكنها ، وقعت واحترمت، وأعقبتها الاتفاقيات الأخرى.

و قد قام بتأليف كتابٍ اسماه (تذكار سولفرينو Un souvenir de Solférino) ، ونشره سنة 1862 م، حيث أرَّخ فيه للكارثة التي حدثت في(سولفرينو.Solférino) كما دعا في هذا الكتاب إلى أمرين :

أولا : إنشاء جمعيات إغاثة في كل بلد، لتقديم الخدمات الصحية للجيش زمن الحرب؛

ثانيا: أن تصادق الدول على اتفاقية، يتم بموجبها توفير الحماية القانونية للمستشفيات العسكرية، والخدمات الطبية.

وفي سنة 1863 م قام هنري دونان مع مجموعةٌ مكونةٌ من خمسة أشخاص، بتنظيم مؤتمرٍ في جنيف، حضره ممثلون عن 16 دولة، وقاموا بإنشاء(اللجنة الدولية لإغاثة الجرحى) كما طالبوا الحكومات بمنح الحماية لهذه اللجنة زمن الحروب، فكان ذلك تحقيقاً للمطلب الأول من مَطْلَبَيْ دونان السابقين1.

---

[1] حسين فاخرعلي : "**حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق في الدساتير العراقية**"، بحث مقدم إلى الأكاديمية العربية في الدنمارك كلية القانون والسياسة– قسم القانون– استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في القانون (2010–2011.

راجع ايضا :

المودن محمد يوسف: "**إشكالية حماية الممتلكات الثقافية والبيئية بين الواقع والقانون الدولي الإنساني**"، بحث لنيل درجة الماستر ، جامعة عبد المالك السعدي بطنجة، السنة الجامعية: 2013–2014.

وفي سنة 1864 م عقد المجلس الاتحادي السويسري مؤتمراً دبلوماسياً في جنيف، وشارك فيه مندوبون مفوضون عن 16 دولة، وفي هذا المؤتمر تمَّ التوقيع على أول اتفاقيةٍ رسميةٍ للقانون الدولي الإنساني، وهي (اتفاقية جنيف الأولى لتحسين حال العسكريين الجرحى في الجيوش في الميدان.) و بذلك تحقق مطلب (هنري دونان) الثاني، ثم بعد ذلك تم اختيار إشارة لضمان الحماية والمساعدة لأعضاء اللجنة الدولية لإغاثة الجرحى.، فكانت هذه الإشارة عبارة عن صليب أحمر على أرضية بيضاء، وهو معكوس علم سويسرا، وذلك تكريماً لها، فسميت اللجنة باللجنة الدولية للصليب الأحمر 1.

ولما دخلت الدولة العثمانية في اتفاقيات دولية بهذا الشأن، ظهرت جمعيات الهلال الأحمر، ثم اتحدت هذه الجمعيات في ما يسمى ب (الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر، والهلال الأحمر)، وبذلك ظهر القانون الدولي الإنساني، وطبق على أرض الواقع، وأصبح من أهم فروع القانون الدولي العام.2

ولعل ذالك خير دليل على كيف ساهم المؤرخ في بلورة الدعائم الأساسية لقانون من أهم القوانين الدولية العامة في حاضرنا هذا .

---

1. Henry dunant : un souvenir de solferino edition original, geneve 1862_CICR

[2] يعرف القانون الانساني الدولي بأنه مجموعة المبادئ والقواعد التي تحدّ من استخدام العنف أثناء المنازعات المسلحة أو من الآثار الناجمة عن الحرب تجاه الإنسان عامة فهو فرع من فروع القانون الدولي العام لحقوق الإنسان غرضه حماية الأشخاص المتضررين في حالة نزاع مسلّح كحماية الممتلكات والأموال التي ليست لها علاقة بالعمليات العسكرية وهو يسعى إلى حماية السكان غير المشتركين بصورة مباشرة أو الذين كفوا عن الاشتراك في النزاعات المسلحة مثل الجرحى والغرقى وأسرى الحرب ويمكن القول أن القانون الدولي الإنساني إنطلق بإتفاقية "جنيف" لسنة 1864 وتلتها عدّة اتفاقيات وبرتوكولات هامة .

المطلب الثاني:

مرحلة الصياغة والتدوين

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقيام منظمة الأمم المتحدة، والاتفاق على تحريم اللجوء إلى القوة دولياً، ظهر مصطلح (النزاع المسلح) ليحل محل الحرب، وأصبح يطلق على كلِّ استخدامٍ للقوة داخلياً وخارجياً، سواءٌ أكان معترفاً بأطراف النزاع، أم لا. تم الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها؛ وبالتالي الاعتراف الدولي بالنضال المسلح للشعوب ضد مستعمريها ما يسمى بحروب التحرير الوطنية ، وهذه النزاعات لم تكن تشملها اتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949 م؛ مما حدا بالأمم المتحدة لإبرام بروتوكولين ملحقين بالاتفاقية عام 1977 م[1].

وفيما يلي بعض اهم المخرجات الانسانية المنبثقة عن صياغة القانون الدولي الانساني :

أولا :النطاق المادي للقانون الدولي الإنساني: جاء البرتوكول الأول ليعالج الأوضاع الخاصة بالمنازعات المسلحة الدولية، ووضعَ حروب التحرير الوطنية على قدم المساواة مع المنازعات المسلحة الدولية، في حين جاء البروتوكول الثاني بالأحكام الخاصة بالمنازعات المسلحة غير الدولية. و يشمل النطاق المادي للقانون الدولي الإنساني ثلاثة أنواع من النزاعات المسلحة:

النوع الأول :النزاعات المسلحة الدولية: و هي تَدَخُّل القوة المسلحة لدولة ضد دولة أخرى، سواء أكان التدخل مشروعاً، أم غير مشروع، وسواء أعلنت الحرب رسمياً، أم لم تعلن. وقد نصت المادة الثانية المشتركة من اتفاقيات جنيف الأربعة لسنة 1949م على أن القانون الإنساني يطبق على " حالة الحرب المعلنة، أو أي اشتباك مسلح آخر ينشب بين طرفين أو أكثر من الأطراف السامية المتعاقدة، حتى ولو لم يعترف أحدها بالحرب." ، وعليه فإن القانون الدولي الإنساني يدخل حَيِّزَ التطبيق بمجرد استخدام القوة المسلحة دولياً، أي دون انتظار إعلان الحرب.

أما النوع الثاني :حروب التحرير الوطنية: و هي كافة أشكال النضال المسلح الذي تقوم به الشعوب التي احتُلَّت أرضُها ضد جيوش الجهة المعتدية او الجهة المستعمرة.

---

[1] القاضي جمال شهلول: " **القانون الدولي الإنساني**" ، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي :

www.ao.academy.org تاريخ التصفح : 2020/02/12 ،على الساعة : 11.00 صباحا

وقد كانت هذه الحروب تخضع للقانون الداخلي للدول الغاصبة؛ وذلك لأنَّ الدول الاستعماريَّة كانت تعتبر الأقاليم المستعمرة جزءاً منها وفق القانون الدولي التقليدي. ولكن بعد صدور القرار رقم 1514 عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1960 م، والذي يقضي بضرورة استقلال الأقاليم المستعمرة، وإنهاء كافة أشكال الاحتلال، بدأت قضية حروب التحرير تتفاعل.

النوع الثالث :المنازعات المسلحة غير الدولية: وهي ما يعرف بالحرب المدنية في القانون الدولي التقليدي، وقد أدرجها القانون الدولي الحديث ضمن النزاعات المسلحة التي تطبق عليها اتفاقيات القانون الدولي الإنساني. فقد نصت المادة الثانية المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949 م، على أنه في حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع دولي، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يطبق أحكام اتفاقيات جنيف الأربعة، وهو ما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة الأولى من البروتوكول الإضافي الثاني لعام 1977 م. و بالتالي فالنزاعات المسلحة غير الدولية داخلةً في نطاق تطبيق القانون الدولي الإنساني، وتسري عليها أحكامه كافة.

ثانيا:النطاق الشخصي للقانون الإنساني : و هو تحديد الفئات أو الأشخاص الذين يتمتعون بحماية القانون الإنساني أثناء حدوث النزاعات المسلحة، ويطلق عليهم مصطلح (الأشخاص المحميون) أو (الفئات المحمية) زمن النزاعات المسلحة.والحديث مرتبطٌ بالمبدأ الذي قام عليه القانون الدولي الإنساني، وهو مبدأ عدم جواز استخدام القوة إلاّ ضد الأشخاص الذين يستخدمونها، أو يهددون بذلك، أي لا يجوز استخدام القوة إلاّ ضد(المحاربين)أو(المقاتلين)، وهذا ما يعرف بمبدأ التفرقة بين المقاتلين وغير المقاتلين في القانون الدولي. أما الأشخاص المحميون بمقتضى أحكام القانون الإنساني فهم: الجرحى والمرضى،الغرقى والمنكوبون ،أسرى الحر ، المدنيون، موظفوا الخدمات الإنسانية1.

ثالثا :النطاق المكاني للقانون الدولي الإنساني:يراد بالنطاق المكاني للقانون الدولي الإنساني؛ بيان الأماكن التي لا يجوز استهدافها بالأعمال العسكرية، حيث يحدد القانون الدولي العام مسرح العمليات العسكرية من خلال بيان الأهداف العسكرية التي يجوز استهدافها، وبيان الأهداف المدنية التي لا تجوز مهاجمتها.كما يحدد القانون الدولي العام الحدود الجغرافية للمكان الذي تتم فيه العمليات العسكرية، براً، وبحراً، وجواً، وهو يعرف بمبدأ التمييز بين الأهداف العسكرية، والأهداف المدنية، حيث

---

[1] محمد الغربي : "الوجيز في العلاقات الدولية المعاصرة مع دراسة تاصيلية مختصرة للقانون الدولي الانساني"، مطبعة اسبارطيل –طنجة – الطبعة الثانية، سنة 2015 ،ص 275 .

تنص المادة الثامنة والأربعون من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 م المتعلق بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة، على وجوب أنْ تعملَ أطراف النزاع على التمييز بين السكان المدنيين، والمقاتلين، وبين الأهداف المدنية، والأهداف العسكرية، ومن ثَم توجه عملها ضِدَّ الأهداف العسكرية دون غيرها، وذلك من أجل تأمين احترام وحماية السكان المدنيين، والأعيان المدنية.

يبدأ تطبيق القانون الإنساني وسريان أحكامه على أرض الواقع منذ لحظة بداية النزاع المسلح، أي بداية الاشتباك الفعلي بين القوات المسلحة، سواء أكان هناك إعلان عن بداية الحرب أم لا. و ينتهي تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني عند الإيقاف العام للعمليات العسكرية الاشتباك المسلح.أما في حالات الاحتلال فإن القانون الإنساني يتوقف تطبيقه بعد عامٍ واحدٍ من انتهاء العمليات الحربية بوجهٍ عام. والإيقاف المؤقت للعمليات العسكرية – كالهدنة مثلاً – لا يؤدي إلى انتهاء تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني، بل يستمر حتى يتم الإيقاف الكلي للنزاع المسلح، ثم بعد ذلك بعام واحد يتم إيقاف تطبيق القانون الدولي الإنساني. أما بالنسبة للأسرى فلا يتوقف تطبيق هذا القانون إلا بعد الإفراج عنهم، وإعادتهم لأوطانهم بصورة نها

خاتمة :

إن البحث في موضوع أثر التاريخ على صياغة التشريع ،موضوع له من الأهمية بما كان ، لأن روح التشريعات تستشف من روح السياسة التي يعد التاريخ أحد أهم مقوماتها وفي هذا الصدد نستحضر مقولة "غوستاف لوبون" في كتابه" روح السياسية" عندما قال أن : " مقومات روح السياسة هي: روح الافراد، وروح الجماعات، وروح الشعوب، ودروس التاريخ " ونحن نؤيد مقاله هذا ؛فإذا كانت القاعدة القانونية من ركائزها أنها قاعدة إنسانية ،اجتماعية أي أنها تعنا بتنظيم وتأطير السلوك الإنساني للأفراد والجماعات والشعوب ؛فنحن نقول أن مقومات روح التشريع هي: روح الأفراد ، روح الجماعات ،روح الشعوب، دروس التاريخ، روح السلوك الإنساني وروح السلطة التي تقرن بإفراد الجزاءات .

لائحة المراجع :

1/ الكتب :

- غوستاف لوبورن: "روح السياسة "،منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، سنة 2017؛
- محمد الغربي : "الوجيز في العلاقات الدولية المعاصرة مع دراسة تاصيلية مختصرة للقانون الدولي الإنساني مطبعة اسبارطيل –طنجة –سنة 2015 ؛
- عبد الرحمان ابن خلدون: " مقدمة ابن خلدون " ، تحقيق حامد احمد الطاهر، مطبعة دار الفجر للثراث ،الطبعة الاولى، سنة 2003؛
- Henry dunant : un souvenir de solferino edition original, geneve 1862_CICR.

2/ الرسائل الجامعية :

- المودن محمد يوسف: 'إشكالية حماية الممتلكات الثقافية والبيئية بين الواقع والقانون الدولي الإنساني"، بحث لنيل درجة الماستر ، جامعة عبد المالك السعدي بطنجة، السنة الجامعية: 2013-2014؛
- حسين فاخر علي : "حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق في الدساتير العراقية"، بحث مقدم إلى الأكاديمية العربية في الدنمارك كلية القانون والسياسة- قسم القانون- استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في القانون (2010-2011).

3/ المقالات العلمية

- حمد الفيلي :" القانون والسلوك الإنساني محاولة لفهم صناعة التشريعات " ،مقال منشور بمجلة عالم الفكر، العدد 147 ابريل –يونيو، سنة 2018؛
- جمال شهلول: " القانون الدولي الإنساني" ، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي :
- تاريخ التصفح : 2020/02/12 ،على الساعة : 11.00 صباحا
- www.ao.academy.org

الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية
"أعراف القبائل المغربية نموذجا"

الباحث عبد العزيز بودرة /المغرب

مقدمة:

يدرس التاريخ الأحداث الإنسانية الفريدة غير المتكررة، والمرتبطة بزمان ومكان معينين، في حين تعالج الأنثروبولوجيا الظواهر الإنسانية المتكررة والمتعددة في الماضي والحاضر؛ وفي أماكن متعددة. ولقد أسهم التفاعل المتبادل بين هذين التخصصين،في بروز توجه تاريخي سمي بـِ"الأنثروبولوجيا التاريخية"، يهتم أساسا بدراسة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بصورة عامة، وفق مقاربات جديدة، ومراجعات للتحقيب الكلاسيكي والإشكاليات التي يطرحها البحث التاريخي.

منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،شكل المغرب قبلة للمستكشفين من رواد السوسيولوجيا وعلماء الاثنوغرافيا والأنثروبولوجيا، وساهمت دراساتهم بشكل أو بآخر في تكريس ترسانة مفاهيمية استعمارية، تشكلت من دراسة الشعوب الأخرى،التي كانت غالبا ما تصنف في خانة الشعوب المتأخرة،أو بعبارة أخرى "المجتمعات التقليدية الشفهية المفتقرة لتدوين تاريخها". والكثير من الباحثين في هذا المجال يجزمون اليوم أن القوى الاستعمارية تحكمت عن بعد في عدد من الدراسات الأنثرولوبوجية، التي أنجزت في هذه المرحلة، بل كانت هذه القوى وراء العديد من هذه الدراسات التي ساعدتها على معرفة حقيقة المجتمعات المستعمرة (بفتح الميم الثانية)، بغية التحكم فيها من خلال استغلال تناقضاتها البنيوية الأساسية التي لها علاقة بالسلطة والدين والمعتقد والاقتصاد.

كان لتأثر التاريخ بالأبحاث الأنثروبولوجية في التجربة الأوربية، نتائج مهمة على مستوى تجديد مواضيع التاريخ وإشكالياته، وفي نفس الوقت، اقتحم المؤرخ مجالات كانت في حكم المنسي والمهمش، باستثمار مفاهيم العلوم الإنسانية الأخرى ومناهجها. في حين ظل هذا الالتقاء في

التجربة المغربية منذ بدايته موجها من طرف الإدارة الاستعمارية، لكنه بالرغم من ذلك استطاع طرح إشكاليات جديدة، منبينها؛ وظيفة الأعراف في تنظيم مكونات المجتمع، وفي علاقتها بالدين والمعتقدات ذات البعد الصوفي والسحري داخل المجتمع المغربي، وهو موضوع هذا المقال الذي سنقدمه وفق المحاور الثلاثة الآتية:

- التاريخ والعلوم المساعدة.
- الأنثروبولوجيا نموذج للعلوم المعرفية المساعدة للكتابة التاريخية.
- مظاهر تبني الأنثروبولوجيا في كتابة التاريخ الاجتماعي للقبائل المغربية (مسألة الأعراف نموذجا).

1-المحور الأول:التاريخ والعلوم المساعدة

يذهب العديد من المختصين، إلى القولبأن التاريخ ظل لمدة طويلة فنا وأدبا، يهتم بصورة خاصة بالأفراد، وبالفئات العليا من المجتمع، وبنخبه (الملوك، ورجال الدولة، وقادة الثورات)، وبالوقائع كالحروب والثورات، وبالمؤسسات السياسية والاقتصادية والدينية التي تهيمن عليها النخب. غير أنه أصبح علما بعد تأثره بعلوم إنسانية[1]عدة،حيثبدأ يهتم بالكتل الاجتماعية التي بقيت على هامش السلطة،وأولئك الذين يقاسونها[2].

وظهرت حاجة التاريخ إلى علوم إنسانية أخرى من قبيل علم الاجتماع، وعلم النفس، والاثنولوجيا، والأنثروبولوجيا، في فترة مبكرة،وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبيت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن الزلات والمغالط"[3].هُمِّش هذا السبق الخلدوني، وساد الاعتقاد إبان سيادة النزعة الوضعانية بضرورة اقتصار التاريخ على الوثيقة المكتوبة، وهو ما لخصه المؤرخ الفرنسي شارل سينوبوس

---

[1] على عكس اللغة الفرنسية، تستعمل اللغة الانجليزية مصطلح العلوم الاجتماعية.

[2]-لوغوف (جاك)،التاريخ الجديد، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، الطبعة الأولى،2001م، ص. 282.

[3]-ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد)،المقدمة،تحقيق: أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية،القاهرة،2006، ص. 15.

بقوله: لا تاريخ بدون وثيقة[1]، لكن مفهوم الوثيقة عند الوضعانية الفرنسية أو التاريخيانية الألمانية ظل محدود اللغاية،الأمر الذي يفسر صراعها ضد مدرسة الأنالAnnales، التي أكد أحدم ؤسسيها وهو لوسيان فيفرLucien Febvre،على أن التاريخ يكتب اعتمادا على الوثائق المكتوبة، إن وجدت. "لكن يمكن، بل يجب، أن يكتب اعتمادا كل ما يستطيع الباحث، بمهارته وحذقه، أن يستنبطه من أي مصدر: من المفردات والرموز، من المناظر الطبيعية ومن تركيب الآجر، من أشكال المزارع ومن الأعشاب الطفيلية، ومن خسوفات القمر، ومن مقارن الثيران،ومن فحوص العالم الجيولوجي للأحجار، ومن تحليلات الكيميائي للسيوف الحديدية"[2].

وسَّعت مدرسة الحوليات حقل الوثيقة التاريخية، ودافعت عن التناهج أو التعاون العضوي بين التخصصات المختلفة، على أساس أن التاريخ هو "علم العلوم"،كما دشنت حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي التي أسست سنة 1929م،عملها بحوار شاق مع علم الاجتماع الذي لم يكن علماؤه في راحة أمام الأهداف التوسعية للتاريخ[3]. وفي المقابل تأثر رواد التاريخ الجديد، مثل لوسيان فيفر ومارك بلوخ وفرناند بروديل، بالمؤسسين الأوائل لعلم الجغرافيا أمثال فيدال دو لابلاش وجون برونهس، ولم يتوان لوسيان فيفر عن التأكيد على التحالف بين الجغرافيا البشرية والتاريخ الجديد[4].تواصل تعاون التاريخ مع العلوم الأخرى، وانصب الاهتمام على العلوم الاقتصادية، في ظل تطور التاريخ الاقتصادي وحضوره الضروري في صلب التاريخ الجديد، بالرغم من المشاكل التي طرحتها التقنية المتزايدة لعلم الاقتصاد وميول هذا العلم لدراسة الآماد القصيرة والمتوسطة[5].

لقد تمكن مؤرخو الحوليات، من صهر تخصصات العلوم الإنسانية؛ من اقتصاد وجغرافيا وإثنولوجيا وسوسيولوجيا وسيكولوجيا اجتماعية في مقاربات ضخمة، وفي نظام متطور للتحليل،

---

[1]–العروي (عبد الله)،مفهوم التاريخ، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،الطبعة2005،4،ج.1،ص.19.

[2]–نفسه، ص. 81.

[3]–دوس (فرانسوا)، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد،ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت،2001م،صص.43–46.

[4]–لوغوف (جاك)، التاريخ الجديد، م. س.، صص. 77–78.

[5]–نفسه، ص. 116.

ينبني على المزج بين المفهمة والتبسيط. لذلك كان للتصور الجديد للتاريخ، انعكاسات هامة على صناعة التاريخ، ويمكن حصر هذه الانعكاسات في عنصرين أساسيين كان لهما أكبر الأثر في تجديد ميدان الدراسات التاريخية، ويتعلق الأمر؛ بإلغاء الحدود بين التاريخ والعلوم الاجتماعية وما انبثق عنه من تخصصات ثنائية مثل الديمغرافية التاريخية، التاريخ الاقتصادي، التاريخ الاجتماعي...الخ،ثم استعارة المفاهيم، وتبني المناهج والتقنيات المستعملة في هذا العلم الاجتماعي أو ذاك،الأمر الذي تمخض عنه بروز أوراش جديدة في ميدان التاريخ، مثل: تاريخ الذهنيات والتصورات، وتاريخ المؤسسات والمعتقدات، وتاريخ السلطة في علاقتها بالمجتمع.

2-المحور الثاني:الأنثروبولوجيا نموذج للعلوم المعرفية المساعدة للكتابة التاريخية

ولدت الأنثروبولوجيا من رحم الدراسات الاثنوغرافية الأولى،التي ارتكزت على مراقبة بعض الجماعات البشرية وتحليلها من خلال خصائصها (ويتم اختيارها،غالبا، بين أكثر الجماعات اختلافا عن جماعتنا، لأسباب نظرية وعلمية لا تتعلق بطبيعة البحث قطعا)، بغية رد حياة كل منها إلى شكلها البدائي، بما يمكن من الأمانة؛ وقد استخدم الأنثروبولوجي ونال أوائل هذه الوثائق المقدمة من الإثنوغرافيين استخداما مقارنا (ولغايات ينبغي تحديدها فيما بعد)[1]، قبل خروجهم للميدان مع ظهور الأنثروبولوجيا الامبريقية والاعتماد على الملاحظة المباشرة.

ساد الاعتقاد في البداية، أن الأنثروبولوجيا علم يهتم بدراسة المجتمعات الصغيرة التي تنعدم فيها تقاليد الكتابة والقراءة، أو مجتمعات ما قبل الصناعة، وهو ما أخر قيام الأنثروبولوجيين بدراسات جادة ومقنعة عن المجتمعات المركبة والحضارات المتطورة[2]. لكن هذا التصور شجع المنحى الأنثروبولوجي الكلاسيكي على دراسة المجتمعات القبلية خصوصا بالبلدان التي توجهت صوبها التطلعات التوسعية للقوى الاستعمارية.

اهتمت الأنثروبولوجيا،وخصوصا الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، برصد الرموز المشتركة لدى مجتمع ما، وكذا رصد أنماط المعاني المتداخلة، التي يقوم أفراد المجتمع بتوليدها

---

[1]-ليفي ستراوس (كلود)، الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، مراجعة وجيه أسعد،الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة واالرشادالقومي، دمشق، 1973، ص. 15.

[2]-ايكلمان (ديل)، "الأنثروبولوجيا والتاريخ ووضعهما في المجال الأكاديمي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد18، الرباط،1993، ص. 117.

والحفاظ عليها، أو بتغييرها وإعادة إنتاجها، من أجل إعطاء معنى لعالمهم الاجتماعي ومن أجل تسهيل عملهم وتحركهم فيه. كما انشغلت بالبحث عن الكيفية التي تؤثر بها ضوابط التنظيم الاجتماعي والاقتصادي في، قضايا مثل اللامساواة الاجتماعية والعلاقة بين الجنسين والسلطة السياسية[1].

أعطت نظرية الزمن الطويل لفرناندبروديل،الفرصة لتقارب التاريخ مع العلوم الإنسانية التي تدرس مجتمعات "شبه الساكنة"، مثل "الإثنولوجيا" أو كما اعتدنا اليوم قوله بسهولة "الأنثروبولوجيا"[2]. وبالرغم من أن الأنثروبولوجي والمؤرخ يتبعان أسلوبا معينا في التفسير، إلا أن أسلوبهما متكاملان، ويمكن لأحدهما أن يكمل الآخر. وغني عن القول إن المؤرخ يختلف عن الأنثروبولوجي في النمط الذي يتبعه في تفسير الوقائع التاريخية أو التجريد الذي يستخلصه من ذلك الواقع، إلا أن هذا الاختلاف هو اختلاف في التدرج أكثر مما هو اختلاف في النوع[3].الأمر الذي جعل بعض رواد التاريخ والأنثروبولوجيا يجمعون على أن التاريخ هو بمثابة محاولة إثنولوجية حول المجتمعات الماضية[4].

يبدو أن التقارب بين التاريخ والأنثروبولوجيا، جعل فيليب مينارد يتساءل من حيث الجوهر، عن إمكانية اندماج هذين العلمين الاجتماعيين، وتم طرح مسألة الانصهار، في مجلة الحوليات وقت بروز الأنثروبولوجيا التاريخية. وبالرغم من أن عملية الدمج هذه لم تتم، فإن مسألة الارتباط ظلت قائمة، إلى درجة أن الأنثروبولوجيا التاريخية تدمج في أقسام الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما تدمج في أقسام التاريخ كما هو الحال بالنسبة لفرنسا.

---

[1]–ايكلمان (ديل)، الأنثروبولوجيا والتاريخ ووضعهما في المجال الأكاديمي...، م. س.، ص. 118.

[2]–لوغوف (جاك)، التاريخ الجديد، م. س.،ص. 114.

[3]–ايكلمان (ديل)، الأنثروبولوجيا والتاريخ ووضعهما في المجال الأكاديمي...، م. س.، ص. 118.

[4]– Fernand Braudel, Les ambitions de l'histoire, Ed. de Fallois, Paris, 1997, T. 2,pp. 159 -161.

– Lévi-Strauss cité dans Jacques REVEL, Nathan WACHTEL (éd.), Une école pour les sciences sociales, De la VIe section à l'École des Hautes Études en Sciences Sociales, Paris, Cerf, 1996, pp. 265-266.

أصبح التساؤل ملحا عن العلاقات بين التخصصين، الأنثروبولوجيو التاريخي، وعن التأثيرات التي فرضها كل اختصاص على الآخر، وذكر بعض النصوص المرجعية الكبرى التي تعالج مسألة تقسيم حقول التخصصات. لكن يمكن أيضا (وغالبا ما حدث ذلك) التساؤل عن المكان الذي يحتله الوعي التاريخي، تلك التاريخانيةhistoricité عند الشعوب التي استأثرت الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الإثنولوجيا بشكل تقليدي بدراستها[1].

ومع ذلك تربط الاختصاصين علاقة جوارية مردها إلى طبيعة موضوعهما؛ فإن كان المجال يشكل مادة الأنثروبولوجيا، فيكون بذلك مجالا تاريخيا، وإن كان الزمان يشكل المادة الأولية للتاريخ فهو زمن محدد موقعه، وهو بهذا المعنى أنثروبولوجي.

3-المحور الثالث: مظاهر تبني الأنثروبولوجيا في كتابة التاريخ الاجتماعي للقبائل المغربية

تقدم الأنثروبولوجيا التاريخية إضاءات قيمة عن البنى الثقافية، التي تشكل مدخلا أساسيا لفهم النظم العرفية للقبائل المغربية، وتاريخها الملتبس نتيجة تثاقفها مع الحضارات الوافدة. وتساعدنا الدراسات التي قام بها الأوربيون إبان القرن العشرين، على رصد واقع القبائل المغربية وكتابة تاريخها اعتمادا على تفاعلات متعددة،كما تقربنا من فهم الأحداث التاريخية الهامة التي بصمت تاريخ المغرب، خصوصا ما يتصل بالبنيات الاجتماعية والثقافية.

ظلت الدراسات الأنثروبولوجية المنجزة حول المغرب في حصيلتها العامة، وعلى الرغم من ارتكازها على إثنوغرافية القبائل، واكتسابها معرفة حقيقية بالميدان، متميزة بنوع من "البداوة" العلمية (مع استثناءات قليلة)، لأن إنتاجها في الغالب كان من قبل أساتذة في الآداب، أو باحثين محليين، أو رجال الإدارة الاستعمارية، أو عسكريين. وبمعنى أدق أنتجها موظفون معروفين بكفاءتهم في مجالات تخصصاتهم أكثر من معارفهم السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا.

قبل ذلك، انتعشت الرحلات الاستكشافية الأوربية صوب المغرب خلال القرن التاسع عشر بشكل لافت ومكثف، وذلك وفق وسيلتين وعبر مسلكين، الأولى تمثلت في السفارات بالانطلاق من محور طنجة، مقر "دار النيابة" والقناصل ممثلي الأجناس، وكانت هذه الرحلات تتجه نحو العواصم السلطانية، وكان لها إيقاعها وطقوسها، وهي في الغالب رحلة نمطية من حيث مسالكها

[1]-أوجي (مارك)، أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ترجمة وتقديم طواهر يميلود، دار الروافد الثقافية، الطبعة الأولى2016، ص. 19.

ومحيطها البشري[1].والثانية تجسدت في طريق المستكشفين الفرنسيين وغيرهم،الذين اختلفت ظروفهم وحوافزهم وعلاقاتهم مع مؤسسات بلدانهم، وتعددت الجهات الممولة لهم، غير أن قدرا من المغامرة والخروج عن مسالك الرحلة الرسمية كان هو القاسم المشترك بينهم، لأنهم اهتموا بجوانب لم تثر فضول المؤرخين المغاربة؛ من قبيل تاريخ المجتمع والأعراف والعادات والحياة اليومية[2].

اهتمت الأنثروبولوجيا الكولونيالية بالعادات القبلية، لما لها من إلمام بنمط الحياة والتنظيم الاجتماعي والبنية الاقتصادية والذهنية، ما جعل المستكشفين الفرنسيين بالمغرب يولون أهمية بالغة للأعراف، نظرا لملامستها جميع جوانب المجتمع بكل فئاته المنبثقة من القاعدة إلى القمة، وقدرتها على توضيح نوعية العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات، وقدرة العرف على تدبيرها[3].

لخّص هنري باصي(Henri Basset)المفهوم النفعي والاختزالي الذي تبناه ممارسو الحقبة الاستعمارية حول الأنثروبولوجيا، وعرضه في شكل برنامج تدشيني، حين قال: "ما يلزمنا دراسته بالدرجة الأولى هم السكان المغاربة: صناعتهم وعاداتهم، ومؤسساتهم، وكذلك الأعراف والمعتقدات. هذا العمل ابتدأ منذ زمان، فقد ترك لنا الرحالة الأوربيون الذين زاروا المغرب (وفي كل الأوقات) نصوص أسفارهم، واعتبروا إلى حد ما إثنوغرافيين". ثم بعدهم جاء دور العلماء وبدأت الدراسات المنهجية لعادات وتقاليد الساكنة المغربية.

تعرض رواد الأنثروبولوجيا الكولونيالية للعرف القبلي عرضا في بداية الأمر، ولم يخصصوا حيزا واضحا له، رغم أهمية انتاجاتهم في كتابة تاريخ العادات والأحكام القائمة، وكل ما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي للقبيلة المغربية، غير أنها لا تزيد أهمية عن الكتابات الفرنسية التي كتبت خصيصا، من أجل سبر أغوار الأحكام العرفية ودراستها وفهم مبادئها وخباياها. إذ تنبه الباحثون فيما بعد إلى ضرورة فرد كتابات خاصة بالعرف وتطبيقاته وما تستوجبه من إصلاح واستغلال

---

[1]– Lebel (Roland), Les voyageurs française au Maroc l'exotisme marocain dans la littérature de voyage, Paris, 1936, p.64.

[2]– السبتي (عبد الأحد)، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقاللنشر،ط.1، الدار البيضاء،2009، ص.35.

[3]– Nehlil, « L'Azerf des Tribus et Qsour berbères du Haut– Guin », Les Archives Berbères 1915– 1916, p.82.

لصالح توطيد الحماية الفرنسية بالمغرب، ومحاولة فصله عن الشرع الإسلامي، وهو ما قام به فيكتور بيكيVictor Piquet[1]، الذي خصص الفصل التاسع عشر من كتابه للعرف الأمازيغي؛ حيث عرفه وصنفه وفق أقسام عرفية كبرى، كما تعرض فيه لكيفية أسلمة العرف، ومزاوجته بالدين الإسلامي بعد أن اعتنقه الأمازيغ، وخصص حيزا لوضعية المرأة المنتمية للبادية المغربية في ظل الأحكام العرفية، والتأثيرات التي تمارس عليها، وأنواع الملكيات السائدة وفق الأعراف القبلية، وأصناف الأعراف المعتمدة في القبائل المغربية،ثم أبرز التباينات التي تتخللها[2].

اعتمد علماء الأنثروبولوجيا الذين اشتغلوا على القبيلة بالمغرب، في استقاء معلوماتهم، على مخبرين من القبائل المعنية، واكتفوا بالخطاب الشفوي، مع احتمال أن بعض مخاطبيهم كانوا على معرفة بالكتابة. لكن المهم هو أن أغلب هؤلاء الباحثين أنجزوا – إلا في حالات قليلة – إثنوغرافياتهم بوسيلة المقابلة الشفوية، إضافة إلى منهجيات أخرى. وقد أثيرت تساؤلات عديدة حول نجاعة المقابلات الإثنوغرافية، وما يمكن أن يشوبها من نقائص علمية وأخلاقية[3].

ينتمي كل من شارل دو فوكوCharles de Foucauld (1883-1884) وروني كايهRené Caillé (1828) ضمن رواد الصنف الثاني،حيث طبعت رحلاتهم الجغرافية ميزة ذات أهمية قصوى، تتمثل في احتواء يومياتها على جزئيات تهم الأعراف القبلية، والتقاليد والعادات، وكل ما يخص التأمين الطرقي، وعلاقة ذلك بالسلطة الدينية التي تطبع مجموعة من الشبكات العرفية، وقد اعتنى الرحالة بريف Brives على وجه الخصوص بظاهرة السلطة العرفية ومكانتها في القبائل المغربية، وتعد هذه الدراسات من أبرز ما كتب حول تاريخ المغرب[4].

1- Piquet (Victor), La Colonisation Française da L'Afrique du nord : Algérie- Tunisie- Maroc, Librairie Armand Colin, Paris, 1914.

2- Piquet (Victor), Le Peuple Marocain Le bloc Berbère, Librairie Emile Larose 11, Paris, 1925, pp.208-285.

3- عبد الله حمودي،الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة ملاحظات حول أطروحة كلنير،الأنثربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء،1988،ص. 61.

4- Brives (Abel), Voyages au Maroc 1901- 1907, A. Jourdan, Alger, 1909, pp.19-25.

تعدد الاثنوغرافيون والأنثروبولوجيون الذين اهتموا بالمغرب، غير أن هناك تفاوت من حيث أهمية التراكم المعرفي الكمي والنوعي الذي حققوه،من حيث المواضيع التي استأثرت باهتمامهم، إذ اهتم ادموندوتيEdmond Doutté، بالعلاقة التي تربط بين ترسانة الأعراف القبلية والمخزن، ونوعية التأثيرات الممارسة بينهما، وركز على بعض مظاهر الخضوع، من قبل الممتثلين للأعراف أمام أفراد المخزن خاصة فيما يتعلق بالتنازلات القبلية أمام الأسر المخزنية، ويورد مثال تأمين الطرق بالشكل العرفي لهذه الأسر مقابل رسوم مرور زهيدة، حيث عرفت القبائل الخاضعة للمخزن بهذه الظاهرة[1].

أكدت كتابات روبيرمونطانيRobert Montagne، عن أهمية الأعراف بالمجال القبلي واهتمام السوسيولوجيا الكلونيالية بها، رغم تجاوز الأبحاث التاريخية اليوم لنظرته الاستعلائية التفريقية، المبنية على الانشقاق خاصة في كتابه "البربر والمخزن"، إذ يعتبر من رواد السوسيولوجيا الكلاسيكية، التي عجزت عن تحليل البنية الاجتماعية بالمغرب وفق صيغة محايدة، والتي اعتمدت آليات غير موفقة في استجواب الفئات الاجتماعية المغربية،لكنه يبقى بوابة الأنثروبولوجيا التطبيقية نحو المغرب، وأحد أبرز المؤثرين في ما يعرف بالنظرية الانقسامية الأنجلو ساكسونية، وذلك حسب كل من دافيد مونتغومري هارت وإيميلو بلانكو إيثاكا، إذ أولى أهمية بالغة للعرف وتوارث سلطه في المجتمع القبلي، وموقفه من تنامي السلط المخزنية[2].

يتشكل السكان –حسب روبير مونطاني– من قبائل ووحدات سياسية صغيرة الأبعاد، فبضع مئات من البيوت أو الضيعات الصغيرة، يمكن أن تشكل جمهورية مستقلة في نشاطاتها الاقتصادية والسياسية. ويتميز الأمازيغ المستقرون بحب الأرض الأصلية وحب الاستقلال أو

1– Doutté (Edmond), Marrakech, Gouvernement Général de L'Algérie Comite du Maroc, Paris, 1905, pp.22-24.

2– Montagne (Robert), Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires, Librairie Félix Alcan, Paris, 1930, pp.37-39.

– « Le développement du pouvoir des caïds de Tagountaft (Grand- Atlas), in Mémorial Henri Basset : nouvelles études nord- Africaines et orientales, Tome II, Paris, 1928, pp.173-176.

التسيير الذاتي Self-government لمؤسساتهم المحلية ضد هيمنة الحكومة المركزية، وهذا الشعور أي الارتباط بالأرض يقابل عند الرحل حب الحرية الفردية والجماعية، والحفاظ على التقاليد والطقوس. كما تتميز المناطق الأمازيغية بتشابه التراث رغم اختلاف نمط الحياة والمجال الجغرافي، فصناعة الفخار أو النسيج أو الزراعة هي نفسها في جميع مناطق شمال إفريقيا[1].

يتميز التنظيم الاجتماعي عند المستقرين Les sédentaires بوجود أربع بنيات هي:القرية- اتحاد القرى أو الفروع- القبيلة التي هي اتحاد يجمع اتحادات القرى-الكنفدرالية المشكَّلة من عدة قبائل أو اتحادات. لا تتوحد هذه الأجزاء إلا عند وجود خطر خارجي وحتى في هذه الحالة الوحيدة أحيانا لا تتفق على تعيين زعيم واحد، فقد تختار كل جبهة أن تحارب بمفردها كما وقع في السوس والريف عند مواجهة هذه القبائل للمخزن،وتضاف إلى الخطر الخارجي عوامل موحدة للقبائل: كوجود قانون عرفي- الاعتقاد بالنسب المشترك- وجود سوق مركزي أو الشعور بالكراهية ضد قبيلة مجاورة[2].

أما في مجتمعات الرعاة فهناك مجموعات متجاورة أهمها" الدوّار SOUS fraction- الفخذ، البطن المكون من عدة أفخاذ ثم القبيلة التي تجمع عدة بطون تكون عادة أربعة أو خمسة لها مجلس يتكون من رؤساء العائلات الكبيرة ويترأسه شخص يدعى -الأمغار- أي الرئيس[3].

يعتبر مونطاني القبائل مجموعات مستقلة منغلقة على بعضها البعض، ومتجاورة على شكل وحدات،ويتكلم بهذه المناسبة على نظام اللّف Leff، الذي هو تحالف عائلي جماعي عسكري واقتصادي وسياسي بين وحدات قبلية،يتمثل دوره الأساسي في الدفاع وحفظ التوازن بين المجموعات حتى لا تأكل القوية منها الضعيفة، لأن القبيلة تنقسم عادة إلى صفين أو لفّينمتعارضين، يضم كل لف عدد متوازي من الفروع المتحالفة التي تجمع الأفراد داخل اللف[4].

---

[1]-Ibid, p.177.

[2]-A.D.N, Fonds Protectorat-Maroc, Les Affaires indigène, série 300N, carton N° 1MA, dossier VI, 1912-1956, la politique berbère du général Lyautey, p.1.

[3]-A.D.N, Fonds Protectorat-Maroc, Les Affaires indigène, série 300N, carton N° 1MA, dossier VI, 1912-1956, la politique berbère du général Lyautey, p.5.

[4]-A.D.N, Fonds Protectorat-Maroc, Les Affaires indigène, série 300N, carton N° 1MA, dossier VI, 1912-1956, la politique berbère du général Lyautey, p.5.

بناء على هذا التحليل،اعتبر إرنست غيلنر في تقديمه للكتاب، أن مونطاني قدم أطروحتين تخصان علم الاجتماع السياسي للأمازيغ، أولهما اعتبار العامل الأساسي في توازن القوى داخل هذا المجتمع؛ يرتكز على تحالفات اللّف والصّف التي تفسر التعارض والتوازي، كأساس لميكانيزم الاستقرار والثبات،أما العامل الثاني يتمثل في كون هذه المجتمعات تتأرجح بين الجمهوريات القبلية الديمقراطية وبين الأقلية الاستبدادية، وهي التحليلات التي ارتكز عليها غيلنر فيما بعد[1].

ينتخب "الأمغار" أو الزعيم بطريقة تداولية لمدة سنة واستنادا إلى مبدأ المساواة السائد في "الجمهوريات الأمازيغية"، الذي يعكس النظرة الذكورية والعصبية للنظام الاجتماعي،لكن وبالرغم من هذه المساواة الظاهرة،يمارس الأثرياء والأعيان في الخفاء نفوذهم لإيصال صاحب الجاه للرئاسة،بإرشاء أعضاء المجلس حتى يضمن رئاسته أو يبقى "مقدّما" لمدة 5 سنوات،على الرغم من كون العرف يحصر العهدة في مرة واحدة، لذلك وجب على الرئيس لكي يحافظ على سلطته أن يكسب ودّ وتأييد العائلات المنافسة، وإلا سقط في أول معارضة داخلية له، وضرب مونطاني مثالا لذلك بما وقع في قبيلة سكساوة التي ترأسها "مختار بن حمو" بفضل مصالحته لمناوئيه حيث أقام حفلا لدى انتخابه واستدعاهم لتصفية الأجواء ثم اختلى بهم وقتلهم بمساعدة إخوته سنة 1880م[2].

إضافة إلى المنافسة، يتأثر الأمغار "بضعف موارده المالية، فعن طريق المال يظهر كرمه داخل لفّه، ويتدخل لحل النزاعات ويساعد إخوانه داخل اللف بمدهم بالمحاربين، كما يقيم تحالفات ويحترم العرف مادام لا يخالف مصالحه، ويحافظ على وحدة اللف أطول مدة ممكنة، بفضل دعم عائلته والعائلات المتحالفة معه ضد العائلات المعارضة.

مكّن نظام اللف، الجماعات المستقلة عن النظام المركزي، من تسيير نفسها سياسيا وضبط نزاعاتها، والمحافظة على نظامها الاجتماعي في غياب هيئات متخصصة، وهو السؤال الذي طرحته المقاربة الانقسامية[3]، وهذا يدفعنا للحديث عن تناول روبير مونطاني للقبائل التي كانت

---

[1]-A.D.N, Fonds Protectorat-Maroc, Les Affaires indigène, série 300N, carton N° 1MA, dossier VI, 1912-1956, la politique berbère du général Lyautey, p.5.

[2]-Mohamed Tozy et Abderrahmane Lakhsassi, le Maroc des tribus, op. cit, p.182.

[3]-Pierre Bonte et autres, Emirs et présidents, CNRS éditions, Paris, 2001, p.39.

علاقتها متوترة مع المخزن والتي تعرف بقبائل السيبة، وهي قبائل كانت تنزع للثورة التي تمكنها من استعادة مجدها عقب موت السلطان أو هزيمته، ويكون هدفها الأول استهداف رمز السلطة (القايد)، وسلب ممتلكاته وتوزيعها على حسب ما يدعى كل فرد فيها امتلاكه للجزء من الغنيمة المخصص له، فتدّعي قبائل السيبة أنها تثور لرفع الظلم واسترجاع حقوقها المغتصبة من الحكم المركزي، وفي سبيل ذلك تمارس عنفا يصفه مونطاني بأنه أشد من استبداد المخزن، فعند اشتعال الثورة تأتي على الأخضر واليابس[1]، وتعطي صورة عن ضعف التنظيم المركزي للحكم أو المخزن؛ ففي الوقت الذي يستمد "الأمغار" سلطته من قوته الشخصية واعتمادا على أشخاص أوفياء داخل مقاطعته الأصلية القبلية، فإن "القايد" على العكس من ذلك، يعتمد على جند مرتزقة غرباء أو عبيد لا تجمعهم به رابطة ولاء وإخلاص، لذلك لا يتحمسون للدفاع عنه، بل يفرون حينما تحين الفرصة[2].

تمكّن رواد الأنثروبولوجيا الكولونيالية من خلق السبق في اكتشاف مواضيع جديدة للدراسة بالمغرب بغية فهم مجتمعه وقبائله، وذلك من خلال الاستفادة من تجاربهم بالجزائر، وتمتعهم بروح المغامرة وحب استطلاع المستجد بالمستعمرات الفرنسية، وحسب جاك بيركBerque Jacque، فإن هذه الحوافز جعلت المستكشفين الفرنسيين يفضلون الغوص في الغموض الذي يتمتع به عالم القبائل، بدل الاكتفاء بالمحاور الآمنة من الحواضر المغربية. ورغبتهم في فك ألغاز يوميات سكان القبائل، كانت كفيلة ببلوغ كتابة لا تخلو من الرغبة في مسح الحواجز مع الآخر، وفهم خصوصياته المتعلقة بالعادات والتقاليد والأعراف[3].

يصنف عادة جاك بيركضمن التيار الكولونيالي، لكن بدرجة متميزة من الموضوعية؛ حيث انتقد بعض مقولات المدرسة الاستعمارية كالثنائيات المتوازية، الأمر الذي رشحه عند البعض لاعتباره

---

[1]–Robert Montagne, Regards sur le Maroc، (préface de jacques Chirac premierministre), centre des études sur l'Afrique et 'ASIE moderne, CHEAM,Paris, 1986, le titre original est: la vie sociale et politique des berbères.

[2]–A.D.N, Fonds Protectorat–Maroc, Les Affaires indigène, série 300N, carton N° 1MA, dossier III, 1939, Jamaa, p.3.

[3]– Berque (Jacques), « Cent Vingt– cinq ans de sociologie…, » Op. cit., pp.298–300.

رائد مدرسة أو نظرية نزع الاستعمار في إفريقيا البيضاء مثلما كان جورج بالانديهBalandier رائدها في إفريقيا السوداء[1]. كما قام بتقييم وإعادة النظر في الكتابات السوسيولوجية التي تناولت مجتمعات المغرب الكبير في بحثه المعنون؛ "مائة وخمسة وعشرون سنة من سوسيولوجية شمال إفريقيا". اهتم كذلك جاك بيرك بالقبيلة في المغرب،عبر دراسته الشهيرة حول قبيلة "سكساوة في الأطلس الأعلى" بين مراكش وأكادير،التي كانت محل دراسة مونطاني أيضا، وقد استعمل بيرك المنهج التاريخي، لأن التاريخ حسبه هو المنطلق والنتيجة، كما لا يمكن فهم أية ظاهرة محلية بدون ربطها بسياق التطور الذي عاشته المنطقة خلال قرون متعاقبة، وهذا ما جعله يبحث عن ماضي المجموعة وتاريخهابين وديان وأعالي الأطلس[2].

مكّن التحليل الاجتماعي التاريخي لجاك بيرك، من فهم بعض مظاهر السلوك الجماعي والخصائص العقلية والنفسية التي مازالت تتحكم في العلاقة بين الأفراد والجماعات، ضمن جدلية الصراع الموروث عن الماضي،حيث أكد على أن الموالاة والانتقام والنميمة، تصبح بمثابة مفاهيم محركة لحياة اجتماعية تتأرجح باستمرار بين الواجهتين اللتين يتشكل منهما العنف الاجتماعي؛ أي الخضوع والتسلط،وهذه الظاهرة ليست ناتجة عن نقص في الحس الأخلاقي والعدلي، بقدر ما تتمعن رغبة ملحة في التعويض، لذلك فإن التطور التاريخي هو ما يفرض تعاقب المراحل التي تكون أثنائها المجموعة إما متسلطة أو مضطهدة، بالرغم من نزوع الوسط الاجتماعي بأكمله إلى تفضيل قيم المساواة[3].

قام جاك بيرك بتشريح البنية القبلية في مؤلفه: "البُنى الاجتماعية في الأطلس الكبير"،حيث عاين أن الوحدة السياسية الرئيسية داخل هذا المجتمع هي القبيلة أو "تاقبيلت"، التي تتفرع إلى مجموعات صغيرة تسمى (الإخص)، ويتميز هذا المجتمع بالأبوية والفردانية، وحب المحافظة على الذات من أي تدخل خارجي، وارتباط أفراده بأرضهم حيث يسود لديهم وعي بديمومتها،غير أن هذا

---

[1]–AbdelwahabBouhdiba, « A propos d'une théorie de la colonisation » in: à la recherche des normes perdues, Maison tunisienne de l'édition, 1973, P.77.

[2]–Ibid, p.78.

[3]–د. محمد الدهان (جامعة الملك محمد الخامس)، مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع) تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع، العدد 7 صيف 2009، بيروت، ص.46.

التنظيم السياسي عند سكساوة يتأرجح بين تناقضين:فمن جهة أولى؛ هناك النزعة المساواتية التي بموجبها يؤمن الأشخاص بأنهم متساوون في الحقوق والواجبات لأنهم أبناء جد واحد، لا فضل لأي منهم على الآخر. ومن جهة أخرى؛ هناك فئة مميزة تنفي هذه المساواة الشكلية، ألا وهي فئة الرؤساء أو "القواد الكبار"[1]، وبتعبير معاصر، هناك تأرجح بين التوجه الديمقراطي والاستبداد، أو بين المغالاة في استعمال السلطة الفردية وتركيز الثروة في يد العائلة الحاكمة، وتفضيل المجتمع القبلي للنظام الديمقراطي وقيم المساواة.

ينتقد جاك بيرك فكرة النسب المشترك التي يرى أن اللجوء إليها مجرد وهم تؤمن به السلالات، إذ يتقاطع عبر الجد المشترك عدد لا حصر له من الأصول، وهذا بسبب الانتشار المبكر لفروع أساسية رمت بأغصانها صوب كل الاتجاهات، كقبائل "لواتة" الليبية التي لها امتداد في المغرب، حيث لازالت مجموعتان تحملان هذا الاسم في منطقة بن كرير، وكذلك في الجنوب الجزائري. كما لاحظ أن معظم القبائل تقبل وتدمج عناصر خارجية حيث تقوم بإعادة تأويل[2] مستمر للعناصر الثقافية الواردة من الخارج، وإدماجها في النسق الثقافي المحلي دون فقدان استقلالها الذاتي وهويتها، وهي إحدى المميزات الأساسية للتنظيمات الاجتماعية في الأطلس الكبير.اعتبر جاك بيرك هذه الازدواجية، تناقضا بين الشخصية الجماعية، وبين أصل الخلايا المكونة لها، لذلك اتخذت المجموعات شكلين متناقضين هما: الانصهار والانشطار؛ إذ يضع الانصهار داخل نفس التسمية عناصر ذات أصول خارجية تعتقد في الهوية الوحدوية،أما الانشطار فيقوم بتكسير الوحدات وتجزيئها إلى وحدات ترابية ومعنوية تتجسد في المداشر المتنافسة، الأمر الذي "جعل شمال أفريقيا أرضا ظلت باستمرار تبحث عن هويتها، وقد زاد من جراحها تسلل نمط العيش البدوي الذي زوده بنو هلال بالمادة البشرية، كما ساهم نظام الحكم العربي القائم على الاستبداد في نشر الشكل القبلي"[3].

---

[1]–Jacques Berque, « Les sociétés nord, Africaines vue du haut atlas », in: OPERA minora, p.177.

[2]–د. محمد الدهان، مجلة إضافات، م .س.، ص. 67–69.

[3]–Jacques Berque , Qu’est ce qu'une tribu nord–africaine ? in opéra minora, op., cit. p.298.

قارن جاك بيرك تشكل البناء السياسي بين المغرب الكبير، وأوربا التي تم إنجاز البناء فيها انطلاقا من عناصر صغرى ومعزولة (الضيعة الملكية، المدينة)،وبعد أن نضج مسلسل الالتئام تم ترسيخ الوحدة الوطنية. أما في المغرب الكبير فإن سُلَطه المكونة من زعامات قبلية وقيادات فردية وأسر حاكمة وحركات روحية، فإنها تلتهب وتنطفئ بسرعة مدهشة، وهذا بسبب عملية التفكيك القبلي التي قام بها الاستعمار،باستحواذ المعمرين على الأراضي واستبدال الإطار الأبوي المتمثل في أولاد فلان بالإطار الجغرافي، وهو ما تضمنه قانون الإصلاح العقاري الصادر عام 1863م بالجزائر والذي به بدأ مسار التفكيك القبلي[1]. ومما لاحظه أيضا بيرك في الحياة المحلية للقبائل، هو العدد الهائل للصلحاء ودورهم في لم شمل الجماعة، وتوحيد القرية، ونشر المبدأ الصوفي في البادية خلال القرنين 15 و 16م[2].

خاتمة:

لقد اكتشف جاك بيرك من خلال عودته للتاريخ، عبر قراءته "لنوازل المازوني" التي قدمت توصيفا لممارسة البدو من نهب وغصب،ومساهمة الصلحاء في إصلاح حال هؤلاء البدو،أن النوازل بمثابة مصادر تاريخية للبنيات القبلية، وقد خلص بيرك من دراساته للبنى الاجتماعية المغربية إلى استنتاجين هامين:

-الاستنتاج الأول: أن المجموعات القبلية في الأطلس الكبير، تنتمي إلى كيان أوسع يتعدى الحدود الجهوية والقطرية ليعم منطقة المغرب الكبير بكاملها؛ فهناك استمرارية أفقية وتشابه بين كل التنظيمات العائلية في المدن،والمشكلة في القمة من النسب الأبوي في صبغته الحقيقية أو الوهمية، وفي القاعدة ترتبط بخلايا متشابهة، كما أن هناك تجانسا بين البدو الرحل العرب منهم والبربر وبين القبيلة البربرية والمدينة الإسلامية.

-الاستنتاج الثاني: يستتبع الأول وهو التجدر التاريخي العميق لكل التنظيمات القبلية وحتى القبائل النائية، التي تبدو لأول وهلة بعيدة عن كل احتكاك حضاري،وهي ليست معزولة عن الحركة

---

[1]-Jacques Berque , Qu'est ce qu'une tribu nord-africaine ? in opéra minora, op., cit. p.299.

[2]-Ibidem.

العامة للمجتمع، فقبيلة سكساوة التي تبدو ظاهريا منعزلة استطاعت أن تؤثر في المشروع الموحدي كما حافظت على خصوصياتها لمدة 10 قرون.

خاض رواد المدرسة الكولونيالية في ميدان الإثنو-أنثربولوجيا، وأعادوا من خلاله صياغة تاريخ اجتماعي غير مرتكز على أي أساس، وخال من الموضوعية العلمية، وأفرز جملة من التناقضات من شأنها دعم الأطروحة الاستعمارية[1].كما تمكنت الأنثروبولوجيا الفرنسية والأنجلو ساكسونية الدارسة لأعراف القبائل المغربية – بغض النظر عن أهدافها – من تقديم معلومات دقيقة عن أعراف القبائل المغربية، والتي من شأنها مساعدة المؤرخ في كتابة تاريخ اجتماعي للقبائل المغربية، وتاريخ للأعراف بصفة خاصة، كما بين ديل إكلمان عبر أبحاثه حول الإسلام، والمعرفة والسلطة، ونفس النهج سار عليه أحمد التوفيق من خلال أطروحته حول قبائل إنولتان قبل الاستعمار.

ختاما، تكتسي النتائج التي خلفتها الدراسات الكولونيالية بالمغرب،رغم طابعها المؤسساتي،إلى جانب المقاربات ما بعد الكولونيالية، أهمية بالغة للباحثين في تاريخ المغرب، من حيث تفسيراتها لطبيعة المجتمع وبنياته، ومن خلال نقد المفاهيم التي صاغتها حوله، دون الوقوع في تبني مواقفها الجاهزة، وذلك من أجل تجديد الكتابة التاريخية وفق إشكاليات ومقاربات جديدة، تغرف من تخصصات معرفية مختلفة.

لائحة المراجع

➢ **بالعربية:**

- ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد)،المقدمة،تحقيق: أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية،القاهرة، 2006.
- أوجي (مارك)،أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ترجمة وتقديم طواهريميلود، دار الروافد الثقافية، الطبعة الأولى، 2016.
- ايكلمان (ديل)،الأنثروبولوجيا والتاريخ ووضعهما في المجال الأكاديمي،مجلة البحث التاريخي.

[1]– نجيب بوطالب (محمد)،سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي...م. س.، ص.38.

- ايكلمان (ديل)، الأنثروبولوجيا والتاريخ ووضعهما في المجال الأكاديمي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد18، الرباط، 1993.
- د. محمد الدهان (جامعة الملك محمد الخامس)، مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع) تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع، العدد 7 صيفبيروت،2009 .
- دوس (فرانسوا)، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت،2001م.
- السبتي (عبد الأحد)، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقاللنشر،ط.1، الدار البيضاء، 2009.
- عبد الله حمودي، الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة ملاحظات حول أطروحة كلنير، الأنثربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988.
- العروي (عبد الله)،مفهوم التاريخ،الجزء1،الطبعة4، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،2005.
- لوغوف (جاك)، التاريخ الجديد، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، الطبعة الأولى،2001م.
- ليفي ستراوس (كلود)، الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، مراجعة وجيه أسعد،الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة واالرشاد القومي،دمشق، 1973.

➢ **باللغات الأجنبية:**

1. A.D.N, Fonds Protectorat-Maroc, Les Affaires indigène, série 300N, carton N° 1MA, dossier III, 1939, Jamaa.
2. A.D.N, Fonds Protectorat-Maroc, Les Affaires indigène, série 300N, carton N° 1MA, dossier VI, 1912-1956, la politique berbère du général Lyautey.

3. « Le développement du pouvoir des caïds de Tagountaft (Grand-Atlas), in Mémorial Henri Basset : nouvelles études nord- Africaines et orientales, Tome II, Paris, 1928.
4. Abdelwahab Bouhdiba, a propos d'une théorie de la colonisation in: a la recherche des normes perdues, maison tunisienne de l'édition 1973.
5. Brives (Abel), Voyages au Maroc 1901- 1907, A. Jourdan, Alger, 1909.
6. Doutté (Edmond), Marrakech, Gouvernement Général de L'Algérie Comite du Maroc, Paris, 1905.
7. Fernand Braudel, Les ambitions de l'histoire, tome 2 Paris, de Fallois, 1997.
8. Jacques Berque, Les sociétés nord, Africaines vue du haut atlas in: OPERA minora.
9. Lebel (Roland), Les voyageurs française au Maroc l'exotisme marocain dans la littérature de voyage, Paris, 1936.
10. Lévi-Strauss cité dans Jacques REVEL, Nathan WACHTEL (éd.), Une école pour les sciences sociales. De la VIe section à l'École des Hautes Études en Sciences Sociales, Paris, Cerf, 1996.
11. Montagne (Robert), Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires, Librairie Félix Alcan, Paris, 1930.
12. Nehlil, « L'Azerf des Tribus et Qsour berbères du Haut-Guin », Les Archives Berbères 1915- 1916.

13. Pierre Bonte et autres, Emirs et présidents, CNRS éditions, Paris, 2001.

14. Piquet (Victor), La Colonisation Française da L'Afrique du nord : Algérie- Tunisie- Maroc, Librairie Armand Colin, Paris, 1914.

15. Piquet (Victor), Le Peuple Marocain Le bloc Berbère, Librairie Emile Larose 11, Paris, 1925.

16. Robert Montagne, regards sur le Maroc (préface de jacques Chirac premierministre), centre des études sur l'Afrique et 'ASIE moderne, CHEAM,Paris, 1986, le titre original est: la vie sociale et politique des berbères.